رُوَيّ

نروي لنرتوي

مجلة فصلية تعنى بموضوعات
العلوم الإنسانية والنصوص الأدبية

العدد السادس : 1446هـ - 2024م

ملف العدد:
شيخ المحققين العراقيين
أ. د. محيي هلال السرحان

مبنى دار المخطوطات العراقية

مجلة فصلية تعنى بموضوعات
العلوم الإنسانية والنصوص الأدبية

العدد السادس : 1446هـ - 2024م

أسرة التحرير:

عمر ماجد السنوي رئيسًا
سلطان صلاح ماجد مديرًا
د. علي حكمت فاضل عضوًا
حسن طلال الرمضاني عضوًا
مصطفى أمجد الفهداوي عضوًا

ترحب المجلة بأبحاثكم ومقالاتكم ونصوصكم

rawamag

info@rawamag.com

www.rawamag.com

محتويات العدد

افتتاحية العدد 5

ملف العدد

رحلةُ أربعةِ أعوام مع العَلّامةِ مُحيي هِلال السّرحان 9
أ. حسين محمّد عجيل

فلسفتي في الحياة، بخط أ.د. محيي هلال السرحان 30
تحقيق: د. إبراهيم محمد آل فيزي

حوار مجلة روى مع العلامة محيي هلال السرحان 38
أجراه وحرره: عمر ماجد السنوي

محيي هلال السرحان العالِم الإنسان: الرؤية والمِنهاج 46
سلطان صلاح ماجد

شيخ المحققين في بلاد الرافدين محي هلال السرحان 58
د. إيمان عمر السرحان

وداعًا شيخ المحقِّقين 64
أ.د. عمار مرضي علاوي

مساحةُ الفقد ثلمةٌ لا تسد 66
د. بشار هاشم الشبلي

واقعة قبل أكثر من عشر سنين 70
د. محمد ياسين الراوي

في رثاء السرحان
السيد أحمد عبد الكريم النعيمي 72

ذكريات أم مقداد مع أبيها محيي هلال السرحان رحمه الله 75

قسم الدراسات

أَنْوَاعُ المَـعَـانِي وَنَظَرِيَّاتُ دِرَاسَــةِ المَعْنَى - دِرَاسَــةُ حُرُوْفِ المَـعَـانِي أُنْمُوذَجًا
د. عليّ حكمت فاضل محمّد 79

مُفردات ألْفاظ الحِجاج في القُرآن الكريم
شيماء حازم محمّد 100

التوفيق بين النحاة والمفسِّرين في إعراب القرآن الكريم
محمد زامل السعدون 115

سيرة ابن هشام دراسة مقارنة بين آخر طبعتين
سامح عثمان 129

قسم المقالات

مكتبة الأوقاف العامة ببغداد
عبد القادر صبحي الحنفي 151

الاضطرار إلى العِلم في زمَن الجوائح!
د. ياسين نزال 160

شاهد على إحدى معارك الأستاذ العقاد
أ.د. سعد عبد العزيز مصلوح 163

السُّموم في حُلّة الفنّ.. ولا فنّ! (عن أبي قيس وتلميذه)
حسين عدوان 166

كيف تُتقنُ قواعد الإملاء في الكتابة؟
محمد موسى كمارا 170

سأموتُ وفي نَفسي شيءٌ مِنْ قصيدة النثر
يبات علي فايد 172

خُلُقُ : (الحَيَاءِ) وَفَضِيْلَتُهُ لِـ (النِّسَاءِ) وَعِبَرٌ مِنْ قِصَّةِ (كَلِيْمِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ)
بكر آل مهدي 175

عَيْنُ المُحِبّ
رانيا إبراهيم 179

عالَم الكُتب

قراءة في كتاب "الأثر: كيف يؤثر القانون في السلوك" للورانس فريدمان
أحمد الطائي 183

مراجعة رواية شرق المتوسط
أسامة فاضل 189

النصوص الأدبية

في حضرة الصمد
لمياء فؤاد 193

عسعس الليل
د. وليد الصراف 195

من قيامة إلى أخرى
يحيى الحمادي 197

سوانح
أ.د. عبدالحكيم الأنيس 200

رثاء الشيخ محمد أحمد الراشد
عدنان آل ناصر 203

افتتاحية العدد

الحمد لله على نعمائه وفضله، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وأشرف خلقه، وعلى آله الذين لم يبدّلوا تبديلًا. أما بعد:

فهذا عدد جديد من مجلة روى التي تعتذر إلى قرّائها عن انقطاعها في العام المنصرم، لظروف خارجة عن إرادة القائمين عليها، ولكن بعزم مدير تحريرها الجديد: السيد سلطان صلاح ماجد، استطاعت المجلة التغلّب على بعض الصعاب، والانطلاق بما هو في حدود الإمكان.

وتشرّفَت أسرةُ التحرير بانضمام السيّدين الفاضلين: الدكتور علي حكمت فاضل محمد، والأستاذ مصطفى أمجد الفهداوي، إلى جانب العضو القديم الأستاذ العزيز حسن طلال الرمضاني، فقد اقتطعوا جميعًا من وقتهم الثمين لخدمة العلم والأدب وأهلهما، ولن تضيع أتعابهم عند الله وعند الناس.

وقد صادف عودةَ المجلة حدثٌ جلَل، وهو وفاة أستاذنا العلامة أ.د. محيي هلال السرحان، شيخ المحققين العراقيين، ذي الأدب الرفيع والمآثر العظيمة والآثار النافعة. وإنّ مِن عهد المجلة أن يكون لها ملف في كل عدد، يتعلّق بعلَم من الأعلام، فكان هذا العدد فرصة لأن يكون ملّفه الخاص في تأبين هذا العالِم الكبير.

وقد كان هذا الملف غنيًا بالمشاركات، وأهمّها على الإطلاق مشاركة أستاذنا الأديب المحقّق الجليل: حسين محمّد عجيل، فقد أغنى العدد بمقالة حافلة تحدّث فيها عن صحبته العلامة السرحان في آخر سني حياته الحافلة. وممن أثرى ملف العدد السيدة أم مقداد ابنة العلامة السرحان، والدكتورة إيمان عمر السرحان التي صنعت له ترجمة على غرار طريقة أهـل التـراجـم.

وممن أثرى ملف العدد -أيضًا- بعضُ تلامذته الكرام، وهُم: فضيلة الدكتور محمد ياسين الراوي، والأستاذ الدكتور عمار مرضي علاوي، والدكتور إبراهيم محمد آل فيزي، والدكتور بشار هاشم الشبلي، والسيد أحمد عبد الكريم النعيمي.

واغْتنمَ القائمون على المجلّة الفرصةَ لِيسجّلوا بعض ما لديهم مما يتعلّق بفقيدنا رحمه الله تعالى، فكانت مشاركة مدير التحرير بعنوان: محيي هلال السرحان العالم الإنسان، ومشاركة رئيس التحرير بعنوان: من قضايا التحقيق في حوار مع العلامة السرحان. سائلين الله أن نكون قد أدّينا ما نستطيعه من الأمانة التي حملناها على عاتقنا لأهل العلم والأدب.

أما أقسام المجلّة الأربعة الرئيسة: (الدراسات، والمقالات، والنصوص الأدبية، وعالَم الكُتب)، فقد حفلت هي الأخرى بمشاركات عدد من الأعلام والكتّاب الكرام، نذكرهم بحسب ترتيب مشاركاتهم التي كانت خاضعة لاعتبارات فنيّة -فقط-:

الدكتور علي حكمت فاضل، الأستاذة شيماء حازم محمد، الشيخ محمد زامل السعدون، الأستاذ سامح عثمان، الدكتور ياسين نزال، العلامة أ.د. سعد مصلوح، الأستاذ حسين عدوان، الأستاذ محمد موسى كمارا، الأستاذ يبات علي فايد، الأستاذ بكر آل مهدي، الأستاذة رانيا إبراهيم، الأستاذ أحمد الطائي، الباحث أسامة فاضل، الأديبة لمياء أحمد فؤاد، الشاعر د. وليد الصراف، الشاعر يحيى الحمادي، فضيلة الدكتور عبد الحكيم الأنيس، الشاعر عدنان آل ناصر. فلهُم جميعًا نزجي شكرنا، ونجسّد تقديرنا، ونُخلص دعاءنا. راجين لهم دوام العطاء.

رئيس التحرير

ملف العدد

في تأبين شيخ المحققين العراقيين
العلامة أ. د. محيي هلال السرحان

رحلةُ أربعةِ أعوام
مع العَلّامةِ مُحيي هِلال السّرحان

أ. حسين محمّد عجيل

(محقق وكاتب وشاعر، من العراق)

ثَمَّةَ في تاريخ الأُمم الحيّة، شخصيّاتٌ ثقافيّةٌ تُوظِّفُ سِنِيَّ مَطالع حياتها لأجل غاياتٍ ساميةٍ، وحين تُثمر جُهُودُها، كما تقتضي نواميسُ الدُّنيا، بعد زمانٍ يطول أو يقصر، وتتكلَّل بتحقُّقِ كثيرٍ من مراميها القريبة والبعيدة، وتحوز على شيءٍ من الشُّهرة في اختصاصها، هنا تفترق مصائرُ هؤلاء، ويتكشَّف لهم ولغيرهم مدى إخلاصهم لِما يبغون من أغراض، ومدى حرصهم على بُلُوغها بحسب عُلُوِّ الهمّة وجسامة المطلب، فمنهم مَن يُواصل رحلته اللّانهائيّة في البحث والكشف، في مُحاولةٍ لبُلُوغِ تُخُوم حافّات الكمال الّذي لا يُدرك، ومنهم من يُغريه زائلُ الأضواءِ، فتُعشي عينيه عن غرضه، ويكون ذلك مُنتهى آماله، وهذا وذاك كلاهُما مَنْهُومان لا يشبعان، كما جاء في الأثر.

والعَلَّامةُ الجليلُ، الأُستاذُ المُتَمَرِّسُ الدّكتور مُحيي هلال السّرحان (١٩٣٢- ٢٠٢٤م)، الّذي فقدناه وفقدته البلادُ مساء الاثنين التّاسع والعشرين من تمّوز الماضي، أُنموذجٌ فريدٌ من نماذج الفريق الأوّل، فبعد أن تحقّقت له الشُّهرةُ النّسبيّةُ منذ عُقُودٍ، وذاع صيتُه في تخصُّصه بين الأوساط الأكاديميّة عَلَمًا من أعلام العراق والأُمّة في مجال البحث والتّأليف، وابتداعِ منهجٍ في تحقيق النُّصُوص التُّراثيّة الخطّيّة، مضى يُواصِل رحلتَه المعرفيّةَ غيرَ عابئٍ بِبُهْرَجِ الأضواء والمناصب والصّراع عليهما، مُنقطعًا تمامًا إلى بُحُوثه ودراساته وتآليفه وتحقيقاته وتلامذته ومُريديه، وتطوير منهجه في تحقيق النُّصُوص، حتّى ساعاته الأخيرة في عالمنا، فكان مثالًا للعالِم الزّاهِد المُتبتّل في محراب المعرفة.

لقد فقدَ العراقُ، والعالمُ العربيُّ والإسلاميُّ، برحيله عَلَمًا كبيرًا من أعلامه، واصلَ عطاءه المعرفيَّ طوال سبعين عامًا، كما واصل مسيرته الأكاديميّة الفذّة، فتخرّج على يديه في العُقُود الماضية عشراتُ الآلاف من أبناء البلاد في مراحل التّعليم كلّها، ولأجل ذلك كنتُ قد اقترحت على إدارة دار الشُّؤون الثّقافيّة العامّة بوزارة الثّقافة، في جُملة ما اقترحتُ، أن تُخصِّص له عددًا أو ملفًّا في مجلّةُ (المورد) التُّراثيّة الفصليّة، يُحبَّذ أن يصدر في نهاية هذا العام، فلقد كان من كُتّابها الرُّواد، وله في تحقيق التُّراث ونشره جُهُودٌ مشهودةٌ، فلقيَ مُقترحي استجابةً طيّبةً من مُدير الدّار الدّكتور عارف السّاعدي، ومن الدّكتور حسن عبد راضي رئيس تحرير تلك المجلّة العريقة.

وإذ شاءت إدارةُ تحرير مجلّة (روى) الغَرّاء، أنْ تُحيي هي أيضًا ذكرى العلّامة السّرحان بإصدار هذا الملفّ التّأبينيِّ عنه، وتفضّلت بالطّلب منّي أن أُسهِم فيه، فسأتناول بعضًا من ذكرياتي معه في الأعوام الأربعة الأخيرة من عُمره المُبارك الّتي عرفتُه فيها عن كثب، شاكرًا للإخوة الأكارم دعوتهم هذه، ومثنيًا على مُبادرتهم النّبيلة، وتوجّههم لإحياء مآثر عُلماء البلاد الأفذاذ.

حين أَرْبى العِيانُ على الصُّورة والصِّفة:

تسنّى لي، مُنذ سنواتٍ بعيدةٍ، أن اطّلع على بعض آثار الفقيد، ممّا كان ينشره من مقالات وبُحُوث وكُتُب مُؤلَّفة أو مُحقَّقة. وكنتُ أُكْبِر فيه، وأنا أقرأُ آثاره، توخّيه الدّقّةَ والاتقانَ والأمانةَ العلميّةَ، وسعيَه الدّائبَ للإحاطة والاستقصاء بما لا مزيدَ عليه. وأكبرتُ فيه كذلك خِصلةَ التّواضع الّتي تسطعُ من بين سُطُور بُحُوثه، وتشيعُ

في مُقدّمات كُتُبه ومُتُونها وحواشي المُتُون. وأخذتْ تتشكّل مع الأيّام صُورةٌ له في ذهني هي أشبه شيءٍ بما استقرّ فيه من صُورٍ لأعلام نهضة بلادنا في مطالع القرن الماضي وتلامذتهم، من أمثال: الشّيخ محمود شُكري الآلوسيّ، والأب أنستاس الكرمليّ، والشّيخ الأثريّ، والدّكتور مُصطفى جواد، وعبّاس العزّاوي، والدّكتور عبد الرّزّاق مُحيي الدّين، والدّكتور جواد علي، تلك المُستمدّة من سير أعلام حضارتنا العربيّة الإسلاميّة الكبار في ذُروة مجدها ببغداد العبّاسيّين.

ثُمّ سمعتُ من جميل الأماديح فيه على لسانِ بعضٍ مِمَّن عرفوه عن كثبٍ، فَرَسَّخَ جمالُ صفتِه جلالَ صُورتِه في ذهني. ثُمّ قُدِّر لي بأَخَرَةٍ أن أقفَ وقوفَ العِيانِ على خِصالِ العالِمِ العامِلِ فيه، بعد أن اتّصلتْ بيننا الأسبابُ في أعوامه الأربعة الأخيرة، فأربى العِيانُ على ما وَقَرَ في ذهني من صُورته وصِفته، فاستذكرتُ عندها جمالَ عبارةِ الخليفةِ المأمونِ في وصفِ كُتُب الجاحظِ، الّتي نقلها أبو عُثمانَ في "البيان والتّبيين"[١]، وانطباقها على هذه الحال أيضًا.

في رحاب (المَورد):

كان تكليفي إدارةَ تحرير مجلّة (المورد) التُّراثيّة الفصليّة المُحكّمة، نهاية سنة ٢٠٢٠م، مُناسبةَ التّعارف بيننا، وبدايةَ صلاتٍ طيّبة جمعتنا. وقد وضعتُ وقتها خُطّةً طَموحًا لتطوير المجلّة والنُّهُوض بها، ومن بين فِقْراتها الأساسيّةِ الانفتاحُ على نُخبة المُشتغلين في دراسة تُراثنا العربيّ وتحقيقه، ولا سيما الرُّوّاد منهم، في وقتٍ تُوشِكُ المجلّةُ الرّائدةُ في بابها أن تَطوي نصفَ قرنٍ من عُمرها في خدمة تُراث الأُمّة. وكُنتُ قد رصدتُ أسماءَ كُتّابِها الرُّوّادِ من الّذين أسهموا في كتابة بُحُوث عددها الأوّل الصّادر سنة ١٩٧١م، مُكتشِفًا بسُرُورٍ بالغٍ أنّ فيهم خمسةً من الأعلامِ الأحياءِ، وهم بين مُقيمٍ في البلاد أو تلقّفته المنافي، وكان العلّامةُ السّرحانُ واسطةَ عِقْدِهم، ومن بين اثنين لا يزالان في البلاد. فاتّصلتُ به راغبًا في أن يُسهمَ في مشروع استعادة المجلّة مكانتَها الّتي كانت عليها في العقد السّبعينيّ من القرن الماضي، ويرفدَها بِبُحُوثه وثِمار قلمه، فكان ترحيبُه بالدّعوة كبيرًا كما توقّعتُ، وسعادتُه غامرةً بهذه التّوجُّهات على نحوٍ أكبر مِمّا توقّعتُ، وأبدى استعداده للمُؤازرة والتّعاون ما استطاع إلى ذلك

[١] بتحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م: ٣/ ٣٧٤- ٣٧٥.

سبيلًا، على الرّغم من كثرة انشغالاته والتزاماته الكتابيّة والأكاديميّة الّتي علمتُ، فيما بعدُ، أنّها لا تترك له ساعةً من فراغٍ في نهاره وليله، وهو الشّيخُ المُوشِكُ على بُلُوغ عامه التّسعين.

كان من ثمار ذلك التّواصل مُشاركتُه المُؤثّرةُ في حفلٍ كبيرٍ أقامته دارُ الشُّؤون الثّقافيّة العامّة في الأيّام الأخيرة من سنة ٢٠٢١م، بُمناسبة ذكرى اليوبيل الذّهبيّ لتأسيس (المورد) وصُدُور أوّل عددٍ منها، فبعد أن دعوتُه هاتفيًّا لتشريف الحفل بالحُضُور وإلقاءِ شهادةٍ عن مجلّته الأثيرة، بادر الشّيخُ الجليلُ مُستجيبًا، وزار مكتب المجلّة بنفسه صباح الاثنين ١٥ تشرين الثّاني ٢٠٢١م، وسلَّمَ شهادتَه المكتوبةَ، مع كتابين جليلين تفضَّل بإهدائهما إليّ، ولم أكن يومئذٍ في المكتب، ففاتتني فُرصةُ اللّقاء به يومذاك. كان أوّلهما كتابه المرجعيّ "أُصُول البحث وتحقيق النُّصُوص في العُلُوم الإسلاميّة"، في طبعته الثّانية المُنَقَّحة والمُزَيَّدة[١]، وهو مرجِعٌ نفيسٌ وشاملٌ لكُلّ المُشتغلين في علم تحقيق النُّصُوص بجُمُوله كافّةً، وإن كان مُوجَّهًا في الأساس للمُختصّين منهم بالعُلُوم الشّرعيّة.

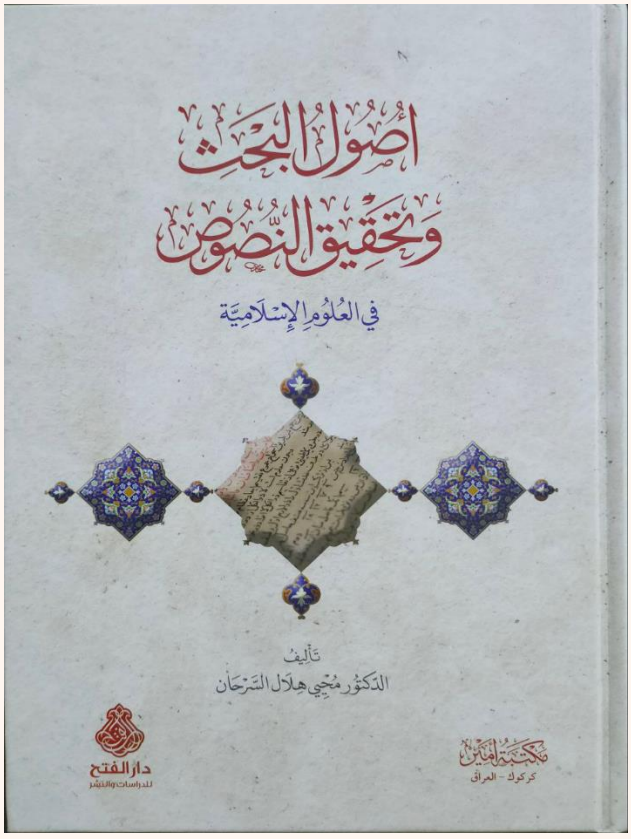

وأمّا الثّاني فهو تحقيقُه لكتاب ابن الحنائيّ قنالي زادة (المُتَوفَّى سنة ٩٧٩هـ) الموسوم بـ "طبقات الحَنَفيّة"[٢] مُحقَّقًا لأوّل مرّةٍ على خمسِ نُسخٍ خطّيّةٍ، بعد أن كان أثبتَ في بحثٍ له منشور قبل أربعةِ عُقُودٍ في مجلّة (المورد)[٣] خطأَ نسبتِه إلى طاشكُبْري زادة في نشرة الحاجّ أحمد نيله للكتاب بطبعته الصّادرة في الموصل سنة ١٩٥٤م. وقد سرّتني مُبادرتُه ولُطفه في إهداء الكتابين، وكنتُ وقفتُ على الطّبعة الأُولى من كتابه الأوّل، وقرأتُ بحثَه القديمَ في

[١] الصّادرة سنة ٢٠٢١م عن دار الفتح في عَمّان ومكتبة أمين في كركوك.

[٢] الّذي صدر سنة ٢٠٢٠م عن مُؤسّسة الضُّحى ببيروتَ ومكتبة أمين في كركوك.

[٣] نُشر بعُنوان "تصحيح خطأ كبير: كتاب طبقات الفُقهاء المنسوب إلى طاشكُبري زادة هو لابن الحنائيّ"، في العدد المُزدوج الثّالث والرّابع من المُجلّد العاشر من المجلّة الصّادر في خريف وشتاء سنة ١٩٨١م. وقد ورد في مُقدّمة تحقيق العلّامة السّرحان لكتاب الحنائي (ص٥) سهوًا أنّ بحثه هذا نُشر في (المورد) قبل عقدين، والصّواب: قبل أربعة عُقُود.

(المورد) عن الكتاب الثّاني. كما سرّني عُلُوُّ همّته في التّتبُّع والإضافة والاستدراك على عمله وعمل غيره وهو في نهايات العقد التّاسع من عُمره.

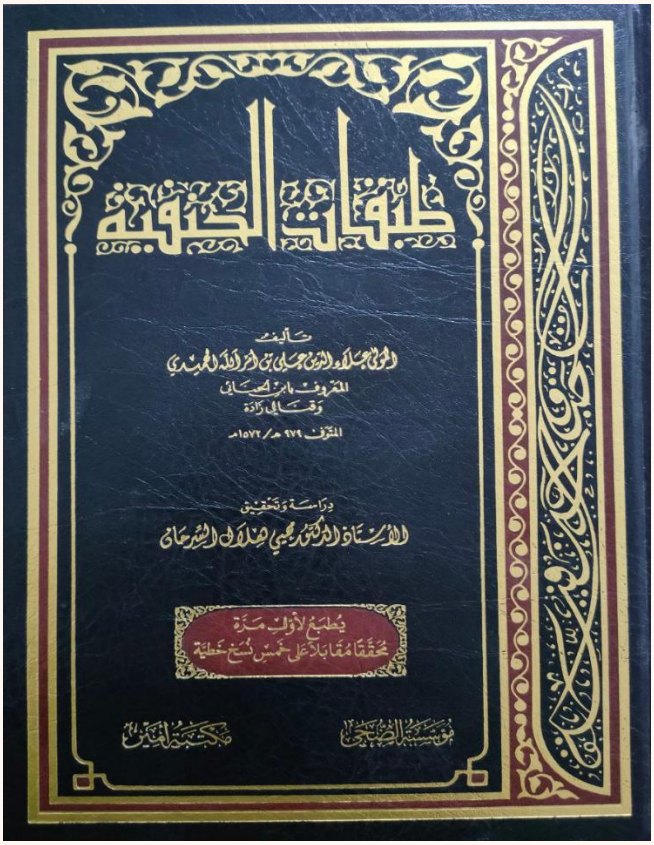

وفي صبيحة الاثنين ٢٧ كانون الأوّل ٢٠٢١م، أُقيم حفلُ (المورد) اليوبيليّ في قاعة مُصطفى جمال الدّين بمقرّ دار الشُّؤون الثّقافيّة العامّة في حي تُونس، برعاية وزير الثّقافة آنذاك الأخ الدّكتور حسن ناظم ومُشاركته، وبحُضورٍ نوعيٍّ كثيفٍ للمُهتمّين بالمجلّة ورسالتها.

وكنتُ قد نشرتُ في صبيحة ذلك اليوم نفسِه مقالةً مُوسَّعةً في جريدة (الصّباح) البغداديّة عُنوانها: "اليوم ذكرى اليوبيل الذّهبيّ لصُدورها، (المورد).. جُهُودُ نصفِ قرنٍ في دراسة التُّراث العربيّ"[١]، قُلتُ بعد مُستهلِّها، مُشيرًا إلى تكريم العلّامة السّرحان في هذه الاحتفاليّة، إنّ دار الشّؤون الثّقافيّة "هيّأت لها برنامجًا حافلًا يتضمّن تكريمًا لنُخبةٍ من أبرز المُشتغلين في حُقُول التُّراث، مِمَّن كانت لهم إسهامةٌ واضحةٌ في هذه المجلّة عبر عُقُود عُمرها المديدة، ومن بينهم اثنان من كبار الباحثين العراقيّين كانت لهما مُشاركةٌ بحثيّةٌ في العدد الأوّل من المجلّة قبل نصف قرن، هما الدّكتور طه مُحسن والدّكتور مُحيي هلال السّرحان".

جاء العلّامةُ السّرحانُ إلى قاعة الحفل مُتعكِّزًا على عصاه، بأناقة الشُّيوخ ووقارهم. وحين علمتُ بحضوره، ذهبتُ للسّلام عليه، والتّرحيب بمقدمه، وشُكره على هديّتيه الثّمينتين.

وجلستُ إليه نتداولُ في شُؤون المجلّة وخُطّة تطويرها. وجاء أحدُ الإخوة الباحثين للسّلام عليه، فوقف مُعَرِّفًا بنفسه إليه، بتواضع العُلَماء، وكأنّه شابٌّ مَغمور: "مُحيي هلال السّرحان".

ثُم شهدتُ بعد ذلك كثيرًا من المواقف

[١] غطّتِ المقالةُ الصّفحةَ الثّانيةَ عشرةَ كُلَّها من عدد جريدة (الصّباح) ذي الرّقم (٥٢٩٨) الصّادر يوم الاثنين ٢٧ كانون الأوّل ٢٠٢١م.

المُماثلة[١]، وتبيّن لي أنّ هذا دَيدنَه في كُلّ مكانٍ، فقد كان التّواضعُ الجَمُّ جُزءًا جوهريًّا في شخصيّته.

وكنتُ اقترحتُ مُسبقًا مُفردات برنامج الحفل، وفيها فِقْرةٌ خاصّةٌ بتكريم الباحثَيْن الرّائدَيْن الدّكتور السّرحان والدّكتور طه مُحسن، بوصفهما الوحيدَيْن في العراق، يومئذٍ، اللّذين أسهما بالكتابة في عدد المجلّة الأول قبل خمسين عامًا. وتتضمّن الفِقْرةُ إلقاءهما شهادتين، ثُمّ تكريم الوزير لهما مع عشرة من الباحثين الرُّوّاد ومَن تلاهم، الّذين أغنوا المجلّةَ بِبُحُوثهم وكتاباتهم. وجاءت شهادةُ الدّكتور السّرحان المُقتضبةُ بعنوان "عبق الفِكْر والتُّراث في مسيرة مجلّة (المورد) الغرّاء"[٢]، ومِمّا قاله في (المورد)، كاشِفًا عن المدى الّذي بَلَغَتْهُ شُهرةُ المجلّة عربيًّا وإسلاميًّا، وعن مدى اتّساع صلاتِه الشّخصيّة بأعلام الثّقافة في بلاد العُروبة شرقًا وغربًا: "فكم حَملتْ يداي الكَليلتان الأعدادَ

منها إلى أساتذتي وزُملائي من الأُدباء والشُّعراء المُتشوِّقين إلى رُؤيتها والاطّلاع على ما فيها من كُنُوز المعرفة ونُصُوص التُّراث في العراقِ والشّامِ ولُبنان، والحِجازِ ومصرَ والسُّودان، وتُوْنُسَ والمغربِ وغيرِها من البُلدان، فهي سفيرة العلم والمعرفة، أقول هذا عن يقينٍ وإيمان". وتمنّى على إدارتها أن "تُحافِظ على جوهرها وشكلها ومادّتها في قادم

[١] من ذلك ما شهدتُه منه يوم لَبّى دعوتي لحُضور ندوةٍ استذكاريّةٍ عقدتْها دارُ الشُّؤون الثّقافيّة العامّة، صبيحة يوم الاثنين ٢٠ شباط ٢٠٢٣م، ضمن مُفردات حفلٍ تأبينيٍّ أقامته بُمناسبة مُرور أربعين يومًا على رحيل رئيس تحرير مجلّة (المورد) الأسبق الأستاذ الدّكتور عناد إسماعيل الكُبيسيّ، وكُنتُ اقترحتُ فكرةَ عقد الحفل، وتولّيتُ الإعداد له وتنظيم برنامجه وإدارة ندوته. وقال لي الدّكتور السّرحان يومئذٍ إنّه يستذكر مواقفَ طيّبةً للفقيد الكُبيسيّ معه يومَ كان يشغل منصبًا دبلوماسيًّا في سفارة العراق بالقاهرة، ولذلك حضر الحفلَ مُبكِّرًا، ولكنّه كعادته جلس في أقرب مكانٍ وجده فارغًا في آخر القاعة، فذهبتُ إليه مُرحِّبًا وداعيًا له أن يجلس في صدارتها، فهذا موضع العُلماء الأعلام نظيره، فتمنَّعَ، ولم يقبل إلّا بعد إلحاحٍ منّي، وقولي أنّني حجزتُ له هذا الكُرسيَّ مُسبقًا. وحين كنتُ أُقدِّم له بعض الأصدقاء الباحثين، كان يقفُ ويُقدّم نفسَه بتواضعٍ شديدٍ لمن جاء يُسلِّم عليه، فكان تواضعُه حديث كُلِّ مَن تشرَّف بمعرفته في ذلك اليوم. (نُشر خبرٌ عن هذا الحفل والنّدوة في العدد الأوّل من المُجلّد الخمسين من مجلّة (المورد)، الصّادر في ربيع سنة ٢٠٢٣م: ص٥٥٧- ٥٥٨).

[٢] نُشِرت الكلمة بهذا العُنوان في (ملفّ المورد في يوبيلها الذّهبيّ) بالعدد الرّابع من المُجلّد الثّامن والأربعين من المجلّة، الصّادر شتاء سنة ٢٠٢١م: ص١٤٧- ١٤٨.

أعدادها على مرّ السّنين والأزمان، مُتوسّمين في إدارتها الحكيمة وكُتّابها النّابهين بذلَ أقصى الجُهد في الحفاظ على مكانتها السّامية الّتي حازت عليها في ما مضى من الأزمان".

ثُمّ ختمَ كلمتَه القصيرةَ الّتي التزمَ فيها السَّجَعَ، بخمسةِ أبياتٍ نَظَمَها في المجلّة والقائمين عليها[١]، فقال:

لِلمَوْرِدِ الغَرَّاءِ فَضْـلٌ وافِـــرُ
فِـكْـرٌ وآدابٌ وعِـلْـمٌ زاخِـــــرُ

تَطْوي بِعِزٍّ عِيْدَها فـي بَهْجةٍ
والفِكْرُ فيــها مُشْرِقٌ أو باهِرُ

قامتْ على إحْيائها مَجْمُوعــةٌ
يَهْديهمُ اللهُ العَزيـــــزُ القادِرُ

حَتَّى نَراها مِنْبَرًا لِلحَقِّ فــي
أَعمالِها والصِّدْقُ فيــها ظاهِرُ

دُمْتم ودامَ العِلْمُ فيكم سَرْمَدًا
إِنِّي على المَجْهودِ مِنكم شاكِرُ

ثُمّ تلتِ الكلماتِ جلسةٌ بحثيّةٌ أدارتها الدّكتورة نادية غازي العزّاوي أُستاذة الأدب العبّاسيّ في كُلّيّة التّربية بالجامعة المُستنصريّة، وشاركني في تقديم أوراقها البحثيّة: الأُستاذةُ المُتمرّسة نبيلة عبد المُنعم داود، والدّكتور عبّاس هاني الجرّاخ، والأُستاذ حسن عريبي الخالديّ، وقلتُ في ورقتي البحثيّة الموسومة بـ"(المورد) بعد يوبيلها الذّهبيّ، رهانُ التّجاوز ومسؤوليّةُ التّنوير"[٢]: "لستُ هنا في مقامِ تقريظِ (المورد) والثّناءِ عليها بما تستحقُّه مسيرةُ نصفِ قرنٍ حافلةٌ بالمنجزِ النّوعيّ، فقد سمعنا جميعًا ما يُسِرُّ ويُبهِجُ من الأساتذةِ الأفاضلِ والأعلامِ المُؤازرين، الذين سَعَدْنا بحُضورِهم هنا لإحياء ذكرى يوبيلِ (المورد) الذّهبيّ، ولا سيما ممّن شهدوا انطلاقة عددِها الأوّل وأسهموا فيه، ومَن واكبوا عطاءَها في أعوامِ توهُّجِها وبعضِ سِنِيِّ خُفوتِها القاهرةِ. ولأنّني من أعضاءِ هيأةِ تحريرِها وشغلتُ منصبَ مديرَ التّحرير فيها طوالَ عامٍ ونيّفٍ، فإنّ الأَوْلى والأليقَ بي أن أعمدَ إلى النّظرِ في شُجونِ حاضرها وشُؤونِ مستقبلِها، وما ينبغي في نظري أن يفعلَ القائمونَ عليها- إدارةً وتحريرًا- لتكون بمستوى ما يُعقد

[١] اعتاد العلّامةُ السّرحانُ أن يَنْظِمَ الشّعرَ في بعض المُناسبات، وهو معدودٌ من شعر العُلماء، وقد تُؤاتيه القريحةُ أن يقول النُّتْفةَ الشّعريّة ارتجالًا. وأعلمني مُريدُه الصّديقُ المُختصُّ بالمخطوطات الأُستاذ مُحبّ السّامرائيّ، مُؤخّرًا، أنّه كان يُخطّط لنشر شعر الفقيد في كتاب، اعتمادًا على ما جمعه منه العلّامةُ السّرحان في بيته، وإن كان لا يضمّ كُلَّ ما قاله في المُنتديات أو نشره في الدّوريّات. فعسى أن يُتمّ الصّديقُ السّامرائيُّ هذا المشروع، فيحفظ به جزءًا من آثار الشّيخ الجليل.

[٢] نُشِرت الورقةُ في (ملفّ المورد في يوبيلها الذّهبيّ) بالعدد الرّابع من المجلّد الثّامن والأربعين من المجلّة، الصّادر شتاء سنة ٢٠٢١م: ص١٤٩- ١٥٦.

عليها من رِهانِ التّجاوزِ، وما يُنتظر منها في الكشفِ عن منابعِ التّنوير في تُراثِنا، مُبديًا في الأثناءِ ما أراه من اقتراحاتٍ للنُّهوض بهذه المجلّة، ومُشيرًا إلى ما قد يُراودني من مُتمنّياتٍ وأحلامٍ"، وأدرجتُ في هذا الإطار جُملةَ مُقترحاتٍ وأفكارٍ، أثنى عليها الوزيرُ بعد الحفل كثيرًا، ووعدَ بعقدِ لقاءٍ تداوليٍّ بشأنها في مكتبه بالوزارة خلال أُسبوع، بحُضُور مُدير الدّار وحُضُوري، لكنّ الأمر -كما هي الحالُ في بلادنا فيما يخصّ شؤون الثّقافة وغيرها- انتهى إلى النّسيان أو التّناسي السّريع، فلم يُعقَد اجتماعٌ، ولا تداول أحدٌ هذه المُقترحات الضّروريّة لتمكين المجلّة العريقة الّتي تُرك مصيرُها لضمائر القائمين عليها، من دون توفير المُمكنات الحقيقيّة لنجاحهم.

وفي نهاية الحفل تسلَّمَ العلّامةُ السّرحانُ من يد الوزير تكريمًا وشهادةً تقديريّةً مُدوّن عليها هذه العبارات، الّتي كنتُ اقترحتُ صياغتها فاعتُمِدتْ: "احتفاءً بجُهُود كبار الباحثين والمُحقّقين والمُشتغِلين في حُقول التُّراث العربيّ، نسندُ إلى الأُستاذ الدّكتور مُحيي هلال السّرحان هذه الشّهادةَ التّقديريّةَ، بمُناسبة ذكرى اليوبيل الذّهبيّ لصُدُور مجلّة (المورد) التُّراثيّة الفصليّة المُحَكَّمة، ونُبارك جهودَه الجليلةَ في مُؤازرتها وتمكينها، وفي رفعة تُراثنا العربيّ".

وبعد نحو عامٍ على هذا الحدث، أي في نهاية سنة ٢٠٢٢م، كانت قد اقتربت ذكرى مُرور أحد عشر قرنًا على وفاة الإمام الطَّبريّ، المُؤرِّخ والمُفسِّر الأشهر في تاريخنا العربيّ الإسلاميّ كُلِّه، وكنتُ قد أعددتُ العُدّة مُبكّرًا لإصدار عددٍ خاصٍّ بهذه المُناسبة مطلع سنة ٢٠٢٣م يُخلِّد هذه الشّخصيّة، وفاتحتُ العلّامة السّرحان بالأمر راغبًا في مُشاركته بهذا العدد، فكان سُروره بالفكرة عظيمًا، ثُمّ قدّم لي بحثَه القيِّمَ "الإمام الطَّبريُّ والمآخذُ عليه في تفسيره"، فنشرتُه في ذلك العدد الاستثنائيّ -في أهمّيّته، واتّساعِ المُشاركة العربيّة فيه، وضبطِه اللُّغويِّ غيرِ المَسبوق، وكذلك في ضخامةِ حجمِه[١]- الّذي ختمتُ به رحلة ثلاثين شهرًا في تحرير هذه المجلّة ذات التّاريخ الحافل[٢].

وفي شهر شباط من ذلك العام نفسه (٢٠٢٢م)، أذكرُ موقفًا دالًّا على شدّة تحرُّجه من أيّ أمرٍ قد

[١] نُشر في العدد الأوّل من المُجلّد الخمسين من مجلّة (المورد)، الصّادر في ربيع سنة ٢٠٢٣م: ص٢٥٣- ٢٦٠. وجاء العدد في ٥٨٠ صفحةً.

[٢] كان عُنوان الافتتاحيّة الّتي كتبتُها لذلك العدد (ص٤- ٦)، هو: "عددٌ خاصٌّ واستثنائيٌّ عن الطّبريّ، ختامُ رحلةٍ ثريّةٍ مع (المَوْرِد)".

يظهر فيه أنّه يُسلّط الأضواءَ على شخصه، ففي لقائنا المُنفرد في مكتب مجلّة (المورد)، عقب الحفل التّأبينيّ المُقام لإحياء ذكرى الأُستاذ الدّكتور عناد إسماعيل الكُبيسيّ رئيس تحرير المجلّة الأسبق، لاحظتُ أنّه جلب معه كيسًا فيه كُتُب، فقال لي: هذا كتابٌ أصدرتْه مشكورةً مُؤخَّرًا باحثةٌ أكاديميّةٌ كنتُ مُشرِفًا على رسالتها للدّكتوراه في التّاريخ الإسلاميّ، فأترك بضعَ نُسخٍ منه في هذا الكيس لديك، واحدة منها مُهداة إليك، ولكَ أن تُهدي الأُخَرَ منها لِمَن تعتقد أنّ الكتاب قد ينفعه في شيءٍ. فشكرتُه على هديّته وثقته، وأخذتُ نُسخةً منه، ثُمّ سلّمتُ نُسخَه الأُخَر إلى عددٍ من الإخوة الباحثين والمُهتمّين.

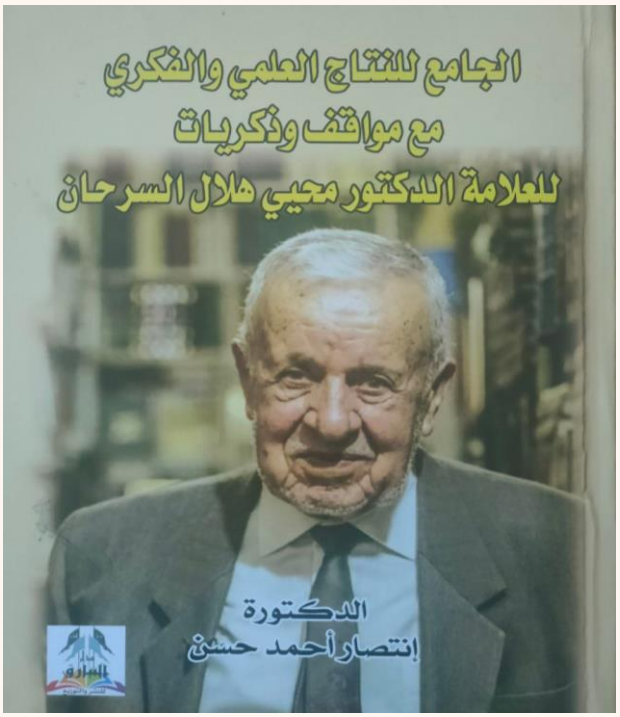

وهذا الكتاب، الّذي وضعته الدّكتورة انتصار أحمد حسن، جاء بعُنوان: "الجامع للنّتاج العلميّ والفكريّ، مع مواقف وذكريات للعلّامة الدّكتور مُحيي هلال السّرحان"[١]. وعُنوان الكتاب لا ينطبق تمام الانطباق على مُحتواه، فهو وإن كان جُهدًا طيّبًا ومُفيدًا نُشِر في حياته، وجاء تكريمًا لجهاده المعرفيّ الطّويل، لكنّه ليس جامعًا لنتاجه العلميّ والفكريّ، كما يُتوقَّع من العنوان، وإنّما ضمّ ما وقعت عليه يدُ المُؤلّفة من أعمال أُستاذها الجليل، وما أتاحه هو لها من طبعات مُصنّفاته خلال زيارةٍ لمكتبته الشّخصيّة.

وتَبقى الحاجةُ ماسّةً، اليومَ، لإصدار كَشّافٍ تحليليٍّ مُتكاملٍ يحصر أعمالَ الفقيدِ كُلَّها، من مقالات وبُحوث ودراسات وكُتُب، وما كُتِب عنه في المراجع والدّوريّات المُختلفة. فعسى أن تتبنّى إحدى المُؤسّسات الأكاديميّة، الّتي خدَمها العلّامةُ السّرحانُ عُقُودًا، مثلَ هذا المشروع الحيويّ الّذي يحفظ آثاره، ليكون مرجعًا شاملًا وجامعًا عنه.

في رحاب المخطوط:

في اليوم الأخير من شهر آذار ٢٠٢٢م، اتّصل بي هاتفيًّا الأخ المديرُ العامُّ لدار المخطوطات العراقيّة، ودعاني للمُشاركة في احتفاليّةٍ تُخطِّطُ

[١] صدر في بغدادَ عن دار البيارق للنّشر والتّوزيع، سنة ٢٠٢٢م. ويقع الكتاب في ٢٧٢ صفحةً.

الدّارُ لإقامتها بعد بضعة أيّامٍ في مبنى الهيأة العامّة للآثار والتُّراث، بمُناسبة يوم المخطوط العربيّ الّذي يُحتفى به عراقيًّا وعربيًّا في الرّابع من نيسان من كُلّ عام، فرحّبتُ بالدّعوة، وتداولتُ معه بشأن أفكارٍ بنّاءةٍ ومُقترحات أراها ضروريّةً لحِفظ كُنُوز تُراثنا الحضاريّ وأرشيف بلادنا الثّقافيّ، في وقتٍ لا تزالُ فيه الأخطارُ مُحدقةً بما نجا بأُعجوبةٍ من هذا الميراث في كوارثَ وأزماتٍ مضت، ومضى معها شطرٌ عزيزٌ من ذاكرة البلاد لا يُمكن تعويضه. واتّفقنا على أن يكون هذا هو مُحور ورقتي الّتي سأُلقيها في الحفل. وطلب منّي في ختام الاتّصال أن أُرشِّح له ثلاثةً من أبرز الأسماء الرّائدة في مجال تحقيق النُّصُوص التُّراثيّة ودراستها ليُشاركوا في الحفل، ويُغنوه بحُضُورهم وخبراتهم. فكتبتُ له بعد قليلٍ الآتي: "أمّا الأسماءُ الرّائدةُ في مجال تحقيق التُّراث، الّتي اقترحتَ أن أبعث بمَن أعرفُ من نماذجها الرّياديّة المُضيئة، فأقول: قد عرفتُ نُخبةً طيّبةً تفخرُ بمنجزها البلادُ كلُّها: منهم الأُستاذ الجليل مُحيي هلال السّرحان، صاحب التّجربة الكبيرة المُتواصلة- برغم ثقل السّنين- في تحقيق نوادر المخطوطات، وكذلك الأُستاذ القدير الدّكتور طه مُحسن، وكلاهما كانا من الكُتّاب المُشاركين في العدد الأوّل من مجلّة (المورد) سنة ١٩٧١م، وقد أسعدانا بحضورهما وكلمتيهما في حفل اليوبيل الذّهبيّ نهاية العام الماضي... ومنهم أيضًا الأُستاذة القديرة نبيلة عبد المنعم داود الّتي قدَّمت ولا تزالُ تُقدِّمُ عطاءً وفيرًا. وفي أدناه أرقام هواتفهم. وستكون لفتة وفاء جميلة منكم دعوتهم لِحُضُور هذه الفعّاليّة والإسهام فيها، وهي فُرصة للتّواصل المُباشر معهم، والإفادة من آرائهم وخبراتهم في أيّ مشروعٍ مُقبلٍ للدّار".

ولأنّني اعتدتُ التّواصلَ المُنتظمَ مع الدّكتور السّرحان والأُستاذة نبيلة عبد المُنعم داود، للتّداول في كثيرٍ من القضايا المُشتركة أو الّتي تتطلّب تشاورًا، سألتهما عمّا إذا كانا سيحضران حفلَ يوم المخطوط، فسرّني قولُها إنّهما سيحضران ما دُمتُ حاضرًا.

وفي صبيحة الاثنين ٤ نيسان ٢٠٢٢م، اتّصل بي نجلُ العلّامة السّرحان صباحًا يسألني عن مكان انعقاد الحفل في هيأة الآثار والتُّراث المُترامية الأطراف، وكنتُ مع المدعوّين في زيارةٍ لقاعات المُتحف العراقيّ حيث يُقام مَعرِضٌ للمخطوطات العربيّة على هامش الحفل، فذكرتُ له أنّ الحفل سيُقام بعد رُبع ساعة في قاعة دوني جورج بمقرّ الهيأة، وأنّنا الآنَ في المَعرِض المُقام بالمُتحف العراقيّ، وخيّرته بين الالتحاق بنا حيثُ نحن أو انتظارنا في القاعة، فقال إنّ والده يُفضّل الانتظار

في القاعة فصِحّتُه لا تُساعده اليوم. وبعد قليلٍ حظيتُ بمُجالسة الشّيخ الجليل، وجلسنا في القاعة ومعنا الأُستاذة المُتمرّسة نبيلة عبد المُنعم داود، نتداول في شُؤون البحث والتّحقيق وأحوالنا. وقال لي إنّه قرأ بإمعانٍ كتاب العلّامة الدّكتور مُصطفى جواد الخطّيّ المجهول "الفُنُون الإسلاميّة"، الّذي كنتُ أهديتُ إليه نُسخةً منه هو والأُستاذة نبيلة عبد المُنعم داود، بعد أن تشرَّفتُ بإخراجه- مُحقّقًا ومُعلّقًا عليه بقلمي مع دراسةٍ مُوسّعةٍ استغرقت مئة وعشر صفحات- من ظُلُمات رُفُوف خزائن حِفْظِ المخطوطات طوال خمسة عُقُودٍ بعد وفاة مُؤلّفه، إلى أنوارِ المكتبات العامّة والخاصّة وأيدي القُرّاء، وصدر هديّةً مع عدد مجلّة (المورد) الأوّل لسنة ٢٠٢١م. ثُمَّ أثنى الشّيخُ الجليلُ على عملي في إخراجه وتحقيقه ودراسته ثناءً كبيرًا دالًّا على عظيم غِبطته، وعلى ما يتمتّع به من روحٍ ساميةٍ لا تبخل بالثّناء، وشاركتْه الأُستاذةُ الفاضلةُ نبيلة عبد المنعم داود الرّأي، حتّى أخجلاني بنبل ثنائهما.

وما أن الْتأَم الحاضرون، وألقى المُديرُ العامُّ لدار المخطوطات كلمةَ الافتتاح، وأعقبه وزيرُ الثّقافة ورئيسُ هيأة الآثار والتُّراث، حتّى أعلمونا نحن الثّلاثة بأنّ الجلسة البحثيّة الّتي سنُشارك فيها ستلي هذه الفِقْرة، فهالني أنّ وقْعَ الخبر كان مُفاجئًا لزميليّ الأُستاذين الفاضلين، وتبيّن لي أنّهما لم يُبلَّغا بالأمر إلّا اللّحظة، وعجبا من أنّني كنتُ مُستعدًّا للحفل وجالبًا معي كلمتي مطبوعةً، وعجبتُ من غياب التّنسيق المُسبق معهما في أمرٍ مُهمٍّ كهذا. ولكنّني -تفاديًا للحرج- حاولتُ تهوينَ الأمر ما أمكنني، مُقترِحًا عليهما أن يتحدّثا عن تجربتهما الشّخصيّة الطّويلة في عالَم المخطوطات من أيّ زاويةٍ مُناسبةٍ.

ثُمّ نُودي علينا لاعتلاء المنصّة، ونُوديّ معنا على العالم اللُّغويّ المعروف الأُستاذ الدّكتور فاضل صالح السّامرائيّ، وكان وزيرُ الثّقافة الدّكتور حسن ناظم شديدَ الاحتفاء بحُضوره؛ لتلمذتِهِ عليه في كُلّيّة الآداب.

وحين ارتقينا خشبةَ المسرح وجلسنا خلف طاولةٍ كبيرةٍ، لاحظتُ أنّ الدّكتور السّامرائيّ -وكان جالسًا على يساري- مُنزعجٌ؛ لأنّه -هو الآخر- فُوجئ بدعوته للمُشاركة في الجلسة من دُون سابقِ إبلاغٍ، فكان يقول بصوتٍ مكتومٍ إنّه ليس مُحقّقًا في الأصل، ولم يُمسِكْ مخطوطًا بيديه في حياتِه كُلِّها، فكيف يتحدّثُ هكذا عن تجربته مع المخطوطات؟ وأمام هذا الجمع! فكان عليّ أن أُهوِّنَ الأمر عليه أيضًا. فقلتُ له بصوتٍ خفيضٍ: إنّك يا دكتور

قدّمتَ على مدى أكثر من رُبع قرنٍ برنامجًا على قناة (أبو ظبي) الفضائيّة عن اللّمسات البيانيّة في القُرآن الكريم، يُتابعه النّاسُ بشَغفٍ في البلاد العربيّة فضلًا عن النّاطقيـن بلُغتنا في العالَـم، والمُصحـفُ الشّـريفُ -بإملائه وجمال خطّه ونوع ورقِهِ- هو أشبه بالمخطوط منه بالكتاب المطبوع، ويُمكنك الآن أن تتحدّث عن واحدةٍ من هذه اللّمسات البيانيّة، لا سيما أنّنا في شهر رمضان الفضيل. فخفّف كلامي شيئًا من تذمُّره.

وتنبّهتُ إلى أنّ الكراسيّ كانت بعددنا نحن الأربعة، وكنتُ أتساءل في نفسي أين مكان رئيس الجلسة؟ وأين هو؟ وإذا بالأخ حاكم الشّمّري النّاطق باسم هيأة الآثار ومُدير إعلامها الّذي كان عريف الحفل، يدعوني إلى افتتاح الجلسة، فقلتُ له: أنا مدعوٌّ لتقديم ورقة بحثيّة، لا لإدارة جلسة! فذكر لي أنّ هذا ما مثبّت لديه في البرنامج الّذي تلقّاه صباحًا...

فكان عليّ، بعد أن هوّنتُ الأمر على زُملائي الأساتذة الثّلاثة، أن أتدارك الأمر وأُهوّنُ الأمر على نفسي هذه المرّة، فأتولّى رئاسةَ الجلسةِ في الحفل الّذي يحضره نُخبةٌ من العُلماء والباحثين والمُهتمّين، وكذلك مُمثّلُ اليونسكو وسفيرُ إيطاليا ووزيرُ الثّقافة. فطويتُ ورقتي المُعدّة، وقُلتُ: إنّني جئتُ

مدعوًّا لإلقاء ورقتي هذه، لكنّني الآن مدعوّ لرئاسة هذه الجلسة، ويُسعدني أنّ أُدير جلسةً تضمّ أمثال هؤلاء الأساتذة الأعلام الكبار. وشرعتُ أُرحّب بالضّيوف والمُتحدّثين، ثُمّ أخذتُ أُطيل في تقديم الشّخصيّات الثّلاث، وأتناول ما أعرفُ من الرّوابط بين سيرهِم الغنيّة، كيّ أُدخلهم في الأجواء وأرفع عنهم بعض ما علق في نُفوسهم من كدر، وذكرتُ فيما ذكرتُ أنّ الجامعَ بين الأساتذة المُتحدّثين أنّهم جميعًا، فيما أظنُّ، تتلمذوا على العلّامة الدّكتور مُصطفى جواد، فقد كان المُشرفَ على رسالة الماجستير للدّكتور السّامرائيّ، وأُستاذًا في الدّراسة الجامعيّة الأوّليّة للأُستاذة نبيلة عبد المُنعم داود كما حدّثتني، وأظنُّ أنّ الدّكتور السّرحان درس عليه كذلك.

ثُمّ قرأتُ شيئًا من مُستهلّ ورقتي، وممّا جاء فيها: "ها هنا ببغدادَ تأمّتْ صناعةُ الورقِ الصّينيّ

القديم الّذي كان سِرًّا لا يُذاعُ، وها هنا تطورّت هذه الصّناعةُ ثُمّ انتقلت بكرم العراقيّينَ إلى العالمِ، وها هنا تكوّنتْ للخطّ العربيّ القواعدُ بعد أن كان للأنبـارِ -كما قال الرُّواةُ- فضلُ السّبقِ في تحوّلات الخطّ العربيّ، ثمّ رُفعتْ هذه القواعدُ بأكُفِّ البغداديّين الثّلاثة الكبار في قرون ثلاثةٍ: ابنِ مُقْلةَ وابنِ البَوّابِ وياقوتِ المُستعصميّ.. حتّى أصبحَ الخطُّ فنًّا عالميًّا اليومَ. وها هنا ببغدادَ ازدهرتِ العُلُومُ والآدابُ والفُنُونُ، فكان بيتُ الحكمةِ ودارُ العِلْمِ والمدرسة النّظاميّةُ والمُستنصريّةُ والشّرابيّةُ ومئاتٌ من موائلِ العلم. وما المخطوطُ الّذي تحتفي به الدُّولُ العربيّةُ اليومَ سوى ثُلاثيّةٍ قوامُها: العقلُ المُبدِعُ، تتوّفرُ له الأداةُ: الورقةُ، وآليّةُ نقل الأفكار: الخطُّ..؟"، فكنتُ أسمعُ وأنا أتحدّثُ إلى عبارات الاستحسان تصلني من الدّكتور السّامرائيّ والدّكتور السّرحان القريبَيْن منّي، عندها أدركتُ بأنّني قد حققتُ غرضي، فقدّمتُ الدّكتور السّامرائيّ للحديث عن القُرآن الكريم من الزّواية الّتي كنتُ اقترحتُها عليه قبل بدء الجلسة، فأخذ يتحدّثُ وقد انفرجت أساريره، عن الفرق بين لفظة الصّوم والصّيام في القُرآن الكريم ما دمنا في مُستهلّ الشّهر الفضيل، مُبيّنًا أنّ الصّوم فيه يُقصد به الإمساك عن الكلام، وتوسّع في الشّرح والتّفصيل، فلقي حديثُه الاستحسان.

ثُمّ قدّمتُ الدّكتور السّرحان بما هو أهلٌ له، فتحدّث عن أهمّيّة المخطوط العربيّ الّذي نقل للأجيال عُلُومَ الأسلاف، وضرورات العناية بحفْظِه من عاديات الزّمان، وتطرّق إلى جوانبَ من تجربته الشّخصيّة الطّويلة مع المخطوط العربيّ، وبعض ما حقّقه من نُصوص تُراثيّة، وكان كلامُه جامعًا مانعًا ماتعًا.

ثّم قدّمتُ الأُستاذةَ القديرةَ نبيلة عبد المُنعم داود الّتي تُلقَّبُ بفارسة التّحقيق، فتحدّثتْ عن المخطوط العربيّ وتجربتها في تحقيقه وفهرسته مُنذ مطلع سبعينيّات القرن الماضي، وأثارتِ الجدلَ والنّقاشَ بما طرحته من مُشكلاتٍ تُواجِه المُحقّقَ في الجامعات وخارجها، مُستغربةً أُسلوبَ تعامل مؤسّسات الدّولة القاصر مع المُشتغلين في هذا الحقل. ثُمّ اختتمتُ هذه الجلسةَ الّتي لقيَتْ تجاوبًا وقوبلَتْ بالاهتمام والإصغاء من الحضور، برغم ما اكتنفها من مُفارقات.

مُشاركتُه الأخيرة -مُدرّبًا- في دورة تحقيق النُّصُوص الخطّيّة:

كثيرًا ما كنتُ أتحدّث مع العلّامة السّرحان والأُستاذة القديرة نبيلة عبد المُنعم داود، وغيرهما من أعلام الباحثين والمُحقّقين، عن إشكاليّةٍ خطيرةٍ تُواجه معظمُ أبناء هذا الجيل الّذين عاشوا في ظُروفٍ غير طبيعيّةٍ مرّتْ بها البلادُ، في عُقُودها الثّلاثة الأخيرة في الأقلّ، ما أفقدَ كثيرًا من المُهتمّين منهم بالتُّراث العراقيّ والعربيّ والإسلاميّ المخطوط، والرّاغبين في التّخصُّص في دراسته وتحقيقه ونشره، فُرصةَ التّحاور والتّثاقف واكتساب الخبرات مِمَّن سبقهم. مُبيّنًا لهما أنّ الحاجة ماسّةٌ اليوم إلى توفير القاعدة المعلوماتيّة الكاملة الّتي تساعد هؤلاءِ الشّباب، من الجنسين، على الإلمام بالخُطُوط العامّة لهذا التّخصُّص الدّقيق، وتمكينهم من التّواصل مع تجارب الأجيال السّابقة الّتي قدّمتْ عطاءً لافتًا في مجال تحقيق النُّصُوص الخطّيّة ودراسة التُّراث العربيّ الإسلاميّ في حُقُوله المُختلفة، والاطّلاع على تجاربهم الغنيّة عن كثبٍ، عبر إقامة سلسلة دوراتٍ تدريبيّةٍ في هذا المجال، تكون مفتوحةً للمُهتمّينَ من الشّبابِ، ممّن لا تزيدُ أعمارُهم عن أربعينَ عامًا، لأجل تطوير مهاراتهم ومدِّهم بالخبرات الّتي تجعلُهم مُؤهلّين لاجتراح مشاريعَ شخصيّةٍ تُناسبُ قُدراتِهم، ورعايتهم والأخذ بأيديهم لحين نشر مشاريعهم الأُولى في التّحقيق، والسّعي- أخيرًا- لخلق الفُرص لهم؛ ببناءِ شراكةٍ بينهم وبين كبار المُحقّقين في مشاريعَ طموحةٍ، يُمكنُهم الإسهام فيها مُساعدين بقدرٍ يُناسبُ إمكانيّاتِهم. فكان الأُستاذان الفاضلان يُؤيّدان هذا الطّرح، ويُبديان الاستعداد للتّعاون وتقديم كُلِّ ما أمكنهما من جُهدٍ في هذا السّبيل.

وحدثَ أن اقترحتُ فكرةَ المشروع في لقاءٍ مع مُديْرَي دار الشُّؤون الثّقافيّة العامّة ودار المخطوطات العراقيّة نهاية شهر أيلول ٢٠٢٢م، بوصفهما مسؤولَيْن عن المُؤسّستين المعنيّتين في وزارة الثّقافة بهذا الملفّ، فرحّبا بالفكرة، ثُمّ وافقا على مشروعي المُقدَّم مكتوبًا إليهما يوم الجمعة ١٦ تشرين الأوّل ٢٠٢٢م، بحيث تنعقد الدّورات بمُشاركة مُدرّبين أكْفاءٍ ذوي خبرةٍ طويلةٍ، وبمشاركة مُحاضرين لهم مُنجزٌ مشهودٌ في هذا المجال. وكان في ذهني أن يُشاركني في التّدريب العلّامة السّرحان والأُستاذة القديرة نبيلة عبد المُنعم داود، فسجّلتُ اسميهما في مُقترح المشروع بعد أن ضمنتُ مُوافقتهما.

غير أنّ ظروف المؤسّستين لم تسمح -على ما بدا

لي- بإقامة "الدّورة التّأسيسيّة الأُولى في تحقيق النُّصوص التُّراثيّة الخطّيّة" إلّا بعد نحو عامين، فافتُتحَتِ الدّورةُ أخيرًا صباح يوم الأحد ٢٣ حزيران ٢٠٢٤م، واستمرّت إلى يوم الخميس ٤ تمّوز ٢٠٢٤م، بمُشاركة ٢٣ مُتدرّبًا من الجنسين.

تدعو دارُ الشُّؤون الثّقافيّة العامّة، ودارُ المخطوطات العراقيّة، المؤسّستان التّابعتان لوزارة الثّقافة والسّياحة والآثار، الشّاباتِ والشّبابَ ببغداد المُهتمّين بالتّراث العربيّ المخطوط، من الرّاغبين في التّخصّص في دراسته وتحقيقه ونشره، ممّن لا تزيد أعمارُهم عن 40 عامًا (ولا سيما من طلبة الدّراسات الإنسانيّة الأوّليّة والعُليا في كُلّيّات الآداب والتّربية والقانون والشّريعة)، إلى المُشاركة في الدّورة التّدريبيّة في مجال تحقيق المخطوطات والنُّصوص التُّراثيّة، الّتي ستُفتتح في مقرّ دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة بحي تونس يوم الأحد 23 حزيران 2024م، وتُختتم فيها يوم الخميس 4 تمّوز 2024م، وتنعقد دروسها النّظريّة والتّطبيقيّة في دار المخطوطات العراقيّة في شارع حيفا بين السّاعة التّاسعة والنّصف صباحًا والواحدة والنّصف بعد الظّهر، ويتولّى التّدريب فيها ثلاثة مُحقّقينَ أكْفاء من ذوي الخبرة الطّويلة في هذا المجال، هم: الأُستاذ الدّكتور مُحيي هلال السّرحان، والأُستاذة المُتمرّسة نبيلة عبد المُنعم داود، والباحث المُحقّق الأُستاذ حسين محمّد عجيل (المُشرف على الدّورة)، وبمشاركة ثمانية مُحقّقين معروفين، يُدلون بخُلاصات تجاربهم الثّريّة في علم التّحقيق بمُختلف حُقوله وتخصّصاته.

تستهدف الدّورةُ- الّتي ستكون مُفتتحًا لسلسلة دورات لاحقة- توفيرَ القاعدة المعلوماتيّة التي تُعين المُشاركين على الإلمام بالخطوط العامّة لهذا التّخصّص الدّقيق، وتمكينهم من التّواصل مع تجارب الأجيال السّابقة الّتي قدّمت عطاءً لافتًا في هذا المجال، والاطّلاع على تجاربهم الغنيّة عن كثب، لأجل تطوير مهاراتهم ومدّهم- عبر دورات أُخرى مُعمّقة- بالخبرات التي تجعلهم مُؤهّلين لاجتراح مشاريعَ شخصيّةٍ تُناسب قدراتِهم، ورعايتِهم والأخذ بأيديهم لحين نشر مشاريعهم الأُولى في التّحقيق بالتّعاون مع إدارة تحرير مجلّة (المورد) التُّراثيّة الفصليّة المُحكّمة، وصولًا إلى خلق المناخ المُلائم، وتوفير المُمكنات اللّازمة لظهور جيلٍ جديدٍ من المُحقّقين، يُكرّس تقاليد المدرسة العراقيّة في التّحقيق المشهود لها بالتّميُّز والفرادة والدّقّة العلميّة، ويرفد بطاقاته وجُهوده المُستغلينَ في هذا الحقل العلميّ الّذي كان لعلماء العراق وأعلامه، منذ مطلع القرن العشرين وعلى امتداد العقود الماضية، دورٌ كبيرٌ في تأسيسه وتطويره، ووضع ملامحِ تشكّله علْمًا من العلوم الإنسانيّة.

علمًا أنّ المُشاركة في الدّورة مجانيّة، وسيحصل المُشاركون النّاجحون على شهادات تُثبت تجاوزهم الدّورة، وستُخصّص للفائزين بالمراتب الثّلاثة الأُولى فيها جوائزُ ماليّة.يُرجى إرسال البيانات الأساسيّة أو السّير الشّخصيّة للرّاغبين في المُشاركة على البريد الإلكترونيّ للمُشرف على الدّورة:

hussein.ajeel2@gmail.com

وللاطّلاع على التّحديثات الخاصّة بالدّورة الرّجاء مُتابعة هذا الحساب على تطبيق (تلكرام):

https://t.me/turath_workshop

وبعد أن كتبتُ منهاج الدّورة مُقسَّمًا بالأيّام بين المُدرّبين الثّلاثة، وعرضتُه على شريكيَّ في التّدريب، أبديا أعجابهما به وموافقتهما عليه كما هو. ولكنّ العلّامةَ السّرحان -رحمه الله تعالى- كان يرغبُ في أن أُقلِّلَ من مُحاضراته ودُرُوسه قدر الإمكان، مُعتذِرًا بأنّه قد يصعب عليه الوُقوف طويلًا في تدريب هؤلاءِ الشّباب، فكنتُ أُخفِّفُ من مُحاضراته، وأعدتُ ترتيب جدول المنهاج أكثر من مرّةٍ قبل الدّورة وأثناءها، بحيث أتولّى أنا تقديم ما رفعتُه من حصّته في أيّام تدريبي في الدّورة، كي تُتاح له فُرصةٌ أكبر للرّاحة في بيته. لقد كان الفقيدُ من ذوي النُّفوس الكبيرة الّتي تُتعب بجسامة مطالبها أجسادَ أصحابها على ما قرَّر أبو الطّيّب المّتنبّي في بيته الخالد.

وحين كنتُ أتلقّى من المُتدرّبين سِيَرَهم على بريدي الرّقميّ قبل انطلاق الدّورة، وجدتُ أنّ بعضهم يذكر في سيرته بفخرٍ أنّه يتلقّى دُرُوسًا في منهج تحقيق النُّصُوص على العلّامة السّرحان في بيته العامر. فسألته عن ذلك مُبديًا سُرُوري بهذا النّشاط، فقال لي ضاحكًا: "مُجبَرٌ أخاك لا بطل!". ثُم أردف شارحًا: "يأتيني بعضُ الشّباب راغبين في التّعلّم، فيصعب عليّ أن أردَّهم، فزكاةُ العلم نشره، وأتحمّل بعض المشقّة في وقت راحتي ليلًا من أجل تأديّة حقّ العلم، وإرضاءً لله تعالى".

إنّ مَن كان يعرفُ العلّامةَ السّرحانَ عن كثبٍ، فهو لا شكّ يعلم حجم المسؤوليّات العلميّة المتنوّعة الّتي كان ينهض بها من دون كللٍ حتّى آخرِ يومٍ في حياته، ففضلًا عن نشاطاته البحثيّة والتّأليفيّة والجامعيّة، وإشرافِه على طلبة الدّراسات العُليا، ومُشاركته في مُناقشة الأطاريح والرّسائل في جامعات البلاد المُختلفة، ببغدادَ وخارجها، كان مُنهمِكًا في الأشهر الأخيرة من عمره في أكثر من مشروعٍ لتحقيق نُصوصٍ تُراثيّةٍ مخطوطةً، من بينها عُكُوفُه على تحقيق رسالة ابن كمال باشا: "في مدحِ السّعي وذمِّ البَطالة"، إذ جمعَ سبعَ نُسخٍ خطّيّةٍ لها من خزائن المخطوطات في العالم. وكنتُ أُتابعُ شخصيًّا مراحل عملِه هذا، وأنتظرُ انتهاءَه منه لدفعه ضمن مشروع نشر كبير. وممّا يُؤسف له أنّ هذا العمل المُهمّ لم يكتمل.

وقد أخبرني مُريدُه الأخ الأُستاذ مُحبّ السّامرائيّ، مُنذ أيّامٍ، أنّ الفقيد كان قد ضربَ له موعدًا عند غروب يوم رحيله؛ لتسليمه صُورةً من مخطوطةٍ طلبها، وكان السّامرائيُّ يهمّ بزيارته في ذلك الأوان، فاتّصل قُبيل الموعد للتّأكُّد من وُجوده في المنزل، فأجابه نجلُه وأخبره بأنّهم نقلوه إلى المُستشفى. وهُناك انتقلت روحُه الطّيّبة إلى بارئها راضيةً مَرْضيّةً.

منهاج الدورة:

- علم تحقيق النّصوص التّراثيّة العمليّة: نظرة تحليلية على تعريفه وأركانه.
- أوّليّة علم تحقيق النّصوص عند العلماء العرب المسلمين.
- دور المستشرقين والمحقّقين العرب المُحدثين في وضع قواعده.
- ما المخطوط؟ مظاهره الأولى ومواده عند تدوين القرآن الكريم.
- دور العرب في نقل صناعة الورق وتطويرها.
- الكتابة العربيّة: بداياتها وتطوّرها، أدواتها، أنواع الخطوط العربيّة.
- في صفات المحقّق ومهاراته.
- انتقاء الكتاب المحقق بهدف تحقيقه.
- التحقق من عنوانه واسم مؤلفه، والتأكد من عدم نشره.
- جمع نُسخه وتصنيفها، وتحديد النسخة الأمّ أو الأصل.
- الإحاطة بالمصادر لتوثيق النّص.
- تشكيلات تحقيق النّسخة الخطّيّة الواحدة، وعلاقاتها.
- مباحث تقدّمة المحقّق.
- قواعد التشكيل والضبط والتهميش.
- التخريج والتعليق والتوثيق.
- كيف يُواجه المحقّق هذه العقبات:
(النّسخة المنقوصة الخطّ، جهل الناسخ، التصحيف والتحريف، التشكّل).

فقدان أوراق، العنوان، والمقدمة المؤلف، وخاتمة النص (المخرم).

- التحليل في تسلسل أوراق المخطوط.).
- أعلام المحققين في العراق وصاحباتهم.
- جهودهم في النقد والاستدراك.
- أبرز صالحيّ المدرسة العراقية في علم تحقيق النصوص.
- دروس تطبيقية في مقابلة نصوص على أكثر من نسخة خطية.

المدربون: الأساتذة المحققون:

نبيلة عبد المنعم داود — حسين محمد عجيل — مجيد هلال السرحان

المحاضرون:

- الأستاذ المتمرس الدكتور صاحب جعفر أبو جناح، الجامعة المستنصرية.
- الأستاذة الدكتورة آلاء ناجح جاسم، مديرة مركز إحياء التراث العلمي العربي– جامعة بغداد.
- الأستاذة الدكتورة نادية غازي العزاوي، الجامعة المستنصرية.
- الأستاذ الدكتور عباس هاني الجرّاح، رئيس تحرير مجلة (المحقق) المحكمة.
- الدكتور حسن عبد راضي– رئيس تحرير مجلة (المورد) المحكمة.
- الدكتور أحمد الحصناوي/ مركز القهرين للدراسات الاستراتيجية.
- الأستاذ حيدر كاظم الجبوري/ عضو هيأة تحرير مجلة (المورد) المحكمة.
- الأستاذة منى ناجي عباس، رئيسة قسم الخزن في دار المخطوطات العراقية.

المتدربون:

1. أحمد سلام خلف صباح الشويدي
2. أنور محمد مرعل
3. بتول عبد العباس حمود
4. د. رغد ريسان صحي
5. رويدة نعيم جلال
6. زين العابدين سرحان عودة
7. زينب عبد الستار عبد الرزاق
8. سلطان صلاح ماجد المالكي
9. سماء طاهر حمود
10. سوزان جميل سلمان
11. عباس ثائر صاحب عمران
12. عدي رياض رحيم
13. علي حبيب محمد
14. علي عباس حمد لفتة
15. علي فالح حداد
16. عمر حياء عباس الطائي
17. غفران جبار علي
18. غيث أحمد صالح مهدي
19. لمى عادل جاسم العلياوي
20. محمد الأمين سالم علي
21. وروة سعيد ياسر
22. يقين عبد العباس حمود
23. يوسف حسين محمد

وأُدرجُ في أدناهُ المُحاضراتِ والدُّرُوسَ الّتي قدّمها ذلك الفقيدُ الجليلُ في أيّام الدّورة، توثيقًا لسيرته العطرة في أواخر أيّامه بالدّنيا:

فقد ألقى في يوم الدّورة الأوّل (الأحد ٢٣ حزيران ٢٠٢٤م) مُحاضرةً في قاعة الاجتماعات بدار الشُّؤون الثّقافيّة العامّة ببغدادَ عُنوانها: "علم تحقيق النُّصُوص التُّراثيّة الخطّيّة: نظرة مُجمَلة على تعريفه وأركانه".

وفي اليوم الثّاني (الاثنين ٢٤ حزيران ٢٠٢٤م)، الّذي أُقيمت فعّاليّاتُه في دار المخطوطات العراقيّة ببغدادَ، كانت مُحاضرته الأُولى تحت عنوان: "ما المخطوط؟ مظاهره الأُولى وموادّه عند تدوين القُرآن الكريم، ودَوْر العرب في نقل صناعة الورق وتطويرها"، وتحدّث في مُحاضرته الثّانية في ذلك اليوم عن "الكتابة العربيّة: بداياتها وتطوّرها، أدواتها، أنواع الخطوط العربيّة"، ثُمّ استفاض شارحًا "في صفات المُحقّق ومهاراته".

وفي اليوم الخامس (الأحد ٣٠ حزيران ٢٠٢٤م) قدَّمَ مُحاضرةً في قاعة الاجتماعات في مقرّ هيأة السّياحة ببغدادَ، عُنوانها: "كيف يُواجِهُ المُحقِّقُ هذه العقبات: النُّسخة السّقيمة الخطّ، جهل النّاسخ، التّصحيف والتّحريف، السَّقْط، الخلل في تسلسل أوراق المخطوط، فُقدان أوراق: العُنوان، ومُقدّمة المُؤلِّف، وخاتمة المتن "الحرد" ..إلخ".

وكان ختامُ مُشاركته مُدرِّبًا في يوم الدّورة الثّامن (الأربعاء ٣ تمّوز ٢٠٢٤م) المُنعقدة فعّاليّاتُه في قاعة الاجتماعات بمقرّ هيأة السّياحة، وكان مُخصّصًا لدرس تطبيقيٍّ تُجرى فيه مُقابلةُ نصٍّ من كتاب مخطوط على أربع نُسَخ، وتلاه درسٌ آخرُ لاستكمال الدّرس التّطبيقيّ، ثمّ مُراجعة للتّجربة عبر استعراض بضعة نماذجَ من عمل المُتدرّبين، وبيان إيجابيّاتها وأوجه القُصور فيها ومُناقشتها.

وكنتُ حاضرًا معه في كُلّ هذه المُحاضرات، أُقدّمُه للمُتدرّبين، وأُشاركُه في تقديم المُحاضرة حين أرى بعضَ علامات الإرهاق عليه، وأشرحُ للمتدرّبين بعضَ ما كان يُقدِّمه من مُلاحظاتٍ قد أجدُها صعبةَ الفهْم لدى بعضهم، وأنقلُ له بعضَ أسئلةِ المُتدرّبين الّتي قد لا يسمعها على نحوٍ واضحٍ أحيانًا. كما شاركتُه في تقديم الدّرسين التّطبيقيّين الأخيرين. وكان غرضي الأهمّ من ذلك كُلّه أن تنتقل خبراتُه المُتراكمة إلى هذا الجيل الجديد من الباحثين والمُحقّقين الشّباب، فيتحقّق أحدُ الأهدافِ الرّئيسةِ في الدّورة.

وأذكرُ أنّني حين تحدّثتُ للمتدرّبين في مُستهلّ تقديمي لمُحاضرةِ الدّكتور السّرحان في يوم الدّورة الثّاني -الّذي جرت فعّاليّاته في مبنى دار المخطوطات العراقيّة- عن شيءٍ من مسيرته العلميّة، فذكرتُ لهم تحفيزًا وتشجيعًا، أنّه نشرَ أوّلَ بحثٍ علميٍّ له في زمن الملك فيصل الثّاني، حين كان طالبًا جامعيًّا سنةَ ١٩٥٤م، وكان يومها أصغر من أيٍّ منكم. فكان أن علَّقَ العلّامةُ السّرحانُ على كلامي بأنّه كان تلقّى شهادةَ تخرُّجه في كُلّيّته من يد الملك

فيصل الثّاني (رحمه الله) شخصيًّا. فكان كلامُه مثارَ إعجابِ المُتدرّبين وفخرهم بأُستاذهم ومُدرّبهم ذي التّاريخ العلميّ المُشرِّف.

وكُنتُ قد تنبّهتُ في يوم بدء الدّورة، عبر حواراتي الجانبيّة مع العلّامة السّرحان، إلى مرور سبعين عامًا على بدئه بنشر أوّل بُحُوثه، ووجدتُه حدثًا حضاريًّا يستحقُّ أن يُحتفى به، لا سيما أنّه لا يزالُ يُواصل عطاءه بهمّةِ الشّباب، فاقترحتُ يومئذٍ على مُدير دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة الدّكتور عارف السّاعدي، في جلسةٍ بمكتبه حضرها الفقيدُ، أن تحتفي الدّارُ بهذه المُناسبة، فرّحب بالفكرة وأبدى استعداده الكامل لتنظيم مثل هذا الحفل، وجرى الاتّفاقُ الأوّليُّ بيننا على أن يُنظَّم الحفلُ في خريف هذا العام، بعد زوال موجة الحرّ، وأُوكلتْ إليّ مهمّةُ الإعداد له. وكنّا نأملُ أن يشهد هذا الاحتفاء به في حياته، لكنّها إرادة الله.

كانت هذه الدّورةُ هي آخر نشاط علميّ ومعرفيّ عامٍّ للفقيد، إذ قدّم خلالها للمُشاركين خُلاصات تجاربه وخبراته، وأشهدُ أنّه كان أُنموذجًا عاليًا للعالِم العامِل، لم يبخل بوقته ولا بجُهده على الرّغم من متاعب الشّيخوخة. وأذكرُ أنّه حين اكتملَ الدّرسُ التّطبيقيُّ الأخير، أخذ معه أوراق الاختبارات، وجلبها في اليوم الأخير مُصحّحةً ومُدقّقةً ومُحدّدة عليها التّقييمات، وأخبرني أنّه سهر اللّيل في سبيل إنجازها بإتقانٍ كي لا يظلم أحدًا.

وعقب انتهاء آخر مُحاضرةٍ بالدّورة أُلقِيتْ صبيحة الخميس ٤ تمّوز ٢٠٢٤م، في قاعة غائب طُعمة فرمان بدار الشُّؤون الثّقافيّة العامة، عقدنا -نحن المُدرِّبين الثّلاثة- اجتماعًا مُغلقًا في قاعةٍ للاجتماعات بمقرّ الدّار نفسها، لتحديد الفائزين الثّلاثة الأوائل على الدّورة، ثُمّ لتوقيع شهاداتهم، وكذلك شهادات المُشاركين، كي تُمنح لهم في حفلٍ ختاميّ يُعقَد في اليوم نفسه.

وكانت قد بقيتْ لديَّ مُراجعةٌ أخيرةٌ لاختبارات بعض المُتدرّبين، وترتيب الدّرجات النّهائيّة لهم، فأنهيتُها في القاعة، ثُمّ شرعنا في المُداولات بشأن أسماء الفائزين بالمراتب الثّلاث الأُولى، بحسب جُملةٍ من المعايير المُحدَّدة سلفًا، من ضمنها اختباراتٌ كُنّا أجريناها خلال الدُّرُوس التّطبيقيّة في ثلاثة الأيّام الأخيرة للدّورة. فتبيّن لنا بعد مُداولاتٍ أوّليّةٍ أنّنا نشتركُ في تحديد اسمَي الفائزين الأَوّلين، ولكن لم يكن لدى الدّكتور السّرحان اسمُ فائزٍ ثالثٍ خلافًا لِما عندنا من تشخيص فرزته المعاييرُ المُعتمدةُ ونتيجةُ الاختبار. فسألتُه عن تقييم ذلك الاسم -الّذي حدّدناه- في اختباره، فأجابني بعد مُراجعة أوراقه أنّ هذا الاسم غير مُدرَجٍ في قائمته أصلًا، فرُبّما لم يُشارك في الاختبار، أو لعلّه لم يُكملْه فلم يُسلِّمْ أوراقه. ولأنّني كُنتُ معه في أيّام الدّورة جميعِها، وأعرفُ كُلَّ المُشاركين فيها، وأُتابعُهم عن كثبٍ، ذكرتُ له أنّ هذا الأخَ المُتدرّبَ بالذّات اعتادَ أن يكتب اسمَه في الاختبارات على ورقةٍ فارغةٍ أو مُنفصلةٍ خلافًا لزُملائه. وهنا قال لي: "نعم تذكّرتُ.. عندي أوراقُ اختبارٍ بلا اسمٍ". فراجعَ الملفَّ واستخرجها. ثُمّ بحثَ بلهفةٍ في مكانٍ آخرَ من الملفّ وأخرج بضعَ أوراقٍ أُخَر، فوجد بينها ورقةً فيها اسمُ ذلك المُتدرّب على ورقةٍ غير مُدرجةٍ مع أوراقِ إجابتِه المُصحّحة في الاختبار، وأخذ يُقارِن بين الخطّين ولون الحبر فيهما فاكتشف أنّهما مُتطابقان، وكان فرِحًا بهذا الاستدراك، وأرانا أنّه كان قد سجَّلَ بالفعلِ لهذا المُتدرّب تقييمًا عاليًا يُؤهّله للفوز بالمرتبة الثّالثة، وأنّه كان يأسفُ بشدّةٍ لأنّ تلك الأوراقَ كانت خُلُوًّا من الاسم برُغم امتياز صاحبها. وبذلك اكتملت قائمةُ الفائزين، وسَرَّنا أنّها جاءت مُتطابقة لدينا.

عندها وضعتُ ورقةً بيضاءَ أمامه على الطّاولة، وطلبتُ منه أن يتفضَّلَ فيُدرج بخطّ يده الكريمة قرارَ لجنة التّدريب الّذي اتّفقنا عليه وأقررناه. فقال لي تواضُعًا منه رحمه الله تعالى: "بل الأَوْلى أن تكتبها أنت بصفتك مُدربًا ومُشرِفًا عامًّا على الدّورة". فأجبتُه بأنّ الإشراف على الدّورة يتطلّب جُهدًا مُضاعفًا لعلّي الأقدر عليه بحُكم السِّنّ، وأنا أرغبُ في أن تكون هذا الورقةُ وثيقةً تاريخيّةً، ولا يصحّ أن يكتبها والحال هذه سوى الأكثر خبرةً وعلمًا وفضلًا بيننا، والأكبر سنًّا، وصاحبِ الخطّ الأجمل. وأيّدتني الأُستاذة القديرة نبيلة عبد المُنعم داود. فقال: "إذن، سأكتبُ ما تُملي". فأكبرتُ الأمرَ، وقُلتُ له: "إنّني سأقترحُ العباراتِ، وأنتم تكتبون ما ترونه مُناسبًا". فسار الأمر على ذلك، وأكملنا

محضرَ القرار الّذي أُدرِجُ صورةً منه هنا بوصفه وثيقةً للتّاريخ. ثُمّ قرأناه ووضعنا تواقيعنا عليه.

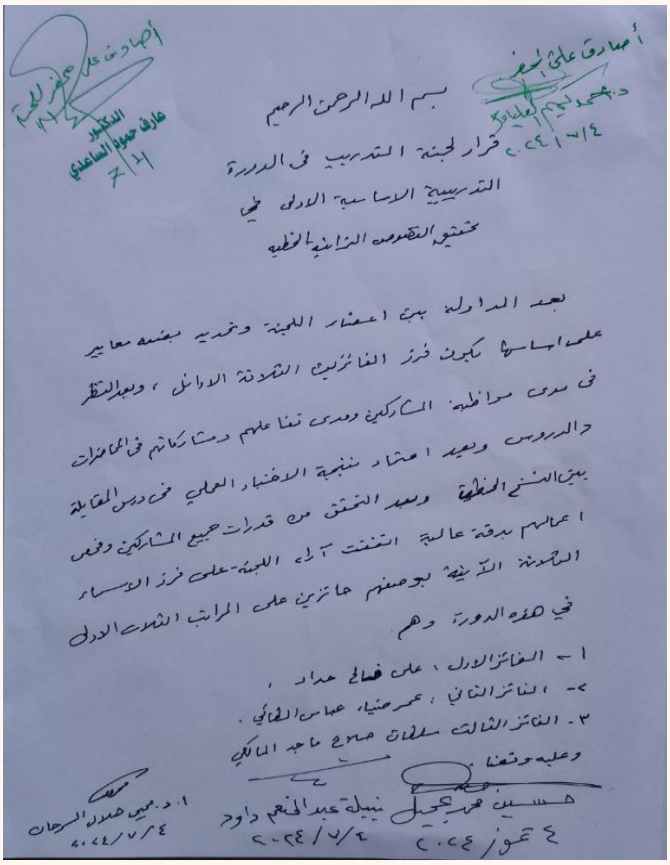

ووقّعنا بعد ذلك على شهادات الفوز والمُشاركة. ثُمّ صادق السّيّدان مُديرا دار الشُّؤون الثّقافيّة العامّة ودار المخطوطات العراقيّة على محضر قرار اللّجنة، وعلى الشّهادات فاعتُمدت رسميًّا.

ثُمّ أُعلنتْ ووُزِّعتْ في حفل اختتام الدّورة يوم الخميس الرّابع من شهر تمّوز الماضي، قبل خمسةٍ وعشرين يومًا من رحيل العلّامة الجليل، تغمَّده اللهُ برحمته ورُضوانه.

وكُنتُ قد أعددتُ مُسبقًا، الصّياغةَ اللُّغويّةَ لشهادة التّثمين والتّقدير الّتي سُلِّمت في حفل الاختتام للفُضلاء والفُضليات من الأساتذة المُدرِّبين، والمُحاضرين الثّمانية، وللإخوة الفائزين الثّلاثة، ولباقي المُتدرّبين المُشاركين بالدّورة. وأُدرج في أدناهُ صُورةً لشهادة التّقدير المُوجّهةِ للعلّامة السّرحان، الّتي كان تسلّمها في حفل ختام الدّورة من مُستشار رئيس الوزراء للشُّؤون الثّقافيّة المُدير العامّ لدار الشُّؤون الثّقافيّة العامّة، وجاء فيها:

"نتقدّم لكم بوافر الشُّكر والتّقدير على ما بذلتموه من جُهد كبير في إلقاء المُحاضرات والتّدريب وتقديم الدُّروس النّظريّة والتّطبيقيّة، مُثمّنين ما قدّمتموه من ثمرات خبراتكم المُتراكمة خلال أيّام الدّورة... ونحن إذ نُثمِّنُ جهودكم العلميّة النّبيلة الّتي قدّمتموها خلال هذه التّجربة الرّائدة، نتمنّى أن تحظى أجيالٌ جديدةٌ من المُحقّقين والمُشتغلين في تُراثنا العربيّ الإسلاميّ بفُرصة التّتلمذ عليكم والنّهل من خبراتكم".

ومِن أسفٍ، لم يتحقّق رجاؤنا الواردُ في ختام هذه الشّهادة، على أنّ عزاءنا في ذلك العلّامة الجليل، ما ترَك من أثرٍ طّيّب في نُفُوس كُلِّ مَن عرَفه، وما خلَّفَ من مُنجزٍ علميٍّ ضخمٍ سيظلّ ينهل منه النّاهلون، وسيُبقي ذكره خالدًا في وجدان

دار الشؤون الثقافية العامة
The General House of Cultural Affairs

الهيئة العامة للآثار والتراث
State Board of Antiquities & Heritage

جمهورية العراق
وزارة الثقافة والسياحة والآثار

شهادة تثمين وتقدير

الأستاذ الدكتور مُحيي هلال المَرحان المُحترم:

المُدرّب والمُحاضر في (الدّورة التّدريبيّة الأساسيّة الأولى في تحقيق النُّصوص التُّراثيّة الخطّيّة).

نتقدّم لكم بوافر الشّكر والتّقدير على ما بذلتموه من جُهد كبير في إلقاء المُحاضرات والتّدريب وتقديم الدُّروس النّظريّة والتّطبيقيّة، مُثمّنين ما قدّمتموه من ثمرات خبراتكم المُتراكمة خلال أيّام (الدّورة التّدريبيّة الأساسيّة الأولى في تحقيق النُّصوص التُّراثيّة الخطّيّة) التي أُقيمت بالتّعاون بين دار الشُّؤون الثّقافيّة العامّة ودار المخطوطات العراقيّة، للمُدّة من يوم الأحد ٢٣ حزيران (يونيو) إلى يوم الخميس ٤ تمّوز (يوليو) ٢٠٢٤م، وافتُتحت أعمالُها واختُتمت بحفلين أُقيما في مقرّ دار الشُّؤون الثّقافيّة العامّة برعاية السّيّد وزير الثّقافة والسّياحة والآثار الأُستاذ الدّكتور أحمد فكّاك البدراني، فيما انعقدت جلساتُها وقُدّمت مُحاضراتُها ودُروسُها النّظريّة والتّطبيقيّة في مبنى دار المخطوطات العراقيّة ببغداد.

ونحن إذ نُثمّن جهودكم العلميّة النّبيلة التي قدّمتموها خلال هذه التّجربة الرّائدة، نتمنّى أن تحظى أجيالٌ جديدة من المُحقّقين والمُشتغلين في تُراثنا العربيّ الإسلاميّ بفرصة التّلمذ عليكم والنّهل من خبراتكم.

حسين محمّد عجيل	الدكتور أحمد الطباوي	الدكتور عارف الساعدي
المُدرّب	المدير العامّ لدار المخطوطات العراقيّة	المدير العامّ لدار الشؤون الثّقافيّة العامّة
المُشرف على الدورة	النّاطق باسم وزارة الثّقافة والسّياحة والآثار	مُستشار رئيس الوزراء للشُّؤون الثّقافيّة

البلاد، وفي ذاكرة أجيالٍ جديدةٍ قادمةٍ من الباحثين وطلبة العِلم.

==========

زاوية بعنوان
"فلسفتي في الحياة"
يقدّمها أ. حميد المطبعي
بخط أ.د. محيي هلال السرحان

حقّقها وقدّم لها بنبذة مختصرة
د. إبراهيم محمد آل فيزي
(باحث في الفقه الإسلامي وأصوله، من العراق)

وُلِد الأُستاذ الدكتور محيي هلال السرحان العجيلي في مدينة تكريت عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، وتلقَّى تعليمه الابتدائي فيها. أَمَّا مرحلة الدراسة الثانوية فقضاها في مدينة سامراء. ثمَّ دفعته الرغبة إلى إِكمال دراسته، فالتحق بكلية الشريعة ببغداد حتى تخرَّج فيها عام (١٩٥٩م) وواصل دراسة الشريعة الإسلامية فحصل على الماجستير فيها من جامعة بغداد بدرجة امتياز عام (١٩٧١م) ثمَّ سافر إلى مصر، حيث حصل على الماجستير أَيضًا من كلِّية الشريعة والقانون بجامعة الأَزهر عام (١٩٧٤م) ثمَّ على الدكتوراه منها عام (١٩٨٢م) في الفقه المقارن بمرتبة الشرف الأُولى.

اشتغل مدرِّسًا في معاهد المعلِّمين في الكوت وبعقوبة، وباحثًا علميًّا في المناهج والكتب بوزارة التربية، والمَجمع العلمي العراقي، ثمَّ نُقل للتدريس في جامعة بغداد في كلِّية الآداب، وتنقَّل بين العديد من الكلِّيات العراقية.

كُـتـبـه:

يبدو أَنَّ الدكتور محيي هلال السرحان كان قد امتلك مقدرة مبكِّرة على كتابة البحث العلمي، فقد نشر أَول بحث له في مجلَّة العلم الجديد عام (١٩٧٥م) وهو ما يزال طالبًا في الكلِّية، وقد كان

(البحث) عن المعلِّم العربي في العصر الأموي. وأَثناء عمله في المجال الجامعي نشر عددًا كبيرًا من البحوث في مجلَّات كثيرة منها مجَّلة كلِّية الآداب، والمَجمع العلمي العراقي، والموارد، والرسالة الإسلامية، وغيرها.

أَلَّف العديد من الكتب سواء كانت منهجية أَو تعليمية، وساهم في بحوث متعدِّدة داخل وخارج العراق.

وقد كتب عنه كثيرون منهم الأُستاذ حميد المطبعي في موسوعة (أَعلام وعلماء العراق) وقال عنه أَنَّه باحث علمي أَلَّف وحقَّق كتبًا عديدة، وممَّا أَلَّف كتاب (القواعد الفقهية) طبع سنة (١٩٧٩م).

كما كتب عنه المؤرِّخ والكاتب المصري الأُستاذ محمد عبد الغني حسن، وامتدحه.

وللأُستاذ الدكتور محيي هلال السرحان نظريَّة في تحقيق المخطوطات ذكرها في كتابه (تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية)، وله نظريَّة أُخرى في فهم الفقه الإسلامي أَودعها في كتابه عن القضاء والقواعد الفقهية.

تحقيقاته: لقد حقَّق الكثير من المخطوطات في العلوم الشرعية منها:

* أَدب القاضي، للماوردي، دراسة وتحقيق (رسالته للماجستير): ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد. ج٢، مطبعة العاني، بغداد عام ١٩٧٢م.

* أَدب القضاء، لابن أَبي الدم الحموي الشافعي: (رسالته للدكتوراه): مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٤م، ج١+ ج٢.

* أَدب القاضي للخصاف: ج١ + ج٢، مطبعة الرشاد، بغداد، (١٩٧٧-١٩٧٨م).

* تسهيل النظر وتعجيل الظفر، للماوردي: مطبعة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

* سير أَعلام النبلاء، للذهبي، ج٢١،٢٢، ٢٣، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤-١٩٨٥م.

* أَدب الفتيا، لجلال الدين السيوطي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٦م.

* تحفة نجباء العصر، للأَنصاري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٦م.

مؤلَّفاته: له مؤلَّفات عديدة، منها:

- تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية.

- أُصول تدريس اللُّغة العربية والتربية الإسلامية.

- القواعد الفقهيَّة ودورها في إِثراء التشريعات الحديثة.

- الشهادتان، معناهما وفضيلتهما وأَحكامهما والتوحيد بهما.

- النظرية العامَّة للقضاء في الإسلام.

- الوجيز في اللُّغة العربية لغير المتخصِّصين.

- أُصول البحث وتحقيق النصوص في العلوم الإسلامية.

- اشترك في تأليف كتاب عن تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية.

- اشترك في تأليف كتاب عن المكتبة وأُصول البحث، وهو كتاب منهجي.

- اشترك في تأليف كتاب في الخطابة، وهو كتاب منهجي.

- اشترك في تأليف كتاب عن مناهج المفسرين، وهو كتاب منهجي في كلِّية العلوم الإسلامية جامعة بغداد.

- اشترك في تأليف كتاب دروس في قواعد اللُّغة العربية وآدابها، وهو كتاب منهجي.

- اشترك في تأليف كتاب في الفقه الإسلامي وهو كتاب منهجي مقرَّر تدريسه في المعاهد الإسلامية.

كتاباته الشعرية: كان الأُستاذ الدكتور محيي هلال السرحان فوق هذا وذاك، شاعر وله قصائد منشورة في عدد من المجلَّات العراقية والعربية، أَمثال: يوم الضاد، بغداد في وهج الخُطوب، من وحي المولد، على أَعتاب رمضان.

إشرافه على الرسائل والأطاريح: أَشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه وحضر ندوات ومؤتمرات كثيرة داخل العراق وخارجه، وله حضور كبير في المشهد العلمي الأَكاديمي في العراق المعاصر، وله تلاميذ كُثُر. وقد شرَّفني الله بأَن كنت آخر الطلاب الذين أَشرف عليهم في حياته العلمية في دراستي للدكتوراه في جامعة تكريت، وقد تمَّت مناقشتي يوم (٢٠٢٤/٦/٣م).

المناصب والعضويات:

أَسهم في نشاط كبير في عدد من الجمعيَّات والمؤسَّسات وشغل العضويات التالية:

- عضو في اتِّحاد الكُتَّاب والمؤلِّفين/ بغداد / (١٩٧٢م).

- عضو الجمعيَّة التأريخية / بغداد / (١٩٨١م).

- عضو اتِّحاد المؤرِّخين / بغداد / (١٩٨٤م).

- عضو نقابة المعلِّمين.

- عضو نقابة الصحفيين.

- مدير تحرير مجلَّة الشريعة والقانون / (١٩٨٩م).

- مدير تحرير مجلَّة الرسالة الإسلامية / (١٩٩١م).

وفاته:

تُوفِّي الأستاذ الدكتور محي هلال السرحان - رحمه الله تعالى- يوم الاثنين: (٢٩/ تموز/ ٢٠٢٤م، الموافق ٢٥/ ذي الحجة/١٤٤٥هـ) عن عمر ناهز ٩٢ عامًا.

أَسأَل الله أَن يُسكنه الفردوس الأَعلى من الجنَّة.

==========

فلسفته في الحياة:

١- هل أَنت في دائرة مفتوحة؟

نعم، فإِنَّ آفاقي مفتوحة لا تحدّها دائرة.

٢- كيف تتعامل مع ذاتك؟

بالشدَّة والقوَّة والهجران فأَحملها في كثير من الأَحيان، ما لا تطيق من الصبر والحرمان.

٣- تواضعك الدائم ماذا يدل؟

يدل على اعترافي بعجزي وتقصيري.

٤- ما الفرق بين النقطة والصفر؟

النقـط عندي وجـود * والصفر عندي عدم

والكتب عندي جنود * والمَجد عندي قلـم

٥- أَيّهما أَكثر حرامًا الحبُّ أَم الشق؟

الحبُّ والعشق واديان من وديان الشوق يؤدِّي التمادي في الأَول إِلى الثاني.

٦- كم في رأسك من غيبيات؟

كثيرة... ولكنَّها خطوط مستقيمة...

٧- كم في أَعماقك من خلُق؟

كثير...

ولكنَّه خطوط منحنية ليست مغلقة.

٨- هل يجوز أَن يكون صوت الخطيب مبحوحًا؟

نعم، إِذا كان لا يسمعه الحاضرون أَو لمعناه لا يتأَمَّلون...

٩- مَن هو شبيهك في الحياة؟

المقدسي، فإِنَّه ذكر في مقدِّمة "أَحسن التقاسيم" أَنَّه لم تعقه كثرة المحن عن المضي في بلوغ هدفه.

١٠- هل صحيح أَنَّ لكلِّ إِنسان خصومًا؟

نعم... إِن لم يكونوا في الحياة ففي نفسه.

١١- هل صحيح أَنَّ الرأفة أَعلى قيمة من الرحمة؟

لا... فهما نور في القلب المؤمن.

١٢- ثلاثة شروط للقاضي العادل؟

مخافة الله، الصبر، العلم.

١٣- ثلاثة شروط للتاجر النزيه؟

صدق، إيمان، سماحة.

١٤- كيف تُصحّح خطأ وقعت فيه؟

إن كان مع الله فبالاستغفار والتوبة..

وإن كان مع العباد فبالإحسان لأنَّ الحسنات يُذهبن السيِّئات..

١٥- أيُّهما يَغلِب: العيب أم العادة؟

العادة سيف مصلت ولكنَّ العيب صخرة مثلمة.

١٦- أنت من أيِّ القضاة؟

أنا في سوح الفضاء زورق...

معتدل، لا ينثني، لا يغرق...

أمواجه من الفضائل تعبق...

يخشى الإله وللحقيقة يعشق...

وكل ما فيه جميل مورق...

١٧- هل صمتك عادة أم سلوك؟

صمتي كصمت الخاشعين تفكرُ

وولوج درب الخاشعين ميسّرُ

بالعزم بالتصميم بالعمل الذي

يسمو ويشرف فهو لا يتعثّرُ

١٨- ما الرجل الذي لا يضبط المواعيد؟

جسم بلا روح...

١٩- هل سمعت أنَّ رجلًا فاز برضا الجميع؟

لا، فرِضا الناس غاية لا تُدرك.

٢٠- هل كل حرام شر؟

نعم، فقد قضت حكمة الله ومشيئته أن لا يحرم شيئًا إلَّا لحكمة قد نُدركها وقد لا نُدركها.

٢١- ما الفرق بين الخطأ والصواب؟

فرق ما بين الخيانة والوفاء.

٢٢- متى يخطئ الزاهد؟

إذا غالى في زهده.

٢٣- إذا وضعوا رجلًا وامرأة على منصة القضاء فأيّهما أعدل؟

أعدلها مَن كان أعدلهما.

٢٤- اكشف صفة من صفاتك العقلية لا يعرفها الأكاديميون؟

ما قلت عن شيء يكون: لا يكون.

٢٥- قل شيئًا أشبه بالحكمة؟

ما أكثر عيوب الإنسان، وما أسهل علاجها، ولكنَّها قد تستعصي على ضعيف الإرادة.

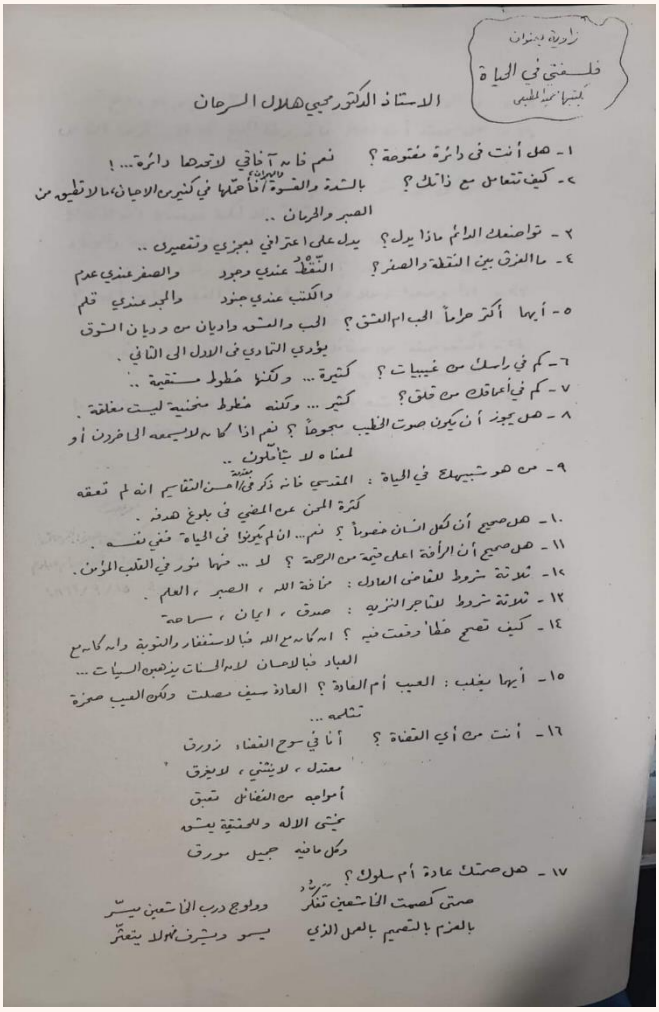
زاوية بعنوان
فلسفتي في الحياة
بقلم: أحمد الطيب

الاستاذ الدكتور محيي هلال السرحان

١- هل أنت في دائرة مفتوحة؟ نعم فانا آتاقي لاتحدها دائرة...!
٢- كيف تتعامل مع ذاتك؟ بالشدة والقسوة أحياناً في كثير من الاحيان، ما لا تطيقه من الصبر والحرمان..
٣- تواصلك الدائم ماذا يدل؟ يدل على اعتزازي بعزتي وتقديري..
٤- ما الفرق بين النقطة والصفر؟ النقطة عندي وجود والصفر عندي عدم والكتب عندي جنود والجهد عندي قلم
٥- أيهما أكثر حزماً الحب أم الشوق؟ الحب والشوق واديان من وديان الشوق يؤدي التنادي في الاول الى الثاني.
٦- كم في راسك من غيبيات؟ كثيرة... ولكنها خطوط مستقيمة..
٧- كم في أعماقك من خلق؟ كثير... ولكنه مخطوط مخفية ليست مغلقة.
٨- هل يجوز أن يكون صوت الطيب مجوجاً؟ نعم اذا كان لا يسمعه الى خرون أو لمناه لا يتأملون..
٩- من هو شبيهك في الحياة: المقدسي فانه ذكرني بأحسن التقاسيم انه لم تعقه كثرة المين عن المضي في بلوغ هدفه.
١٠- هل صحيح أن كل انسان مخبوء؟ نعم... ان لم يكونوا في الحياة فني نفسه.
١١- هل صحيح أن الرأفة اعلى درجة من الرحمة؟ لا... فهما نور في القلب المؤمن.
١٢- ثلاثة شروط للقاضي العادل: مخافة الله، الصبر، العلم.
١٣- ثلاثة شروط للتاجر النزيه: صدق، ايمان، سماحة.
١٤- كيف تصحح خطأ وقعت فيه؟ اما كان مع الله فبالاستغفار والتوبة واما كان مع العباد فبالاحسان لانه الحسنات يذهبن السيئات...
١٥- أيهما يغلب: العيب أم العادة؟ العادة سيف مصلت ولكن العيب صورة تشابه...
١٦- أنت من أي الفضاء؟ أنا في سوح الفضاء نزورق
معتدل، لا يشتي، لا يغرق
أمواجه من الفضائل تتبرق
حيتي الاله والحقيقة يعشقه
وكل مافيه جميل مورق
١٧- هل صمتك عادة أم سلوك؟ صمتي كصمت الناشعين تفكر
وولوج درب الناشعين يسير
بالعزم بالتصميم بالعمل الذي يسمو ويشرف نهوله يتعثر

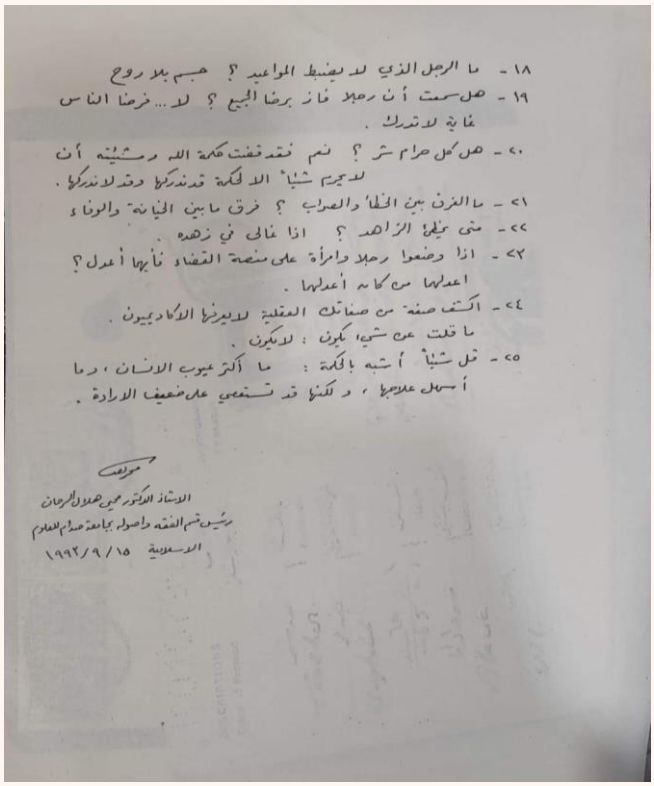
١٨- ما الرجل الذي لا يضبط المواعيد؟ جسم بلا روح
١٩- هل سمعت أن رجلاً فاز برضا الجميع؟ لا... فرضا الناس غاية لا تدرك.
٢٠- هل كل حرام شر؟ نعم فقد قضت حكمة الله ومشيئته أن لا يحرم شيئاً الا لحكمة قد ندركها وقد لا ندركها.
٢١- ما الفرق بين الخطأ والصواب؟ فرق ما بين الخيانة والوفاء
٢٢- متى يبلغ الزاهد؟ اذا غالى في زهده.
٢٣- اذا وضعوا رجلاً وامرأة على منصة القضاء فأيهما أعدل؟ اعدلهما من كان أعدلهما.
٢٤- اكتب صفة من صفاتك المقلقة ليعرفها الأكاديميون.
ما قلت عن شيء يكون: لا يكون.
٢٥- قل شيئاً أشبه بالحكمة: ما أكثر عيوب الانسان، وما أسهل علاجها، ولكنها قد تستعصي على ضعيف الارادة.

مع تحياتي
الاستاذ الدكتور محيي هلال السرحان
رئيس قسم الفقه واصوله بجامعة صدام للعلوم الاسلامية ١٥/٩/١٩٩٢

مَن لهم تأثير في حياتي:

قال عزَّ وجلَّ: ((لَقَد كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَة)) (الأحزاب: ٢١) فالرسول الكريم سيّدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) هو قدوتي، وهو المؤثِّر الأول في حياتي، أسعى جاهدًا للاتِّصاف بصفاته والسير على نهجه، وقد قال تعالى: ((وَمَا آتاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانتَهُوا)) (الحشر: ٧) عسى أن يحشرني ربِّي تحت لوائه يوم القيامة. وقد قال (صلى الله عليه وسلم): ((المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَب)).

أمَّا مَن لهم تأثير في حياتي من الناس: فمن الناحية الشخصية والِداي كِلاهما كان لهما أكبر الأثر في توجيهي ومسيرتي.

وأمَّا مَن لهم تأثير فيّ من الناحية العلمية فأساتذتي الذين درست على أيديهم، وعلى رأس قائمتهم:

جدِّي لأُمي وهو عبد الرحمن محمد طاهر (قاضي تكريت سابقًا). والحاج صالح محمد (معلِّم وإمام وخطيب في تكريت). والشيخ أيوب الخطيب (في سامراء). والشيخ أمجد الزهاوي (في بغداد). والشيخ عبد القادر الخطيب (في بغداد). والأُستاذ محمد شفيق العاني (في بغداد). والشيخ صفاء الدين (شيخ الحلقة في بعقوبة). والشيخ بدر الدين عبد

الباسط المتولِّي (في مصر). والشيخ محمد عبد الرحيم الكشكي (في مصر). والشيخ عبد المقصود شلتوت (في مصر). والشيخ عبد الغني عبد الخالق (في مصر). والشيخ شعيب الأَرناؤوط (في سوريا سابقًا، والآن في الأردن). وغيرهم، وهم كثيرون.

أَمَّا الذين لم أَدرس على أَيديهم بل تأثَّرت بكتبهم فعلى رأس قائمتهم: الإمام محمد بن إِدريس الشافعي المتوفى (٢٠٤هـ) الذي أنتمي إِلى مذهبه الفقهي. والإمام أَبو الحسن الماوردي المتوفى (٤٥٠هـ). والإمام أَبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ).

نموذج مِن نَظْمي بخطِّي الكليل:

نظمتُ في يوم الضاد الذي يصادف عندنا في العراق الخامس والعشرين من تشرين الأَول من كلِّ عام في يوم الاثنين (٢٥/١٠/ ١٩٩٣م) قبل دقائق من الاحتفال وقد كانت لي فيه كلمة:

((يوم الضاد))

حيّيت عيدك حرف الضاد مذ كتبوا

تزهو برونقك الأَقلام والكتبُ

يا يوم عيدك تجلى فيه مفخرة

يحكي خصائصها التاريخُ والأدبُ

سطّرت في حقب التاريخ معجزة

قد صار يفخر فيكِ العجم والعربُ

فاهْنأ بعيدك حرف الضاد مبتهجًا

أَنت الكرامة أَنت العزّ والنسبُ

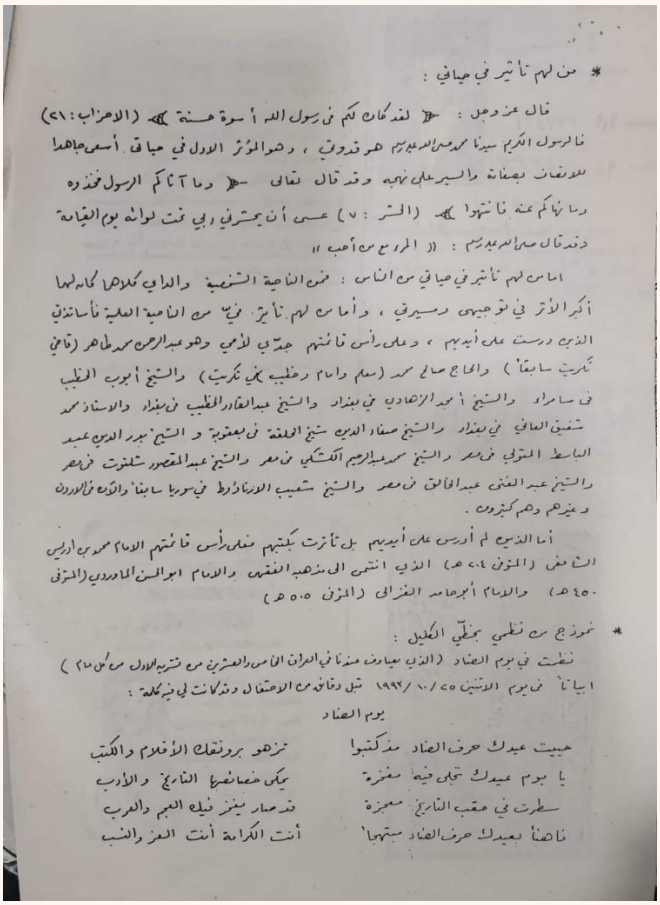

قالَ السرحان عن اللُّغة العربية:

هناك ترابطٌ بين العلوم الشرعية واللغة العربية، إِذ لا يمكن فهم القرآن الكريم دون معرفة اللُّغة والتعرُّف على إِعراب كلماتها ودلالاتها، ثمَّ انَّني لا آتي بجديد عندما أؤكد هذه العلاقة والترابط فهي موجودة مترابطة لدى بعض العلماء العرب، وهي تواصل ترابطها مستندة إِلى مراحل طويلة من التفاعل، وهي تشكِّل امتدادًا لتراثنا العربي، ونكون أَبناء وتلاميذ أُولئك الجَداد

الذين استوعبوا وامتلكوا علوم وثقافات عصرهم وكانوا من الموسوعيين المبدعين وتقسيم الوقت من أَهمِّ أَسباب النجاح إِضافة إِلى حبِّ المادة التي أَكتب فيها. علينا أَن نُعزِّز ما عمل عليه أَسلافنا والاستفادة منه في هذا الوقت، إِذ ليس بالإِمكان أَن ننفكَّ عن تراثنا الذي قدَّم الكثير للإِنسانية لاسيما في العلوم الشرعية، وانَّني أُواصل التأليف والتحقيق في هذه المجالات فأَتوخى خدمة كتاب الله إِضافة إِلى ما ذكرت، ثمَّ هي استجابة لاحتياجات طلبتنا في الدراسات الأَولية والعليا وتعزيز العلاقة بين التراث والقضاء في الوقت الحالي. نعم هناك صعوبات يواجهها الطلبة والمهتمون باللُّغة وقد انتبه جمهرة اللُّغويين إِلى ذلك، وقام مَجمع اللُّغة العربية في القاهرة بنقد النحو المنهجي للدارسين، وقام المَجمع العلمي العراقي بدراسة ومتابعة هذه الظاهرة، وكنت طوال عشرين عاما أَعمل في لجنة الأُصول الخاصَّة بدراسة المشكلات التي تواجهها اللُّغة العربية، وقد درست اللّجنة الكثير من الموضوعات المتعلِّقة بذلك، ولأَهمية تلك المحاضر بادرت إِلى جمعها، وكتب مقدمتها الدكتور عبد الرزاق محيي الدين وقدَّمتها إِلى مجلَّة المَجمع العلمي ولا أَعلم هل نُشرت أَم لم تُنشر لحدِّ الآن؟

لا شكَّ أَنَّ أَفضل تجربة في التعامل مع اللُّغة هي تجربة العراق، حيث كانت هناك لجنة عليا مختصَّة في الحفاظ على سلامة اللُّغة العربية، وكان المَجمع العلمي العراقي يُواصل جهوده الكبيرة في هذا المجال، ومن الضروري استمرار هذه الجهود وتطويرها إِلى ما يؤدي إِلى العناية باللُّغة ومنحها استحقاقاتها وما تشكِّله في حياة وثقافة وتأريخ العرب والمسلمين.

إِنَّ المعالجات أَوسع من ذلك فكثرة الأَخطاء ناتجة عن عدم العناية باللُّغة في مختلف المستويات وأَرى أَن تشمل العناية جميع المستويات، وأَن نبدأَ من الدراسة الابتدائية فنخصِّص لكلِّ فرع من فروع اللُّغة العربية درجة كاملة، فالقراءة منفصلة عن الخطّ وكلاهما منفصل عن المحفوظات، وهذه الدروس منفصلة عن المحادثة والإِنشاء، وأَن يتمَّ ذلك بعد تبسيط قواعد اللُّغة العربية والاقتصار على المشهور منها وتجنُّب التعقيد.

من قضايا التحقيق والمحققين

حوار مجلة روى

مع العلامة محيي هلال السرحان

أجرى الحوار وحرّره:

عمر ماجد السنوي الخالدي

(رئيس تحرير مجلة روى)

إنّ من دواعي الفخر والشرف، أنْ مَنّ الله علينا (نحن أسرة تحرير مجلة روى) بلقاء العلامة أ.د. محيي هلال السرحان، رحمه الله تعالى، وكان ذلك في الثالث والعشرين من شعبان ١٤٤٣هـ، الموافق: ٢٦-٣-٢٠٢٢م، وسجّلنا معه هذا الحوار الذي دار حول قضايا التحقيق والمحقِّقين، ولا غَرو فهو شيخ المُحقِّقين العراقيّين.

أجريتُ هذا اللّقاء مع فضيلته بصحبة الصديق سلطان صلاح، الذي آلت إليه إدارة تحرير المجلة، والذي كان قد زار العلامةَ السرحان قبل ذلك ليطرح عليه فكرة حوار المجلّة، وتفضّل أستاذُنا حينها بإهدائنا بعض مؤلّفاته الجليلة.

ثمّ كان هذا اللقاء بعد ذلك بشهور، وكنّا نؤمّل أن نسجّل لقاءً آخَر معه، يتضمّن الحديث عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية، لنُكرّمه

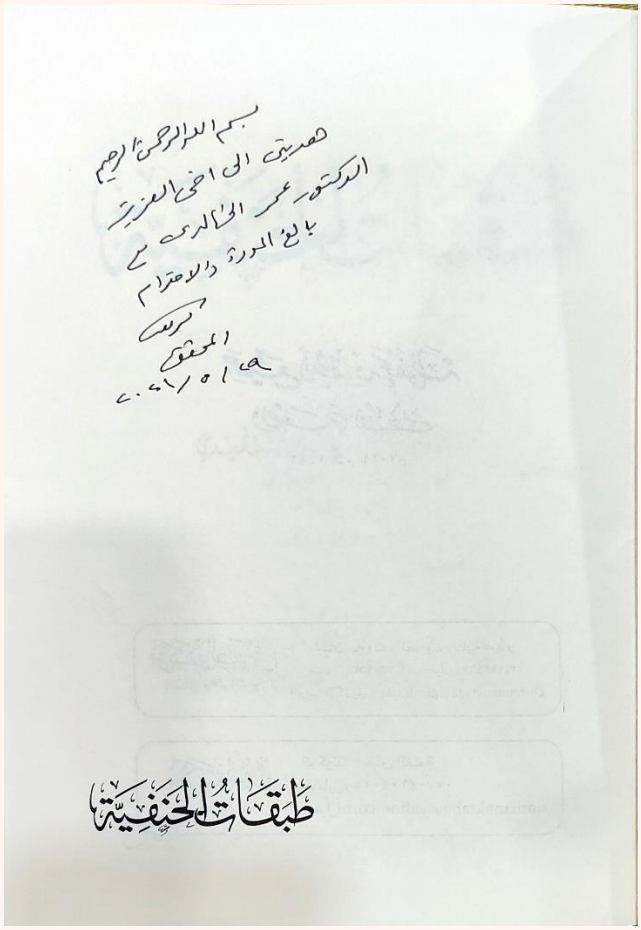

في أواخر حياته بتخصيص ملفٍ يحمل اسمه في عدد خاص من مجلتنا، ولم يكن في الحسبان أن يصبح الملف ملفًا تأبينيًا نرثي فيه فقيدنا العلامة السرحان! فقدَر الله وما شاء فعَل، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وها نحن نقتصر على نشر هذا الحوار، ولعل في بقية مقالات الملف ما يغطّي الكلام عن سيرته الشخصية ومسيرته العلمية وأخلاقه الربّانيّة، فتبقى أهمية هذا الحوار في أنّه متعلّق باختصاصه الدّقيق (فنّ التحقيق) الذي استحقّ لأجله أن يلقَّب بشيخ المُحقِّقين العراقيّين.

وفي هذا الحوار سيجد القارئ أمورًا مهمّة لا يجدها فيما دوَّنه العلامة السرحان مِن أصول التحقيق ومنهجيّته، لأنّه كان في هذا الحوار منبسط النفس، جادَ علينا بضرب الأمثل من واقع تجربته، فتطرَّق إلى الكلام عن عددٍ من أعماله وتحقيقاته، كما تطرّق إلى ذِكر بعض أعلام عصره وزملائه.

لذا سأدع القارئ الكريم يستمتع بهذا الحوار، ولا أطيل عليه في التقديم.

*** إذا وَجدَ المحقِّقُ عدَّة نُسَخ خطِّيّة لكتابٍ ما، فأيّها يُقدِّم ويَعتمِد؟**

لا شكّ أنّ النسخة الأقرب إلى وقت المؤلِّف هي المفضّلة على غيرها، لأنه كلما قرب التدوين من زمن المؤلف تقل فرص الخطأ والتحريف والتصحيف والزيادات والسقط، وكلما ابتعد التدوين عن زمن المؤلّف كلّما زادت فرص التصحيفات والأخطاء ونحو ذلك، وهذا كالإسناد العالي في الحديث الذي يسعى إليه المحدثون، فهذا أيضًا مثله، نراعي القِدم التاريخي للمخطوط، فكل ما هو أقدم أفضل.

وهذه قاعدة نظرية، قد تَتَخلّف عند

التطبيق، فهناك نسخ خطية قريبة من زمن المؤلف ولكن فيها أخطاء كثيرة، وقد حصل ذلك معي، فرأيت أن القِدم التاريخي ليس معيارًا مطردًا لصحة النسخة الخطية، وحصل عندي ست نسخ خطية لكتاب، فكان فيها مثلًا قوله: ويقع في ثمانية أقسام، ثم يعدد مثلا: الأول، الثالث، ولا يذكر الثاني، وفي أخرى: الأول الثاني الرابع، ولا يذكر الثالث، وكلها لا تحتوي إلا على سبعة أقسام، فذهبت إلى الأزهر وفيه نسخة جيدة وإن كانت حديثة من حيث تاريخ النسخ، في سنة ١٣٠٠هـ تقريبًا، إلا أنّ السهو مرَّ على تلك النسخ القديمة كلّها، بينما سلمت هذه النسخة المتأخرة منه، فوجدتُ القسم الضائع في هذه النسخة المتأخرة.

إذنْ ليس شرطًا أن تكون النسخة الأقرب إلى زمن المؤلف معيارًا على السلامة.

والمحقِّق يفحص جميع النسخ، ليتأكد من سلامتها من الخطأ والنقص والزيادة والتصحيف وغير ذلك.

*** إذا كان المخطوط مفقودًا، كأن يكون رسالة قديمة مفقودة، ولكن وجدناها بنصّها في كتابٍ آخر، فهل نعتمد على هذا الكتاب في تحقيق هذه الرسالة المفقودة؟ وكذلك موضوع جمع الدواوين والأشعار التي تُجمَع من عدة كتب، هل يكون هذا من باب التحقيق؟**

هذا عمل نافع، لكن المحقق يجب أن لا يطمئن حتى يقف على النسخ الأصلية للكتاب، بخط المؤلف أو تلامذته أو عليها خطه ونحو ذلك.

*** هناك بعض التحقيقات نجد فيها أخطاء شنيعة في التعليقات مثال ذلك هناك كتاب في الفقه الإسلامي كان يتحدث عن فريضه الحج وأن الإنسان لا تجب عليه سوى حجة واحدة تسمى (حجة الإسلام) فماذا فعل المحقق؟ قام بعمل حاشية على قوله (حجة الإسلام) وترجم للإمام أبي حامد الغزالي الملقب بحجة الاسلام!**

ضحك العلامة السرحان وقال:

هناك كثير من الناس يريد أن يملأ الحواشي بكلام كثير، لتكثير عدد الصفحات، لكي يزيد من حجم الرسالة أو الأطروحة أو ما شابه، فيظن أن التحقيق هو بكثرة الكلام، والكلام إن لم تكن فيه فائدة جديدة فلا حاجة إلى ذكره.

أضف إلى ذلك أنّ كثيرا من المحققين تغلبهم حماستهم ومشاعرهم، مثال ذلك أحدهم حقّق كتابًا لصاحب "فتوح البلدان" البلاذري المتوفى سنة ٢٦٧هـ، وهو كتاب: "أنساب الأشراف" الذي حُقق حديثًا، فوجدت في تحقيق الكتاب: (قال فلان لعنه

الله)، (قالت فلانة أخزاها الله)، ما هذا؟!! هذا المحقق عاطفته خربة. صحيحٌ أن الإنسان قد يميل إلى جهة معينة، لكن لا يكون بهذه الأخلاق.

*** هناك كتاب للعلامة محمود شكري الآلوسي يُكثر فيه مِن ذكر الأحاديث والروايات فهل مثل هذا النصّ يتطلّب من المحقق وجوب التخريج والتعليق على صحّة الروايات؟**

في يوم من الأيام عندما طُبع لي كتاب "أدب القاضي" لابن القاص، جاء ذكر الخنساء في النص، فترجمت لها في الحاشية، وذكرتُ أنه قد ظهر كتاب كذا وكذا فذكرت معلومات عنه. فقرأ هذا الكلام الدكتور إبراهيم السامرائي رحمه الله، فقال: "هل يحتاج أحدنا إلى أن يترجم للخنساء!؟"، فقلت: له يا دكتور كم لك الآن في الخدمة؟ هل علمتَ أنه صدر ببغداد كتاب عن الخنساء في جزأين؟ والكاتب ليس أديبًا، بل يعمل في سلك القضاء، وهذا هو الذي دعاني إلى تسجيل هذه الحاشية لأجل هذه الفائدة.

فالتعليق إن لم تكن فيه فائدة جديدة فلا حاجة له، ويبقى الأصل هو ضبط النص.

وأضرب لك مثلًا برَجُلٍ جاءني وقد حقّق مخطوطًا وفيه عنوان بداخله: (كتاب البيع)، فاستغرق في لفظة "كتاب" ربما اثني عشر سطرًا، ثم جاء إلى لفظة "البيع" وصنع الصنيع نفسه فملأ الصفحة كاملة تعليقًا على هذه اللفظة! فقلت له: ما هذا! لماذا تملأ الصفحات بكلام لا جديد فيه؟!

*** إذن الشروح والتعليقات على النَّص المحقَّق يجب أن تكون إبداعية وليست حشْد كلامٍ لا ينفع من هنا وهناك لملء الصفحات؟**

نعم، لذلك نعرّف التحقيق بأنّه "إخراج نص المؤلِّف كما هو أو قريب منه". هذا هو العمل الأصلي في التحقيق، أما الحواشي فقسم منها مهم جدًّا لبيان شيء يستدرك به على المؤلف أو يضيف معلومات أو يشرح مفردة غريبة جدًّا ونحو ذلك. أما الكلمات التي هي متداولة فلا حاجة إلى شرحها والكلام عنها.

فالمحقِّق العارف يستهجن مَلء الصفحات بكلام مكرر ليس فيه جديد، لأن الأصل في التعليق أن يكون فيه جدة وأن تكون فيه إضافة وفيه ما يثري المعرفة، فيكون التعليق بذلك يستحق التدوين، أما الكلام المعتاد الذي ليس فيه غناء وليس فيه جدة فالأحسن الابتعاد عنه.

*** هل يوجد معجم للمؤلّفين الأتراك، فهناك الكثير من المتأخرين منهم نقف على مخطوطاتهم ولا نعرف لهم ترجمة؟**

يوجد معجم الأعلام باللغة التركية، يفيدنا في معرفة تراجم المتأخرين في الدولة العثمانية، لأن

هؤلاء معلوماتنا عنهم قليلة جدا. وهو في حوالي عشرة أجزاء، بخط صغير، فيه معلومات نادرة عن علماء عاشوا في زمن المؤلف، والمؤلف اسمه: شمس الدين سامي.

*** إذا أراد شخصٌ أن يحقّق كتابًا فكم مِن نسخة يحتاج للاعتماد؟**

أنا أعجبني كلام للدكتور مصطفى جواد يقول: يجب حشْد جميع النسخ أمام المحقِق ويقابلها كلّها.

ولكن قد يكون هذا مستحيلًا، لأن جمع النسخ من جميع بقاع العالم قد لا يتأتّى لأحد، فلذلك إذا توفّرت لدينا نسخة المؤلف فإننا نستغني بها عن أي نسخة أخرى، إلا إذا احتجنا إلى ما يساعدنا في قراءة النص، لأن خطّ المؤلف قد لا يكون بذاك الوضوح، فالنسخ الأخرى تساعد على قراءة خطّ المؤلف.

*** كخط ابن حجر العسقلاني مثلًا؟**

نعم، عندي نسخه بخط ابن حجر، حروفها غير منقوطة، ورسم الحروف غريب، فاضطررت في بداية العمل إلى القراءة في نسخة أحد تلاميذه، لأنها واضحة ومنقوطة، لتساعدني في قراءة كلام ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

*** من الأمثلة أيضًا: كتاب "التذكرة النحوية" للزركشي، موجود بخطه، ومتاح على شبكة الإنترنت منذ سنوات، وكثير من المحققين يعرفون خبره، لكن للأسف إلى الآن لم يُحقَّق، والسبب هو صعوبة قراءة خطّ الزركشي. ومع ذلك أنا مصرّ على أن يخرج الكتاب، ولعلّي أفعل ذلك بالتعاون مع بعض المحقِّقين إن شاء الله.**

الأصل أن تعتمد على نسخة المؤلف، إذا وجدت نسخة أخرى تعين على قراءتها فهذا أفضل.

*** إذا لم نجد نسخة المؤلف ماذا نصنع؟**

إنْ لم نجدها فلعلنا نجد نسخة عليها توقيعه.

حصل أن جاءني الدكتور محسن عبد الحميد، ومعه شيخ كبير جليل، فقال لي: هذا الشيخ جاءني وقال عثرت على هذا الكتاب وفيه أحاديث وآيات لعله كتاب ينتفع به الناس إذا حُقق وطبع، فطالعتُ الكتاب، ثم قلت له: سأدلّك على مَن هو أفضل مني في التحقيق -وهذا تواضعٌ منه-.

فجاء به إليّ متواضعًا، وطلب منّي تحقيقه، فتبيّن لي أنه تفسير الكواشي، وهذا الكلام في سنة ١٩٨٩م، فأعطاني الكتاب وفيه النصف الأول من التفسير، وصل به إلى نهاية سورة الكهف، فقرأته، ووجدت كتابته متقنة جدًّا، وفيه في بدايته: "قرأت هذا الكتاب على مؤلّفه أبقاه الله [يعني في حياته] في مجالس آخرها في يوم كذا شهر كذا سنة ٦٦٦هـ"، والكواشي توفي سنة ٦٨٠هـ، أي قبل وفاته بأربع

عشرة سنة. وفي أسفلها بخطّ الثلث الواضح المتقَن كتب: "صح ذلك، كتبه الكواشي" أي توقيع المؤلف. فكانت هذه بمثابة نسخة المؤلف، ولم أجد فيها خطأ سوى أشياء طفيفة جدًّا.

فمثل هذه النسخة فريدة جدًّا، ومع ذلك لما وجدتها ليست بخط المؤلف، فقلت سأبحث لعلي أجد نسخة المؤلف بخطه، ولأن هذه النسخة هي جزء من التفسير وليست كله، ولا يصح أن يطبع جزء من الكتاب دون البحث عن بقيّته؛ فراسلت المكتبات وذهبت إلى بعضها بنفسي في العراق وخارجه، فحصلت ثلاث نسخ كلّفتني ثلاثة ملايين في ذلك الحين سنة ١٩٨٩م، فجمعتها وضممتها إلى ما عندي مما حصلته من العراق أيضًا، ومن جملتها نسخ المتحف العراقي ومخطوطات الأوقاف والموصل، ومنها نسختان كاملتان.

وفي مخطوطات الأوقاف عندما كنا نصوّر النسَخ، قال لي المصور -وهو الأستاذ محبّ الدين السامرائي-: لقد صوّرتُ كل النسخ ما عدا نسخة حجمها كبير، أكلتها الأرضة بمقدار كف اليد، من أول ورقة فيها حتى آخرها! فقلتُ له: هذا كتاب مخطوط فلا يصح أن نهمله فيضيع علينا، فلو وجدتَ فيه سطرًا واحدًا من كل صفحة فأرجو أن تصوّره لي. وبالفعل صوّره واستفدتُ منه. فلو تركنا مثل هذا الكتاب ستفوتنا فوائد كثيرة، فهذا شيء من تجربتي ورأيته بنفسي.

فالشاهد أن يسعى الإنسان إلى الحصول على أكثر قدر ممكن من النسخ المخطوطة للكتاب، فحينما جَمعتُ هذه النسخ استطعتُ أن أمضي في التحقيق، ولكن التعطيل يكون في الطباعة! وإلى الآن لم ننتهِ منه! فقد طبع إلى الجزء السابع، وقد قدمت الأجزاء إلى المطبعة منذ عام ٢٠١٥م.

وقد أتممته لكن الأجزاء الأخيرة تحتاج إلى مراجعة، فإلى البارحة تقريبًا أنهيت مراجعة الجزء التاسع، فلعلّي أرسله قبل رمضان القادم.

والكتاب كلّه يقع في سبعة عشر جزءًا، ولكن الطباعة عندنا سيرها بطيء.

*** صاحبكم الدكتور بشار عواد معروف هل يمكنه أن يساعدكم في تسهيل طباعة الكتاب؟**

الدكتور بشار، أنا اشتركت معه في تحقيق الأجزاء ٢١ و ٢٢ و ٢٣ من سيَر أعلام النبلاء، للذهبي، وأغلَب العمَل فيه كان مِن قِبَلي، مع اعتزازي بالدكتور بشار على علميته وفضله، وكنا زملاء هنا، أحيانًا أذهب إليه في منطقه الحسينية، أو يأتيني هو في البيت، فكنا نتساعد على العمل.

وبالمناسبة: كان الدكتور بشار قد طلبَني إلى

جامعة في الأردن، وبالفعل حصلت الموافقة فيما بعد، واتّصل بي وقال: لا بد أن تأتي، ولكني اعتذرت وقلت له: لقد تغيرت الظروف ولا أستطيع أن آتي، فقال لي: ما كان ينبغي أن تعتذر وتفوت الفرصة.

*** فيما يتعلّق أيضًا بالنسَخ الخطيّة، قد نجد بعض النسَخ عليها عنوان خطأ، أو منسوبة خطأ، أو مفهرسة خطأ؟**

نعم، قد يُكتب على الكتاب اسم المؤلف الذي تبحث عنه، حصل أنني أرسلت مرةً أطلب مخطوطًا من ألمانيا، في مكتبة برلين، وهي مفهرَسة على يد "وليم ألورد" ألماني، تقع الفهرسة في أربعة عشر جزءًا كبيرا، فرأيت في الفهرس "أدب القضاء" للماوردي، فأرسلت أطلبه، وذلك حينما كنت طالبًا سنة ١٩٦٧م، فجاءني الكتاب مصوّرًا ميكروفيلم من النوع القديم جدًّا، فرأيته وقرأت فيه في أوّله بالآلة الكاتبة: أدب القضاء للماوردي. ثم قرأت الكتاب ووجدتُ فيه أسماءً لعلماء جاؤوا بعد الماوردي بمئة سنة أو أكثر، مثل أبي حامد الغزالي، والمؤلف توفي سنة ٤٥٠هـ، والامام الغزالي مولود سنة ٤٥٠هـ، ومثل ذلك أيضًا العز بن عبد السلام المتوفى ٦٢٣هـ، فليس من المعقول أن يأخذ المؤلف بأقوالهم في الكتاب، وكثير غيرهم من التأخرين عنه، لكن استفدتُ من هذا الكتاب كثيرًا من الأقوال التي لم أعثر عليها في الكتب الموجودة عندي.

كذلك الكثير من الكتب الأخرى يُستفاد منها في توثيق الأقوال والآراء الواردة في الكتاب.

مثال ذلك: كتاب الحاوي الكبير، لم يكن مطبوعًا، اقرأ الجزء التاسع عشر منه ستجد المحقق يقول: اعتمدنا في هذا الباب على ما قدمه فلان في تحقيقه لأدب القاضي، وهو يقصدني. فنقلَ جميع ما كنتُ أوردته في تحقيق ذاك الباب، لأنّي كنُت حريصًا جدًّا على خدمة الكتاب.

ولما قدّمت أطروحتي للدكتوراه في الأزهر وجئت بنسخة من جامعة عين شمس فذهبت إلى الجامعة حاملًا الكتاب بيدي وسألت أين الدكتور محمد الحنفي الحسيني؟ قالوا هو رئيس القسم وهذه غرفته لكنه غير موجود الآن، وإنما تجده عند عميد الكلية، فذهبت إلى مكتب عميد الكلية فرأيت البواب فسألته هل عندهم اجتماع؟ فقال: "لا، تفضّل"، فدخلت وسلمت على العميد وعلى رئيس القسم الدكتور محمد الحنفي، فقلت له: هذه رسالة أنت أحد أعضاء مناقشيها، فقرأ اسمي: محيي هلال السرحان، فقال: أنت السرحان محقق كتاب أدب القاضي؟ فقلت: نعم، فقام من مكانه وقبّلني،

وقال: أنا معجب جدًّا بالكتاب وعملك فيه، وكنتُ حينها في الكويت وبعثتُ أطلبُه من العراق فوصلَني وقرأته وأعجبني جدًّا.

وبالفعل نالَ استحسانَ كثير من الناس، وما زلت أفخر به، الحمد لله.

*** أثقلنا عليكم فضيلة الدكتور، ولكن ذلك مِن طمعنا بفوائدكم وعلمكم.**

السرحان:

لا، بالعكس، أهلًا بكم.

==========

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة العلميّة لمحقّق الكتاب

الاسم الرباعي والنسبة: الأستاذ الدكتور محيي هلال سرحان إبراهيم العقيلي، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه.

محل الولادة وتاريخها: تكريت (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م).

الاختصاص العام: الشريعة الإسلامية.

الاختصاص الدقيق: (الفقه المقارن) واختص مؤخراً بتحقيق مخطوطاته.

التحصيل الدراسي:

١ - بكالوريوس في الشريعة الإسلامية - كلية الشريعة بغداد ١٩٥٩ (امتياز).

٢ - ماجستير في الشريعة الإسلامية (الفقه المقارن) جامعة بغداد ١٩٧١ (بمرتبة الامتياز).

٣ - ماجستير في الشريعة الإسلامية (الفقه المقارن) كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ١٩٧٤ (معادلة).

٤ - دكتوراه في الشريعة الإسلامية (الفقه المقارن) كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر ١٩٨٢ (بمرتبة الشرف الأولى).

٥ - حصل على لقب (أستاذ) من جامعة بغداد ١٩٩٠ ومرتبة (الأستاذ الأول) في كلية صدام للحقوق ٢٠٠١، ولقب (الأستاذ المتمرس) من جامعة النهرين ٢٠٠٨م.

التدرّج الوظيفي: مارس التدريس في دور المعلمين ومعاهدهم ١٩٥٩ - ١٩٧١، وباحثًا علميًّا في المناهج والكتب بوزارة التربية والمجمع العلمي العراقي ١٩٧١ - ١٩٧٥، ثم انتقل إلى التدريس في الجامعات العراقية، وتسلم عمادة كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد ١٩٩٣ - ١٩٩٦ مع استمراره في تقديمه الخبرة في لجنة

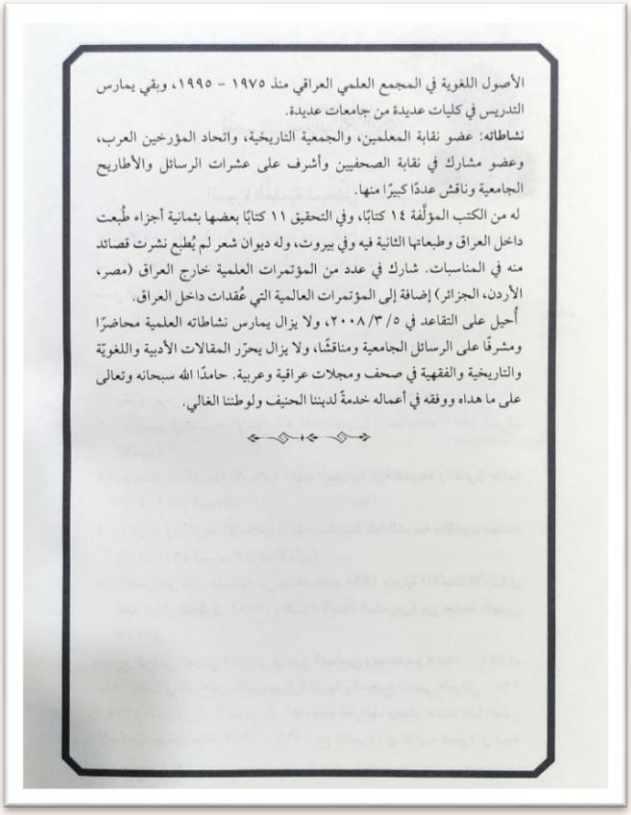

الأصول اللغوية في المجمع العلمي العراقي منذ ١٩٧٥ - ١٩٩٥، وبقي يمارس التدريس في كليات عديدة من جامعات عديدة.

نشاطاته: عضو نقابة المعلمين، والجمعية التاريخية، واتحاد المؤرخين العرب، وعضو مشارك في نقابة الصحفيين وأشرف على عشرات الرسائل والأطاريح الجامعية وناقش عددًا كبيرًا منها.

له من الكتب المؤلّفة ١٤ كتابًا، وفي التحقيق ١١ كتابًا بعضها بثمانية أجزاء طُبعت داخل العراق وطبعاتها الثانية فيه وفي بيروت، وله ديوان شعر لم يُطبع نشرت قصائد منه في المناسبات. شارك في عدد من المؤتمرات العلمية خارج العراق (مصر، الأردن، الجزائر) إضافة إلى المؤتمرات العالمية التي عُقدت داخل العراق.

أُحيل على التقاعد في ٢٠٠٨/٣/٥، ولا يزال يمارس نشاطاته العلمية محاضرًا ومشرفًا على الرسائل الجامعية ومناقشًا، ولا يزال يحرّر المقالات الأدبية واللغوية والتاريخية والفقهية في صحف ومجلات عراقية وعربية. حامدًا الله سبحانه وتعالى على ما هداه ووفقه في أعماله خدمةً لديننا الحنيف ولوطننا الغالي.

سيرة العلامة محيي هلال السرحان المثبتة في آخر تحقيقه كتاب: "طبقات الحنفية" لابن الحنائي

محيي هلال السرحان
العالِم الإنسان: الرؤية والمِنهاج

سلطان صلاح ماجد
(باحث في التاريخ مهتم بشؤون
الكتب والمكتبات، من العراق)

في بادئ الأمر أشكر الله جل في علاه أن جعلني وأنا ما أزال شابًا هاويًا للتراث أقتاتُ على الموائد لعلّه يصيبني من صنيع الكرام شيءٌ، وأن يسّر لي بفضله مُجالسة عدد كبير من أهل العلم، ومن جُملة هؤلاء العلماء جالست العلامة المحّقق والشيخ المدقّق أستاذ الجيل -بحقّ- أ.د. محيي هلال السرحان، رزقه الله وإيّانا أعالي الجنان، فكانت جلساتي الأولى معه بأكاديمية باب المعظم، التي كان يعمل عميدًا فيها -وهكذا أمضى أستاذنا حياته سيّد القوم في كل مكان لرفعةِ مكانته العلمية-، وكان من روّاد مجلسه الدائم آنذاك الأستاذ جميل إبراهيم حبيب، وهو من المصنّفين

المكثِرين، وكان شديد التعظيم لأستاذنا، ولا يتكلّم بوجوده، ومنهم: الأستاذ محبّ الدين السامرائي، وهو من أصحاب أستاذنا، وكان الدكتور محيي يذكرُه بكلّ خير، وكان أستاذنا يتوسّط المجلس توسّط الملك بين حاشيته، والناس حوله كأنّ على رؤوسهم الطير، فإنْ كان للملك هيبة الدنيا فلعلمائنا هيبة الدين والدنيا، قال إبراهيم بن أدهم: "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم إذًا لجالدونا عليه بالسيوف"[1].

يجلس لفيف من كبار الأساتذة يحيطون بالسرحان يتلون عليه السؤال تلو الآخر وهو يجيبهم بابتسامته الشهيرة وصوته الخفيض الحاني الذي هو بمثابة الغيث إذا نزل يُشبع كل ظمآن بالوجود، لا يزال رسمه يتردد أمامي بظهره الذي انحنى من كثرة انحنائه إما ناسخًا أو مدققًا أو قارئًا أو مفهرسًا.

وإني أخشى كل الخشية أن أتكلّم عنه وأنا الذي كنت أخشى التكلم بحضرته! من أين أبدأ؟ وماذا أقول؟ وكيف أقوى على رفع القلم وأنا مكلوم؟!

أكتب اليوم عن منهج الدكتور محيي هلال السرحان ولعل البعض يتصور أنني سأكتفي بذكر منهجه المتبع في فن التحقيق، ولكن لو كان هذا ما أريد لقلت منهج تحقيق المخطوطات عند الدكتور محيي هلال السرحان، إنما سأنسج بقلمي منهج محيي هلال السرحان العالِم المحقِّق الإنسان، فاللّٰهُمَّ اجعلنا أهلًا لهذا الموضوع.

١. منهجه في تحقيق المخطوطات:

تباينت مناهج تحقيق المخطوطات بين جيل وآخر وبلد وآخر ومحقق وآخر خصوصًا بعد النشرات الأوروبية الأولى للكتب فكان لكل اجتهاده ولكل منهجه ولكن النية واحدة في ذاك الوقت وهو نشر العلم فانقسم الناس بالمناهج بين مادح شديد المدح وقادح شديد القدح ولم يصف لنا إلا القلة القليلة المباركة الذين توسطوا بين الطرفين فكانوا كواسطة العقد بجمال منطقهم وبهاء تفكيرهم فأخذوا يسدون ويقاربون ويصوبون ويرجحون ملتمسين العذر لمحقق لم تصل له نسخة متأولين لرأي محقق أخذ نسخة غير نسخة المؤلف فكانوا أمة وسطا، وكان مُفجر وضع مناهج التحقيق بشكل درسي مختص هم المستشرقون بدايةً بالمستشرق الألماني جوتلهف برجستراسر بسلسلة محاضرات ألقاها في جامعة القاهرة بمصر وجُمعت

[1] صيد الخاطر، لابن الجوزي، ص٣٤٠.

فيما بعد في كتاب مطبوع فأفاد منه البعض في كتبهم مثل الدكتور صلاح الدين المنجد وكان على نقيضه من كان يعتز كل اعتزاز بمنبعه الأصل ويذود عن حماه بالقلم والسيف إن تمكن كالشيخ عبدالسلام هارون فهو يعلنها بقوة[1]:

وإن كان بعض إخواننا الدمشقيين -ممن كنا نتوسم فيهم النجابة- زعم بضَعف نفسه، وبما يشعر أمثاله من ذلة علمية، أني لم أَطَّلع على ما كتبه المستشرقون، فوضع بذلك على هامتي إكليلًا أعتزُّ به، إذ أمكنني بعون الله وحده أن أضَع علمًا متكاملًا لم أُسبق إليه، دون أن أتطفَّل على مائدة كثير مما وُضع للعرب فيها صحاف مسمومة، وموائد العرب حافلة بالجهود الوثيقة والأمانة العلمية المرموقة.

وكان كتاب هارون من أوائل المطبوعات في فن التحقيق بين مؤلفات العرب ولعلي هنا أزيل هذا الخطأ الذي سارت به الركبان بفائدة أخذتها عن أستاذنا المحقق عمر السنوي -حفظه الله- إذ ذكر لي أن الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني -رحمه الله- أول من دون أصول الفن وقعد قواعده وضبطه بمنهاج ولكن تأخرت طباعته كحال بقية تراث العلامة الجهبذ، فكان المعلمي شيخ توليد المناهج في ربوع أوطاننا، وكان هارون شيخ نهضة المناهج من حيث انتشارها في ربوع أوطاننا، ولحقه العديد ممن كتب عن مناهج تحقيق المخطوطات ولا ريب أن يكون لمدرسة التحقيق في العراق مؤلفاتها في هذا الباب مبتدئةً بالعلامة مصطفى جواد التي جُمعت أماليه في التحقيق في كتابٍ خاص ولحقه بعدها عدد كبير من محققي أهل العراق بالكتابة في مناهج التحقيق كالعلامة محمد بهجة الأثري، والأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، والأستاذ الدكتور هلال ناجي، والأستاذ الدكتور عباس هاني الچراخ، والأستاذ الدكتور حاتم الضامن، والأستاذ عبد الهادي الفضلي، والأستاذ الدكتور بشار عواد معروف، والأستاذة الدكتورة نبيلة عبد المنعم داود، وغيرهم..

ومن ضمن هؤلاء الجمهرة الكبيرة: فقيدنا الأستاذ الدكتور محيي هلال السرحان، فقد وضع كتابًا أبان فيه عن أصول صنعة العلماء هذه، وقد طُبع كتابه مرتين، المرة الأولى عن ديوان الوقف السني بالعراق عام ١٤٣١هـ، الموافق لعام ٢٠١٠م، والمرة الثانية عن دار الفتح ومكتبة أمير عام ١٤٤٢هـ، وفي الطبعة الثانية زيادة في أصول البحث.

وسيكون خلاصة منهجه التحقيقي مقتبسًا

---

[1] في كتابه: تحقيق النصوص ونشرها، ص٨.

من هذا الكتاب، إضافة إلى بعض السؤالات التي وجهتها إلى أستاذنا، وأضف إلى ذلك دروسه التي حضرتها في الدورة الأخيرة التي قامت في حياته حول تحقيق المخطوطات في دار المخطوطات العراقية ودار الشؤون الثقافية.

١. أركان التحقيق:

أ. المحقق: وقد شرط أستاذنا فيه عدة أمور وهي:

أولا: سعة الاطلاع والمعرفة بعلم النص المخطوط الذي يعمل على تحقيقه ليكون على دراية بألفاظ العلم ومصطلحاته وأشهر رجاله.

ثانيًا: الصبر والتأني وسعة الصدر لصعوبة صنعة التحقيق وتذكر أستاذتنا المؤرخة نبيلة عبد المنعم داود -حفظها الله- أن من شدة صبر أستاذنا المرحوم محيي أتى مرة للمكتبة المركزية بجامعة بغداد وكانت أستاذتنا أمينة المكتبة آنذاك وكان يدفع معه عربة محملة بضروريات الحياة ليمكث بالمكتبة يومًا كاملًا ليُعد رسالته وكان أستاذنا يذكر أثناء تدريسه في الجامعة صدر أمرٌ حكومي أن يمكث الموظف حتى الساعة الخامسة عصرًا فكان أستاذنا يمضي هذا الوقت كله بنسخ المخطوطات فلله أنت يا محيي كم أحييت فينا معاني الصبر والجلد.

ثالثًا: الأمانة وخشية الله فيما يتولى من العمل فإن النص أمانة ويجب المحافظة عليها وخشية الله أثناء العمل فيها ومما أذكر من أمانة أستاذنا إنه ذكر مرة أنه كان يقرأ مع طالب الدراسات رسالته ٧ مرات متتالية حرفًا حرفًا حتى يتركه وأخذ أستاذنا آنذاك يجهش بالبكاء لأنه عرف بصنيع بعض مشرفي الرسائل اليوم في الجامعات ممن لا يهمهم أمر الطالب سوى أن يكون وسيلة لكسب المال.

ب. المخطوط:

أولًا: المخطوطة هي عبارة عن وثيقة كتبت بخط اليد.

ثانيًا: تاريخ المخطوطات كان لأستاذنا رأيٌ بديع في تأريخ المخطوطات فيرى إن أول تحقيق حدث في التاريخ هو نزول القرآن الكريم من رب العرش العظيم للنبي ﷺ فكان هذا الشعلة الوهاجة للتدوين وكان كتبة القرآن أول محققي التراث كزيد بن ثابت رضي الله عنه.

ثالثًا: المادة التي دونت عليها المخطوطة وكانت هذه المواد تختلف باختلاف البقع الجغرافية واختلاف الأزمنة المتعددة فمرة على العسب ومرة على الأديم ومرة على الأكتاف ومرة على ورق الكتان

وهذه المواد علمٌ بحد ذاته يندرج تحت العلم بالمخطوطات ومن أشهر من دون فيه العلامة قاسم السامرائي بكتابه الاكتناه وهو كتاب واسع بديع في بابه.

رابعًا: الوراقة والنساخة كان هذان العملان من جليل الأعمال التي يعمل بها الناس وذلك نتيجة ازدهار الحركة العلمية بكافة خطوطها وكان أستاذنا محي يشتكي من صنيع بعض النساخ سرعة نسخه ولا يهتم بكثرة السقط والتحريف والتصحيف الحاصلة إذ لا هم لهذا الناسخ سوى تحصيل المنفعة المادية على رداء خطه وكثرة خطئه وعلى نقيض هذا كان أستاذنا شديد الثناء على بعض خطوط النساخ واذكر في الدورة الأخيرة التي حضرتها كان من ضمن المحاضرات الكريمات الأستاذة منى ناجي الموظفة في دار المخطوطات العراقية وأثناء عرضها لنا عبر الشاشة بعض الخطوط كان أستاذنا شديد الدهشة ببعضها وكان يتابع معنا كأنه أحد الطلاب! ويثني على بعض الخطوط خصوصًا نسخ القرآن الكريم المخطوطة.

خامسًا: أنواع الخطوط متباينة فبعدما كان الخط الكوفي هو الخط المعتبر الشهير في القرون الثلاثة الأولى تغير تدريجيًا ومُزج مع الخط الحديث في أواخر خلافة بني أمية وصدر خلافة بني العباس ثم بعد فتح المغرب وشمال أفريقيا والأندلس تطور الخط تطورًا كبيرًا وصار الخط المغربي الشهير وفي المشرق كان ابن مقلة هو رائد تقعيد الخطوط وبيانها.

سادسًا: للنساخ القدماء قواعد معروفة في كتابتهم تجدها مبثوثة بأغلب الكتب الحديثية وقد ذكر الأستاذ جملة منهم في كتابه، وفي محاضراتنا أشاد بالمحدث الفاصل للمحدث الرامهرمزي، والإلماع للقاضي عياض، ومقدمة ابن الصلاح الشهيرة في علوم الحديث.

سابعا: جودة الخط والكتابة تنحصر في وضوح الخط وسرعة كاتبه وجماله لكل أهميتها في عملية تحقيق المخطوط:

١. وضوح الخط: هو قوام الكتابة وهو السبيل لفهم المعنى ويتحقق الوضوح بعدة أمور باستكمال شكل الحروف في رسمها ومراعاة المسافة بين الكلمات والجُمل ووضع علامات الترقيم وتنقيط الجُمل.
٢. السرعة: تعتبر من ضروريات عصرنا فسمته هو عصر السرعة الاستهلاكي وتتحقق بكثرة الكتابة فتطيعك عضلات يدك وتكون سهلة الحركة حرة ومما يساعد أيضا على هذا جودة القلم المستعمل والمكان المناسب والظرف

الزماني والظرف المكاني الملائمين لعملية الكتابة.

٣. الجمال: وهو شرط كمالي اذ أن توفر الوضوح مع السرعة هو الأساس في الكتابة والجمال مما يزيد الاقبال على النص المكتوب وفي تاريخنا عدد ليس بالقليل من أصحاب الخط الجميل.

ج. التحقيق:

وتعريف التحقيق هو نقل الكتاب من المخطوط الى المطبوع وله عدة مطالب:

أولًا: يتحقق المحقق من اسم الكتاب الذي يكون مثبتا في أول صفحة من المخطوطة وقد تسقط الصفحة بفعل مرور الزمن أو تتلف أو يقوم شخص متعمد بشطب اسم الكتاب أو كتابة عنوان غيره بسبب سهو الناسخ ولإثبات الاسم يسلك المحقق عدة طرائق أما عن طريق افتتاحية الكتاب فيجد المؤلف يقول: (وقد سمينا كتابنا الكتاب الفلاني) أو عن طريق خاتمة الكتاب فيجد المؤلف يقول: (وقد ختمنا كتابنا الكتاب الفلاني) أو يذهب المحقق لمؤلفات مصنف المخطوطة لعله يجد إشارة للكتاب الذي بين يديه أو عن طريق الكتب المتخصصة ككتاب كشف الظنون لحاجي خليفة.

ثانيًا: يتحقق المحقق من اسم المؤلف الذي يكون مثبتا في أول صفحة من المخطوطة وقد يسقط لنفس الأسباب السالفة، وهنا نجد عدة حالات في سقوط اسم المصنف:

الحالة الأولى: سقوط اسم المُؤلّف من المَخطوطة فأن ذهب مع اسم الكتاب نرجع للحلول السابقة أما أن سقط اسم المصنف فقط نذهب لكتب الفهارس ونرى اسم الكتاب ونطابقه مع مؤلفه.

الحالة الثانية: نسبة الكتاب لمؤلف ثاني وذلك بسبب جهل الناسخ غالبا وتعرض المخطوطات للتلف والرطوبة وما شابه وأحيانا أثناء عملية الترميم بسبب المواد الحديثة تطغى على اسم المؤلف وأول ما يرجع لمعرفة اسم المؤلف للمخطوطة ذاتها ومقارنة أقوالها وأسانيدها بما يقترب من أسماء العلماء البقية ممن عرفت كتبهم واشتهروا.

الحالة الثالثة: الوهم باسم المؤلف واسم الكتاب كلاهما وهنا يتم البحث عن مؤلفات المؤلف المذكور وأيضا الاستعانة بالمخطوطة.

ثالثا: يجب التأكد أن المخطوطة لم يتم تحقيقها مسبقا أو أن الحاجة قائمة الى تحقيقها مرة ثانية فالمخطوطات التي لم تطبع كثيرة جدا فقبل

الشروع بتحقيق مخطوطة وجب مراجعة الفهارس البيلوغرافية وفي عصرنا نستطيع استعمال الأنترنت لمعرفة ما طبع وما لم يطبع وأن كان مطبوعا ورأى المحقق الحاجة لطبعه مرة ثانية كون الطبعة الأولى غير محققة أو وجود نسخة خطية أخرى للكتاب لم تصل للمحقق.

رابعا: تحقيق متن الكتاب ويتم هذا عن طريق سلسلة من العمليات المتصلة بعضها ببعض فاذا اختلت عملية منها أضرت ببقية العمليات

العملية الأولى: يجب على المحقق جمع النسخ وحشدها للكتاب الذي ينوي تحقيقه من الخزائن العالمية في شتى الأصقاع ثم العمل على التواصل مع القائمين عليها لغرض تصويرها واليوم أغلبها مصورة مرفوعة مما يسهل عملية جمعها ويتم ذلك بجرد فهارس المخطوطات.

العملية الثانية: ترتيب النسخ التي جمعها المحقق وتحديد النسخة الأم التي يتم مراجعة بقية المخطوطات ومقابلتها عليها وقد وضع العلماء عدة قواعد لتقييم النسخة الخطية التي تكون النسخة الأم:

١. النسخة التي بخط المؤلف.
٢. النسخة التي أملاها المؤلف أو عليها إجازته أو قرأها المؤلف.
٣. نُسخ طلاب المؤلف خصوصًا التي أملاها بنفسه.
٤. النسخ التي قوبلت على نسخة المؤلف.
٥. النسخ التي كتبت بعصر المؤلف بخط عالم متقن وعليها سماعات.
٦. النسخ التي كتبت في عصر المؤلف وليس عليها سماعات.
٧. النسخ التي كتبت بعد عصر المؤلف ويفضل فيها النسخة الأقدم على النسخة الأحدث، وربما تفضل الأحدث إن كانت لا تحوي الكثير من التصحيف والتحريف وكانت أوضح في القراءة.

العملية الثالثة: مقارنة النسخ فبعد اختيار النسخة الأم يجعل النسخ البقية تابعة لها ويحقق المخطوطة ويكون مراده الأول مراد المؤلف أن يخرج الكتاب كما أراد مؤلفه مع الإشارة لاختلاف النسخ.

العملية الرابعة: يستحب للمحقق أن يعتني بتوثيق النصوص المذكورة فمثلا عند نقل المؤلف عن عالم من العلماء يراجع مؤلفات هذا العالم ويثبت مكان النقل ليزيد من جودة الكتاب المحقق ويزيد القارئ طمأنينة عند قراءة الكتاب.

العملية الخامسة: مما يستحب أيضا: التعليقُ على النص مما يكشف لبسًا فيه أو يوضح غامضًا فيه ولتخريج الآثار والأحاديث والأشعار المذكورة وفي التعليق على النصوص انقسم المحققون فريقين:

الفريق الأول: يرى خروج النص كما هو دون أي تعليق وهذا رأي المستشرقين وتبعهم جماعة من العلماء ودليلهم أن المحقق واجبه الرئيسي اخراج الكتاب كما يريد مؤلفه وأن التعليقات من صنيع أصحاب الشروح والحواشي.

الفريق الثاني: يرى أن عمل المحقق لا يتم ألا بالتعليق على النصوص وكتابة فروق النسخ وتراجم الأعلام والتخريج وشرح المبهم ودليله أن هذا من مقتضيات البحث العلمي وقد غالى البعض من أفراد هذا الفريق بترجمة المشهورين أو توضيح الواضحات أو العناية الزائدة بعبارات النساخ في الدعاء مثلا رحمه الله تعالى أو يرحمه الله.

العملية السادسة: يجب خدمة النص المحقق بضبط شكله وضبط الأسماء والألفاظ إضافة لعلامات الترقيم وذا وجد المحقق أن الكتاب خالي من العناوين قسم الكتاب لعدة عناوين وبين أنه من صنيعه وكتابة مقدمة مبينة لمنهاج المحقق وجهده والتعريف بالكتاب وصاحبه والعناية بأرقام الصفحات وعمل الفهارس الخاصة بالكتاب ولقد تطورت الفهرسة في عصرنا فبعدما كانت تقتصر على فهرسة الموضوعات أصبحت اليوم فهرسة للأحاديث والآثار والأشعار والأعلام والمواضيع العلمية حسب تخصصها والبلدان وغيرها ولا ينسى المحقق أن الانسان في طبيعته ليس بالمعصوم فيجب أن يكتب ذيلا أو مستدركا في حال وقوع خطأ منه أثناء التحقيق يلحقه بنهاية الكتاب.

إلى هنا أختم هذه الخلاصة المنهجية في بيان منهجية أستاذنا بالتحقيق ولا يفوتني التأكيد على القارئ أن يطالع ما كتب أستاذنا في أصول البحث والتحقيق فهناك كثير من الفوائد التي لا يسع المقال لذكرها.

٢. منهجه الإنساني:

أما محيي الإنسان فبعد كلامي عن منهجه التحقيقي بشكلٍ موجز رأيت أن دَين أستاذي محيي ثقيلٌ جدًا على عنقي بل يكاد يكسر عنقي كيف لا وهو الأب الحنون الذي كان يستقبلني بابتسامته المشرقة ويجيب على كل أسئلتي على تنوعها صغيرها وكبيرها فواجب علي أن أنسج بعض الكلمات ببيان منهجه الإنساني الرفيع المحتكم لأخلاق الشريعة الغراء التي تسمو بالإنسان عاليًا يحلق في كل مكان

متزينًا برفيع الأخلاق مما يضفي على الوجه مسحة نورانية تبين لك أمام من أنت واقفٌ أمام شخص يحمل جلالة العلم وتواضع العلماء وقد رغبت بوصفه بالإنسان تبعًا لتعريف أبو حيان التوحيدي للفظ الإنسانية إذ قال في البصائر والذخائر: **والمروءة هي الإنسانية.**

وأقول مذيلًا على كلام التوحيدي: لو كان للمروءة فمٌ ناطق وشبح متحرك ما كادت تتمثل إلا في العلماء الربانيين وهذا على سبيل القطع واليقين لا يرتاب فيه إلا من زهدت نفسه بقيمة العلم وكان عبدًا لهواه أو جهله فيا خسارة نفس تملكت عقلًا سليمًا ونظرًا صحيحًا وما أفنتهما في تحصيل العلوم. وليس كل من تسمى بعالمٍ حقيق بهذا اللفظ إذ كم من عالم ساقط المروءة عديم الأخلاق عبد ذليل للدراهم والشهرة فسدت بوصلته وانتكست فطرته عن البغية من تحصيل العلوم فجعله علمه طوعًا للجماهير أو طوعًا لحاكم حقير فيحركه الجماهير والحاكم ككرة القدم يقذفونه يمينًا ويسارًا ولكن فرقه هنا عن الكرة أنه يدري بأنه متجه نحو رضاهم خاضعٌ لهم، أما العلماء الذين يليق بهم هذا الوصف الشريف الذي تواترت الآيات والأحاديث بذكر مقامهم في الدنيا والآخرة وأجمعت البشرية على خيريتهم وبركتهم التي تحل حيثما حلوا ممن ترفعوا عن المناصب ولفظوا الدراهم وكان همهم واحد، وهو رضا الإله الواحد، فهم يدركون من تحصيل العلوم أن الله هو الذي لا يخيب المرتكن عليه ويكون لسان حالهم أشد من مقالهم.

وكلمة المروءة كلمةٌ واسعة تعددت تعاريفها فجميل الخُلق قديم الخَلق بين العالمين ولا زال الناس كلما تقدم عصر بهم انحطت أخلاق وارتفعت أخرى، فتعددت تعاريف المروءة:

فقيل: هي صدق اللسان، ومواساة الإخوان.

وقيل: هي السماحة والسهولة وهي على نوعين: العفو عن الهفوات، والمسامحة في الحقوق.

وقيل: كمال المروءة: الفقه في الدين، والصبر على النوائب، وحسن تدبير المعيشة.

هذه قلة من التعاريف الكثيرة المبثوثة في أمات كتب التراث الذي هو عماد كل حسنٌ على مدى الأزمنة وسأقدم تعريفًا للمروءة في زماننا مختزلًا كل ما قرأت حول تعريف المروءة فأقول وأعود لتعريف المروءة إنها العلماء ومن جملة هؤلاء العلماء أستاذنا الإنسان محيي هلال السرحان ماذا يسع لذهني أن يستذكر أو يجمع من مواقفي الشخصية ومما سمعت عن أستاذنا مما يُجلي

إنسانيته الفذة ولكن لعل الله يعذرنا إذ أن النفس لم يكلفها خالقها إلا بما يسعها سبحانه ذو الرحمة الواسعة.

١. **التواضع**: يكفيني أن اختزل ما سأكتب في التواضع إنني منذ التقيت الدكتور محيي لقائنا الأول وأنا الذي بعمر أصغر حفدائه أخذ يخاطبني مخاطبة القريب وأنا الصغير الغريب وينادينني بأستاذ وظلت هذه عادته على طيلة اللقاءات يجيب كل أسئلتي بلا ملل وكان بيته كعبةً لطلاب العلم من شتى الأصقاع وهذا معروفٌ مشتهر فمنهم من يأتي قاصدًا مصادر مكتبته ومنهم من يأتي قاصدًا استشارته العلمية ومنهم من يأتي لغرض الاستفادة من حسن سمته فالعلماء مفيدون بمقالهم وحالهم ومن تواضعه أثناء محاضراته في الدورة الأخيرة التي شُرفت بحضورها كان ينادي طلابه المحاضرين بلفظ الأستاذ ويشيد بإجاباتهم بل وينصت لمحاضراتهم كأنه متعلم وفي نهاية الدورة ارتقى مدير دار المخطوطات العراقية د.أحمد العلياوي المنصة وألقى قصيدة في مدح أستاذنا السرحان فما كان من السرحان إلا أن يخبت رأسه تواضعًا.

٢. **الكرم**: كان أستاذنا حاتمي الكرم ولولا خشية الغلو لقلت أجود من حاتم!

إذ أن حاتم كان يجود ببعضه أما أستاذنا فكان يجود بكله إذ أن العلماء يجودون بعمرهم ووقتهم وصحتهم وكتبهم في سبيل نفع المتلقي عنهم:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها

على النـاس طـرا إنها تتقلبُ

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبـلت

ولا البخل يبقيها إذا هي تذهبُ

جادت الدنيا على أستاذنا بعدة أمور وجاد بها على الآخرين:

أولًا: مكانته الوظيفية الرفيعة، ولم يتكبر ولم يتعنت في نفع عموم الناس وكان همه النفع العام للجميع ومن دلائل هذا إعانته للدكتور عثمان محمد غريب وهو من المشايخ الأكراد ولا تربطه أي صلة سواء كانت قرابة أو تلمذة بأستاذنا المرحوم فبعد اجتياز الدكتور عثمان امتحان الكفاءة ودراسته ووصوله للسنة التحضيرية لإعداد الرسالة فوجئ بعام ١٩٩٤ م بقرار من رئاسة الجمهورية يقتضي فصل كل طالب من الأكراد فحار بما يفعل ثم ألهمه الله وهو يسير في باحات جامعة بغداد في كلية العلوم الإسلامية أن يطرق باب مسؤول كبير وهو عميد الجامعة آنذاك الدكتور محيي لعله يكون ترياقًا له فأشار له الدكتور

أن يجلب درجات الفصلين من جامعة صدام التي يدرس فيها ويكمل دراسته بجامعة بغداد عنده دون أي طلب من الطالب كصنيع بعض عمداء اليوم ممن يسلب أغلى ما لدى الطالب وهو شرفه مقابل بعض الدرجات.

ثانيًا: علمه، فقد أفاض الله تعالى على أستاذنا الراحل العديد من العلوم والمعارف فأن أردته بالتحقيق فهو شيخ المحققين بلا منازع وإن أردته بالفقه فهو الفقيه الذي هضم المذهب الشافعي والحنفي وإذا أردته في اللغة فهو المصنف فيها وإذا أردته في القانون فهو الخبير بالقضاء في تراثنا فكان كعبةً للطلبة أينما كان تتوارد عليه الجموع تلو الجموع يرتشفون من بحر علمه الغزير ولم يبخل حتى آخر لحظة في حياته المباركة بإفادة الطلبة فكان منزله موئل طلاب الدراسات العليا لسؤاله واستشارته وكان هو المشرف على بعض رسائلهم حتى لو لم يذكر وكان يدرس جماعة من الطلبة في بيته إضافة لأكاديمية الدراسات العليا بباب المعظم إضافة لآخر دورة القاها فجزاه الله عنا خير ما يجزي ابن عن والده.

ثالثًا: كتبه، فما زلت أذكر لقائي الأول معه وكيف ناولني كتابه أصول البحث وتحقيق النصوص وطبقات الحنفية بتحقيقه وكتب عليهما إهداءً بقلمه وكانت هذه عادته مع كل زواره، وزيادةً على ذلك سماحُه بطباعة كتبه في أي دار من دور النشر بشرط مراجعته وطباعة الكتاب على الحال التي يريدها فكان يعتب على الكتبي الشهير الأستاذ أمير الكركوكي إنه جلب وسيطًا من معارف الأستاذ ليصل بينهما للنقاش حول طباعة كتبه وكان أستاذنا يقول لا داعيَ لمثل هذا ولو جاء وحده ما رددته فما نريد إلا النفع للمسلمين وإرضاء الله.

٣. الأمانة والصدق: كان ديدن أستاذنا بكل أحواله التذكير بالله تعالى وأوامره ونواهيه لذلك تجد من أركان التحقيق عنده: الأمانة، وهي أن يخشى المحقق الله، ويدري ما يصنع بما تحت يده، فهو مؤتمن على تراث الأمة.

ومِن حُسن أمانة أستاذنا أنه في سلسلة المحاضرات التي ألقاها في الدورة الأخيرة تَبقّى جزءٌ قليل لا يكاد يُذكر، لم يذكره في المحاضرة، فما جاءت المحاضرة الثانية إلا وتذكّرَه، وأصرّ على ذِكره، لإتمام سلسلة الدفق المَعرفي.

إلى هنا أعتذر لنفسي التي ضغطتُ عليها كثيرًا لتكتم ما يحترق داخلها لشدة الحزن على فقْد أستاذنا..

وداعًا وعذرًا دكتور محي لأنني قاطعتك وأنت تتحدث مرة..

وداعًا وعذرًا دكتور محي لأنني وعدتك بتسجيل لقاء معك في حياتك ولم تسعفني الظروف..

وداعًا وعذرًا دكتور محي لأنني لم أبكِك بما يليق حزنًا بمصابك..

وداعًا دكتور محي يا من كنت كالشمس بضيائها والأنهار في جريانها والرياح في نشاطها..

وداعًا دكتور محي لم يعد صوتك يُسمع في قاعات الدرس.. لم يعد وجهك يضيء دروب طلابك..

وداعًا دكتور محي تركتَ فراغًا عميقًا في قلوبنا كأننا لم نندب قبلك أحدًا.. تركت في نفوسنا أثرًا لا يمحى..

وداعًا دكتور محي.

شيخ المحققين في بلاد الرافدين
محي هلال السرحان

د. إيمان عمر السرحان
(أكاديمية عراقية)

إنّ الكتابة عن سِيَر الأَعلام وتراجمهم، من رجال الأَدب والفكر والعلوم الشرعية وسائر نتاجاتهم المتميِّزة بالتأصيل والتجديد، ليست من الأمور السهلة، فهؤلاء لهم مكانتهم في التاريخ، وهم القادة الحقيقيُّون بعد الأَنبياء والرُّسل والحكماء في موازين التقدير والتكريم.

والكتابة عنهم تعطي انطباعًا صافيًا في ما قدّموه من نتاجات بديعة وآثار مفيدة للبشرية، فضلًا عن كونهم يمثِّلون الصفوة المتفوِّقة والراقية من بين جماهير صفوف الأُمة في العطاء الخالد والعمل الفكريّ المتفتِّح ضمن ضوابط الأُسس المشروطة بالتفاني، والإِخلاص، والاستمرارية المتواصلة الراكضة تحت راية: إِنَّ البقاء والخلود للعِلم

والعلماء، وما عدا ذلك فيذهب هباءً منثورًا.

والآيات الكريمة والأَحاديث الشريفة كافيتان لتعزيز استدلالنا مع مفاهيم ودلالات معنى الآية الكريمة: {إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلماءُ}.

والأستاذ العلَّامة الدكتور محيي هلال السرحان هو أَحد هؤلاء العلماء في عصره، فهو شيخ المحقِّقين العراقيين، ومن أَبرز أَعيان آل عقيل نسبة إِلى عـقيـل بن أَبي طـالب الهـاشميِّ القرشيِّ -رضي الله عنه- (حسب الشجرة المصدَّقة من هيئة الأَنساب العربية في بغداد).

وُلِد الدكتور محيي هلال السرحان في محافظة صلاح الدين في قضاء تكريت سنة (١٩٣٢م) ونشأ وترعرع وسط أُسرة محافظة تنعم بالإيمان بالله سبحانه وتعالى، وتسير على منهج خاتم أَنبيائه ورسله سيّدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، تلقَّى تعليمه الأَوّليَّ في مدرسة تكريت الابتدائية سنة (١٩٤١م)، وأَتمها سنة (١٩٤٦م)، وأكمل دراسته المتوسطة والإعدادية في سامراء سنة (١٩٤٦-١٩٥١م)، ثمَّ تعيَّن موظفًا بسيطًا سنة (١٩٥١م)، واستمرَّ إِلى سنة (٢١٩٠٤م) في المحافظة بابل على ملاك دور المعالي ومعاهدهم، ثمَّ رفعته الرغبة في إِكمال دراسته به فاستقال من وظيفته لإِكمال الدراسة سنة (١٩٥٥م) ملتحقًا بكلِّية الشريعة في بغداد سنة (١٩٥٥-١٩٥٩م) فاجتاز جميع مراحلها بدرجة (امتياز) وكُرِّم على ذلك.

عُيِّن مدرِّسًا في الكوت سنة (١٩٥٩م) ثمَّ في بعقوبة سنة (١٩٦٢م) ثمَّ تفرَّغ للدراسة في معهد الدراسات الإِسلامية العُليا التابع لجامعة بغداد بإِجازة دراسيَّة سنة (١٩٦٧م) لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإِسلامية في الفقه المقارن، برسالته الموسومة (أَدبُ القاضي للماورديِّ المُتوفَّى (٤٥٠هـ) دراسة وتحقيق) وهي أَحد أَجزاء كتابه (الحاوي الكبير في فروع الفقه الشافعي)، فحاز على درجة الماجستير بمرتبة (امتياز)، ولأَجل تقويمها قبل مناقشتها ومن ضمن الإِجراءات قيمة لضمان الجودة أرسلت رسالته إِلى جامعة الأَزهر الشريف في مصر عن طريق السلك الدبلوماسي، ومن ثم إِلى كلية الشريعة والقانون بجامعة الأَزهر حسب الاختصاص، ممَّا أَدَّى إِلى تأخير مناقشتها زمنًا طويلًا، فضلًا عن سعة موضوع الرسالة، فالنصّ المحقَّق (٥٥٠ ورقة) أَي (١١٠٠ صفحة) ما عدا صفحات الدراسة البالغة أكثر من (٣٠٠ صفحة) والتي أَثنى عليها الخبراء حينما وصلت تقاريرهم لتناقش في بغداد سنة (١٩٧٠م) والتي نال عليها الباحث شهادة الماجستير في الشريعة الإِسلامية بدرجة (الامتياز).

وبعد أن حصل الباحث على شهادة الماجستير استقدمه وزير التربية -وكان آنذاك أُستاذه المرحوم الأُستاذ الدكتور أَحمد عبد الستار الجواري الذي كان عميد كلية الشريعة قبل تولّيه الوزارة- وذلك للعمل في المديريَّة العامَّة للشؤون الفنية باحثًا علميًّا فيها، وقد بذل جهدًا في رفع مستويات مناهج اللُّغة العربيَّة والتربية الإسلاميَّة للشكوى القائمة من الكتب المنهجيَّة فيها. فبذل ما في وسعه لتقويم الكتب المنهجية وتنقيحها، كما كلَّفه بضبط محاضر لجنة الأُصول في اللُّغة العربيَّة في المَجمَع العراقي سنة (١٩٧٢م) فالتحق بها، ولما أَبداه من النشاط في هذه اللّجنة اختير عضوًا أَصيلًا فيها سنة (١٩٧٣م) وبقي فيها إلى سنة (١٩٩٣م).

ولشدَّة حرصه على إِكمال دراسته قدَّم أَوراقه عن طريق السلك الدبلوماسي ليواصل دراسته العليا في الشريعة الإسلامية - الفقه المقارن في كلِّية الشريعة والقانون في جامعة الأَزهر بعد حصوله على درجة الماجستير للمرَّة الثانية في الشريعة الإسلامية - الفقه المقارن في كلِّية الشريعة والقانون في جامعة الأَزهر في امتحانات معادلة الشهادة سنة (١٩٧٤م).

ثمَّ تمكَّن من إِكمال أُطروحته الموسومة (أَدب القضاء في الفقه الإسلامي مع تحقيق كتاب أَدب القُضاة لابن أَبي الدم الحمويِّ الشافعيِّ المُتوفَّى (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)، وكانت بإشراف المرحوم الشيخ الأُستاذ الدكتور عبد الغني عبد الخالق، ومن بعده المرحوم الشيخ الأُستاذ الدكتور محمد مصطفى شحاته رئيس لجنة الفتوى في الأَزهر الشريف، ونوقشت في يوم الخميس ٢٤ / ٢ / ١٩٨٧م، ونالت مرتبة الشرف الأولى.

تمَّت ترقيته إِلى مرتبة أُستاذ مساعد اعتبارًا من تاريخ ١٤ / ٦ / ١٩٨٢م، ثمَّ نُقل إِلى كلية الآداب بجامعة بغداد إِلى كلية الشريعة في الجامعة نفسها سنة (١٩٨٥م) فدرَّس فيها.

ونُسِّب لتدريس اللغة العربية والعلوم الإِسلامية في كلِّيات عديدة في الجامعة نفسها لسنوات عديدة منها: كلية التربية والآداب، وأَكاديمية الفنون الجميلة، وكلية الأَمن القومي، وآداب الجامعة المستنصرية، وغيرها. وذلك في مواد الشريعة، واللغة العربية، وتحقيق المخطوطات. حاز على شرف عضوية اتِّحاد المؤرِّخين العرب، ثمَّ اختير ليقوم بمهام المعاون العلمي لكلِّية الشريعة في بغداد، ثمَّ عُيِّن عميدًا للمعهد الإِسلامي العالي لإِعداد الأَئمة والخطباء سنة (١٩٨٩م).

مارسَ التدريس في كلية الآداب بجامعة بغداد، وكلية الشريعة، وتولَّى منصب المعاون العلمي فيها،

ثمَّ عُيِّن وكيلًا لعميده، ثمَّ عميدًا للمعهد العالي لإعداد الأَئمة والخطباء التابع لوزارة الأَوقاف والشؤون الدينية سنة (١٩٨٩م).

نال مرتبة الأُستاذية بدرجة (بروفيسور) اعتبارًا من تاريخ (٢ / ٩ / ١٩٩٠م)، ونُقل إلى جامعة صدام للعلوم الإسلامية المُسمَّاة الآن (الجامعة العراقيَّة) للقيام بمهام رئيس قسم الفقه وأُصوله، بدرجة عميد الكلية لسنة (١٩٩٠م) ثمَّ أَتبع ذلك بالقيام بمهام رئيس الجامعة نفسها وكالة لثلاثة أَشهر وذلك سنة (١٩٩١م).

كان الأُستاذ الدكتور محيي هلال السرحان كثير التأليف للكتب وتحقيق المخطوطات، وكتابة البحوث العلمية والمقالات الصحفية، ومن ذلك قيامه بتحرير صفحة (الدِّين والتراث) في جريدة العراق بصفحة كاملة كلَّ أُسبوع على مدار عشر سنوات (١٩٨٩-١٩٩٩م)، ومثلها في ملحق مجلَّة صوت الطلبة لأَربع سنوات، فضلًا عن البحوث العلميَّة التي نشرها في مجلَّات عريقة كمجلة (المورد)، ومجلَّة (البحوث العلميَّة)، ومجلَّة (الرسالة الإسلاميَّة) حتى شغل منصب مدير التحرير فيها إلى جانب وظيفته طيلة سنوات عديدة، وكذلك مدير تحرير مجلَّة الشريعة والقانون، ومدير تحرير مجلَّة كلِّية الحقوق بجامعة صدام، كما اختير عضوًا في هيئة (ملتقى الرُّواد) سنة (١٩٩٣م)، ولكثرة نشاطاته المتنوعة اختير عميدًا لكلِّية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد في (٢٧ / ١١ / ١٩٩٣م) حتى سنة (١٩٩٦م).

كُرِّم باعتباره (الأُستاذ الأَول) في كلِّية الحقوق، وكُرِّم بمنحه لقب (الأُستاذ المُتمرِّس)؛ لكثرة نشاطاته العلمية؛ وتأليفه الكتب والبحوث العلمية، وتحقيق المخطوطات بعد نيله مرتبة (الأُستاذية) وذلك في ٨٢/ ٨/ ٢٠٠١م.

ثمَّ مُدِّدت له الخدمة بعد تجاوزه السنَّ القانوني للتقاعد فنُقل إلى مؤسسة الاِحتياط القريب التي يبقى فيها الأُستاذ متمتِّعًا بوظيفته وراتبها طوال عمره، وكان ذلك في (٢٠ / ١١ / ٢٠٠١م) للاستفادة من علمه وتجاربه. ثمَّ عمل محاضرًا في عدد من الكلِّيات منها كلِّية العلوم الإسلامية-جامعة بغداد، وكلِّية الإمام الأَعظم الجامعة، وكلِّية العلوم الإسلامية-الجامعة العراقية. وعُيِّن رئيسًا لقسم المخطوطات في معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا سنة (٢٠٠٥م) إلى سنة (٢٠٢٤م).

استمرَّ بالعمل مشرفًا على عدد كبير من الرسائل والأَطاريح لطلبة الدراسات العليا من طلبة الماجستير والدكتوراه في عدد من الجامعات منها: (كلية الحقوق- جامعة النهرين، كلية العلوم

الإسلامية- جامعة بغداد، كلِّية الإمام الأَعظم الجامعة، الجامعة العراقية، كلِّية ابن سينا للدراسات الإسلامية، كلِّية التربية الأَساس- الجامعة المستنصرية، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، الكلِّية البريطانية في العراق، الكلِّية المفتوحة في الأَنبار).

وعُيِّن تدريسيًا في الأَكاديمية العُليا للدراسات العلميَّة والإنسانيَّة سنة (٢٠٠٧م) حتى سنة (٢٠٢٤م)، وتقلَّد منصب العميد للأَكاديمية العُليا للدراسات العلميَّة والإنسانيَّة سنة (٢٠١٩م) حتى سنة (٢٠٢٤).

كُرّم الأُستاذ الدكتور محيي هلال السرحان باختياره أَحد كبار العلماء العشرة من الجيل الأَول في العراق من قبل (رابطة أَئمة وخطباء العراق) في إستانبول سنة (٢٠٢٢م).

وفي سنة (٢٠٢٤م) كان الأُستاذ الدكتور محيي هلال السرحان قد تقلَّد مناصب عدَّة، منها: عميد الأَكاديمية العليا للدراسات العلميَّة والإنسانيَّة، ورئيس قسم المخطوطات بمعهد التاريخ العربي والتراث العالمي للدراسات العليا، وعضو اتِّحاد المؤرِّخين العرب، وعضو الجمعيَّة التاريخيَّة، وعضو الاتِّحاد العام للأُدباء والكُتَّاب في العراق، وعضو هيئة التحرير في مجلَّة الرسالة الإسلامية التي تصدرها وزارة الأَوقاف والشؤون الدينيَّة في جمهورية العراق، وعضوًا دائمًا في منظَّمة المؤتمر الإسلامي الشعبي، ومحاضرًا ومشرفًا على مجموعة من طلبة الدراسات العُليا في جامعات مختلفة في عموم العراق، ومدير التحرير في مجلَّة الشريعة والقانون، وخبير معجم الأَسماء العربية المعاصرة الذي تقوم به جامعة القاهرة، وعضو هيئة التحرير في مجلِّة كلِّية الشريعة.

وبعد تفانيه بالعمل الدؤوب، ولكونه أَحد علماء العراق، كان يقصده الطلبة من جميع أَنحاء العراق إلى الأَكاديمية العليا للدراسات العلميَّة والإنسانيَّة، وإلى بيته أَيضًا، وإلى حين وفاته يوم الاثنين الموافق (٢٩ / ٧ / ٢٠٢٤م).

كان الأُستاذ الدكتور محيي هلال السرحان محبًّا للعِلم والعلماء، ومحبًّا لكلِّ من يحبُّ العِلم ويجتهد للوصول إلى أَعلى المراتب العلميَّة لما للتعليم والعمل به من أَهمية قصوى على حياة الفرد والمجتمع، إذ يعود عليها بالخير الكثير فيصبح الفرد المتعلِّم أَكثر مكانة بين غيره من أبناء المجتمع..

لذلك فإنَّ الدكتور محيي هلال السرحان -رحمه الله- ربَّى أَبناءه تربية علميَّة واجتهد كل الاجتهاد لكي يَصِلوا إلى مكانة علميَّة عالية، فمن أَبنائه من وصل إلى مرحلة الدكتوراه، ومنهم من يجتهد

للوصول إليها، مع تشجيعه الكبير ماديًّا ومعنويًّا لهم ولأَحفاده للوصول إلى أَعلى المراتب العلمية، فضلًا خالصًا لوجه الله تعالى.

إضافة إلى الباحثين الكثر الذين كانوا يزورونه للانتفاع من مكتبته الخاصة عند إجراء بحوثهم العلمية، وبدوره -رحمه الله- فتح لهم أَبواب مكتبته مستبشرًا ناصحًا متعاونًا معهم مساعدًا لكلِّ من يريد الاستفادة من كتبه الخاصَّة، فضلًا عن طلبة العِلم الذين يأتون إليه من محافظات العراق المختلفة للاستفادة من نصائحه القيِّمة وإِرشاداته وتوجيهاته التي يستفيد منها الطلبة الوافدون أَيَّما استفادة، خالصًا لوجه الله تعالى.

رحم الله نجمًا كان يضيء في سماء العراق.

وداعًا شيخ المحقِّقين

أ.د. عمار مرضي علاوي

(رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب – الجامعة العراقية)

لم يكن أستاذًا عاديًّا، ولا محقِّقًا هامشيًّا، بل كان شعلة من نور في دنيا الظلام، وهو بقلمه يفتّش عن الكنوز المدفونة التي لا يراها سوى المبصرون.

لقد أبصر شيخنا وأستاذنا محي هلال السرحان منذ ريعان شبابه أهمية نشر العلم وتعليمه للناس، فعلى الرغم من تخصصه في الفقه المقارن إلّا أنه كان شديد الحرص على ترك بصمة في مسيرته العلمية، ففضلًا عن تلامذته والدروس التي انتشرت في مختلف مدن العراق إلا أنه أبى إلا أن يسجّل اسمه في عداد أصحاب الهمم.

لقد أحيا شيخنا العديد من المخطوطات التي كانت حبيسة الرفوف، لا يعلم قيمتها سوى مَن أدرك أهمية العلم الذي لم ير النور بعد.

أجاد وأبدع في تحقيق المخطوطات الإسلامية بمختلف صنوفها وفنونها، فكان بحق شيخ المحققين الذين لم يكن همهم سوى التعريف بها

ونشر فوائدها، ولم يكتفِ بذلك بل سارع إلى عمل الدورات العلمية والعملية في تحقيق المخطوطات، فتارة تراه يكتب وأخرى يدرب المتعلمين، ويشرح بإفاضة حقيقة التعامل مع النص، بكل بساطة وفهمٍ دقيق.

لم تغره المناصب أو الوظائف بل لم تجد طريقًا إلى قلبه ليتعلّق بها، فعلى الرغم من توليه عددًا من المناصب لكن قلبه وهمته كانت في نشر العلم سيما المخطوطات منها حتى لُقِّب بشيخ المحققِين.

رأيته عالمًا متواضعًا على جبينه حياء العلماء الربّانيين وتواضع الصالحين، غير معجب بعمله بل جلّ همه أن يؤدي رسالته.

وكان يستقبل الطلبة والسائلين عن مبتغاهم في بيته الذي ملأته المكتبة العامرة، فكأنك في إحدى مكتبات بغداد الرشيد.

وعندما تجالسه تنبهر بعلمه ودقة ملاحظته، والأجمل من ذلك قلمه النشيط ومكبرة الكلمة التي لا تفارقه في البحث عن الكلمات التي تصعب علينا قراءتها.

جلسة معه تغنيك عن مجالسة الآخرين، فهي محفوفة بالعلم والتواضع وهيبة العلماء التي تشعرك بطعم حِلَق العلم.

ولا أدل على ذلك من تلك المؤلفات التي وضعها شيخنا المحقق سواء تأليفًا أو تحقيقًا أو نشرًا.

رحمك الله شيخنا المحقق، وجعل كل ذلك في ميزان حسناتك، وصدقة جارية جزاء ما عملت وما علّمت لطلبتك ومحبيك.

وداعًا شيخ المحققين.. ونسأل الله أن يجبر مصابنا بمَن يقوم بما قمت به ويسير على دربك، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مساحةُ الفقد ثلمةٌ لا تسد

د. بشار هاشم الشبلي

(باحث في الفقه الإسلامي وأصوله، من العراق)

أستاذنا الحبيب، عرفتك في ثنايا الكتب، وفي طيات المقالات قبل أن أراك، فقرأت لك وعنك الكثير؛ فزاد شوقي لرؤياك... كان ذلك منتصف التسعينات.

فعشتُ سنينًا أمنّي النفس باللقْيا

وما لي إلا سوف والصبر مسليا

حتى إذا مضت تلك السنون، واشتد العود، تجرّأنا على أن نتطفل على موائد الكبار أمثالكم.

ساقنا القدر إلى التقديم للدراسات العليا (الماجستير)، وبعد سهر ليال، وجهد جهيد، حقق لنا الباري ما نريد؛ فتم قبولي عام (٢٠١٠م) وجاء يوم المباشرة فذهبت وملئ قلبي أمل بأن أحظى بلقيا الكبار..

نظرت إلى جدول المحاضرات على لوحة الإعلانات في الكلية، وأنا أجيل النظر في المفردات وأتعرف على التدريسيين، وقعت عيني على اسم أستاذ لطالما طرق سمعي ولم أرَ شخصه، إنه العلامة محيي هلال السرحان / أستاذ أصول البحث..

يا فرحتاه..

في تلك اللحظة بدت نواجذي من ابتسامة عريضة ربما لا حظها من وقف بجواري من الطلاب..

قلت لنفسي حينها: أنا محظوظ وقد منحني الله هذه الفرصة للأخذ والتلقي عن هذا الجهبذ.

رجعت يومها وأنا مغمور فرحا باللقاء الموعود في اليوم التالي..

وجاء يوم الدوام الفعلي وتلَقِّي المحاضرات..

حانت ساعة أصول البحث..

دخلنا القاعة نترقب دخول الأستاذ..

فدخل علينا أستاذ في متوسط العمر، قلبي حدّثني أنه ليس هو أستاذي الموعود. جلس على المنصة وبدأ يعرفنا بنفسه ومما قال: كان مخططًا أن يدرسكم الأستاذ الدكتور محيي هلال السرحان، ولكن حالته الصحية تدهورت واعتذر عن التدريس، فكلفتني العمادة بتدريسكم.

ومضت أيام وأنا أبحث عن أستاذي الفاضل وأسأل.. وكثيرًا ما تحسست الاستغراب ممن أسألهم في إدارة القسم لكثرة ما سألت..

ولكن بلا جدوى.. لم يكن مقدَّرًا لي اللقاء..

ومضت سنوات تلو سنوات.. وأخذتنا الظروف في طياتها.. حتى إذا أكملت الدكتوراه بعد كد وجهد.. وتملكتني فكرة تحويل أطروحتي الموسومة (الآراء الأصولية عند المعاصرين في مباحث الحكم الشرعي / دراسة وصفية نقدية) إلى كتابٍ لعلّي أستدرك ما فاتني من البحث فأنقّح وأهذّب..

كانت تلك الفكرة بحاجة إلى بوتقة مناسبة وقالب ملائم.. وقلت لا بدّ من تقديم علميّ رائق يناسب مستوى العلماء الذين درسْتُ آراءهم الأصولية وهم بحسب البلدان:

من مصر كل من: الشيخ محمد الخضري بك، والشيخ محمد عيد المحلاوي، والشيخ عبد الوهاب خلاف، والشيخ محمد أبو زهرة، والدكتور محمد سلام مدكور.

ومن العراق: الشيخ عبد الكريم الدبان، والشيخ حمد عبيد الكبيسي، والدكتور عبد الكريم زيدان، والدكتور مصطفى الزلمي.

ومن تونس: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

ومن موريتانيا: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

ومن سوريا: الدكتور وهبة الزحيلي.

ومن المملكة العربية السعودية: الدكتور عبد الكريم النملة.

عليهم جميعًا شآبيب الرحمات.

ولما كان هؤلاء هم أساطين الفكر الإسلامي المعاصر، كان لا بد أن يقدم لهم من هو في مصافهم، فمن الله علي بالتواصل مع أستاذي.. فوجدت عنده التواضع الجم وسمت العلماء العاملين المخلصين فأحاطني بالنصح والتشجيع وملأ روحي فألًا.

و وعدني بكتابة تقديم للأطروحة، ثم أخيرًا كان اللقاء.. فاكتحلت عيني برؤيا أستاذ الأساتذة وسيد الباحثين.. كان كأجمل ما يكون لقاء بين طالب علم متحمس وأستاذ مخضرم بارع..

المناسبة: الملتقى الأول للشباب الدعاة.

المكان: الدوحة الأعظمية المباركة.. في رحاب إمام الأئمة أبي حنيفة النعمان -رضي الله عنه-.

حين التقيت بأستاذي لم أعرف كيف أحيطه حبًا وابتهاجًا وغبطة وسرورًا.. أعطيته نسخة من الأطروحة لكي يعاينها.. ولا أكتمكم سرا إذا اعترفت أن قصة التقديم للأطروحة كانت ذريعة.. نعم ذريعة مشروعة للاحتكاك عن قرب بهذا الحبر والبحر.. لأغترف منه علما وخلاصة تجارب.. وكثيرا ما تذرعت بسؤال أو استفتاء لكي أحظى بلقيا الكبار.. شأني شأن أولئك الذين كانوا يحتالون للأعمش لكي يحدثهم حديثا واحدًا.. لينالوا علوًّا في الإسناد.

كان اللقاء في أجواء محفلية.. تخلله سؤال هذا وذاك.. فلم يُشبِع نهمتي.. ولم أرتوِ من ذلك النبع الصافي.. فطلبت من أستاذي أن يتكرر اللقاء ولكن في مكان يتيح لي الحديث والسؤال أكثر وأكثر.. وإكرامُ العالم سؤاله كما قال الأوَّل..

وعدني أستاذي بلقاء آخر وقال لي: يمكنك زيارتي في الأكاديمية العليا للدراسات العلمية والإنسانية.. وأعطاني العنوان.. فذهبت إليه ووجدت عنده أحد أساتذة جامعة تكريت.. وبين يدي أستاذي مخطوطة وفي يده عدسة مكبرة وهو منكب على تلك المخطوطة.. ينبشها حرفًا حرفًا.

يحقق... ويصحح التصحيف إن وجده.. ويشرح الغامض إن صادفه..

جلست عنده ما يقارب الساعتين ولم أشعر بها.. وليتها كانت أيامًا وسنين..

ناولني التقديم الذي كتبه لأوّل مؤلَّف لي سيبصر النورَ قريبًا.. وكأنه ناولني إكسيرَ الحياة..

فيا محيي العلومَ أحييت قلبًا

قد عانى طول انتظار حتى رآكا

فيـا سـعــده وطـــوبى لـه

بأن نـــال قبسـًا من سنـــاكا

ثم توالى التواصل مع صاحب الذكرى.. وفي كل مرة يكلؤني بتوجيهاته الرشيدة ونصائحه السديدة..

حتى جاء يوم الفراق وما كنتُ في هيأة جلَد أو تحمُّل وقد طرق سمعي خبر وفاته..

لقد مات مَن أحيا التحقيق للعلوم، لقد فارقنا من أنارَ الفهوم..

غير أن عزاءنا فيه أنّ آثاره باقية، كتب الله لها القبول..

وتلامذته يحملون فكره النير، ويستضيئون به في تحصيلهم العلمي..

فأسأل الله العلي القدير أن يرحم أستاذنا وحبيبنا شيخ المحققين ونبراس العارفين، وأن يجعل كل ما نشره من علم شاهدًا له يوم القيامة، وأن يحشره في زمرة العلماء والفقهاء تحت لواء سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

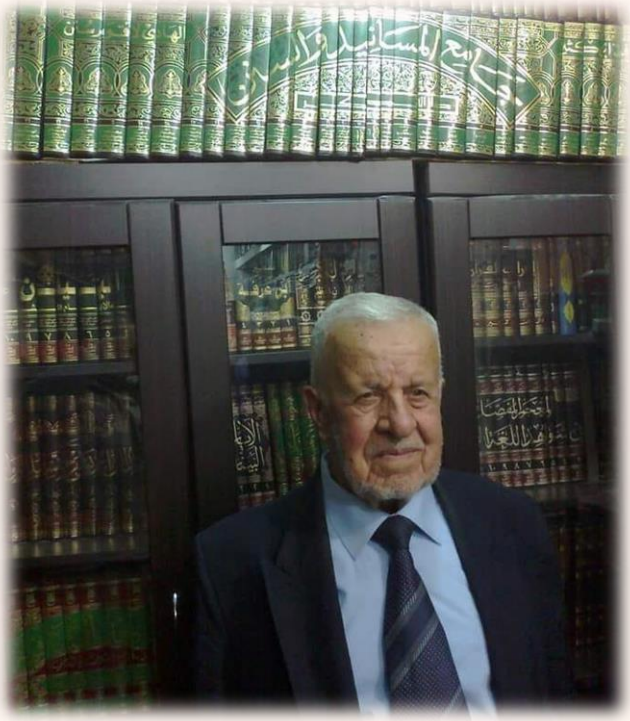

واقعة
قبل أكثر من عشر سنين

د. محمد ياسين الراوي
(عضو رابطة علماء العراق)

دخلتُ مكتبةً كبيرة فوجدتُ فيها رجلًا كبيرًا تجاوزَ الثمانين عامًا.. يتكلم بحُرقة مع صاحب المكتبة ويعامله عن سعر كتاب "تاج العروس" للزبيدي في طبعة قديمة قيّمة، وكان قد دفع فيها هذا الرجل الثمانيني ربع مليون دينار عراقي، وأخبر صاحبَ المكتبة أنه إذا وافق على هذا السعر فإنّه سيأخذ هذا الكتاب مباشرة بسيارة أجرة إلى شارع المتنبّي ليجلّده تجليدًا يتناسب وقيمة هذا الكتاب قبل أن يضعه بمكتبته العملاقة.

فكان أوّل أمري.. أنّني تعجّبت من صنيع هذا الرجل الثمانيني الذي هو في حساباتنا مُقبِل على الله تعالى في أي لحظة من لحظاته، فلماذا يكلّف نفسه في شراء كتاب ويجلده ويقتنيه؟ أما كان الأولى لهذا الرجل أن يحتفظ بماله؟ فكم يريد أن

يعيش ليتمتع بكتبه النفيسة؟!

وسرعان ما وقع في قلبي أن هذا الجسد المتهالك تحته روح عظيمة، لا تعرف الكلل ولا الملل، ولا تقيس اللذة بالقياس الذي قسته أنا، فكأنه يقول: لا أبالي كم سأعيش بعد هذا، بل ربما لِاسْتغراقه في العلم والبحث نسيَ عدد سنوات عمره، فتوقفَت ذاكرته على عمر شابٍّ طموح باذل وقته وماله في طلب العلم وتحصيله، ولم يشعر بمرور السنوات التي مرت عليه لانشغاله في العلم.

ذاك هو أستاذنا الكبير والعالم الموسوعي الشهير (محيي هلال السرحان) أحد أقطاب التحقيق في العالم العربي والإسلامي، الذي مَن جلس بين يديه كأنما يجلس بين يدي عبد السلام هارون ومحمود شاكر ومحمد محيي الدين عبد الحميد وأضرابهم من أساطين التحقيق ورواد الأدب وحاملي راية العلم.

وقد فاضت روحه إلى بارئها في يوم ٢٣ محرم ١٤٤٦هـ، الموافق: ٢٩/ ٧/ ٢٠٢٤م، بعد أن اصطبغت شخصيته بالكتب والمعرفة، فحقًا إنه مكتبة تمشي على الأرض، وحقًا إنه المكتبة الشاملة البشرية.

وسبحان مَن له الدوام.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

في رثاء السرحان

السيد أحمد عبد الكريم النعيمي
(عضو اتحاد المؤرّخين العرب)

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣].

عِلمٌ على عِلم، وفِقه على تفقُّه، وطروس محقَّقة وأسفار موثَّقة، جمعَ فيهنّ وبهنّ ومعهنّ ضوابط القضاء والقضاة إلى عِلم الاجْتهاد في الشهود والشهادة حتى أنبتَ كتبه من مؤلّفة ومحقَّقة، فكان هو محيي هلال السرحان..

الذي اقول فيه في شهادتي عنه رحمه الله تعالى:

القَلبُ فيهِ أوان * عن فضلهِ ترجمان

قالوا :" ومَن ذاك؟"، قلـ * ت: "مُحيي هلال السَرحان"

ومنذ أول مؤلفاته إلى آخرهن:

١. تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية.
٢. القواعد الفقهية ودورها في إثراء التشريعات الحديثة.
٣. أصول تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية.
٤. الشهادتان: معناهما وفضيلتهما وأحكامهما والتوحيد بهما.
٥. النظرية العامة للقضاء في الإسلام.
٦. الوجيز في اللغة العربية
٧. أصول البحث وتحقيق النصوص في العلوم الإسلامية.
٨. المكتبة وأصول البحث، كتاب مشترك.
٩. الخطابة، كتاب مشترك.
١٠. مناهج المفسِّرين، كتاب مشترك.
١١. دروس في قواعد اللغة العربية وآدابها، كتاب مشترك.
١٢. الفقه الإسلامي.

فتحقيقاته:

١- أدب القاضي، للماوردي.
٢- شرح أدب القاضي لابن الخصاف.
٣- تسهيل النظر وتعجيل الظفر، للماوردي.
٤- أدب القضاء، لابن أبي الدم الحموي.
٥- أدب الفتيا، للسيوطي.
٦- أدب الشهور، لابن سراقة العامري.
٧- مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين، للطبلاوي.
٨- تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر، لزكريا الأنصاري.
٩- طبقات الحنفية، لعلي الحنائي.
١٠- التلخيص في تفسير القرآن العظيم، لموفق الدين الموصلي المعروف بالكواشي.
١١-أجزاء من سير أعلام النبلاء للذهبي، بالاشتراك مع عدد من المحققين، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

ومقالاته في المجلات المتخصصة العراقية والعربية، وهو يقود مشيخة التحقيق بنمط فذ، أتعب مَن تلاه، لما فيه من همة وهمم، وقمة في التحقيق وقمم، وإذْ أرثيه أرثي تحقيق وتدقيق مخطوطات العلوم الشرعية عامة ومخطوطات أدب القضاء والشهود وخاصة.

ولقد كانت لي معه الكثير من الذكريات الجميلة والجلسات العلمية وقد استفدت منه ومن غزارة علمه، وهو يعاملني كأحد أولاده، ولا يمل من أسئلتي الكثيرة، ويجيبني عليها بكل لطفٍ

وأدب، فقد كان من أكثر الناس تواضعًا وزهدًا وخلقًا فاق كل أقرانه ممن عرفتهم، وكم كان يبارك لي جهدًا أو مؤلفًا ويسد لي نقصًا ويصلح لي خطأً بالنصيحة والبينة وباليسر واللين.

لله درك يا شيخي ويا أستاذي ويا قدوتي..

ولا يسعني إلا أن أدعوا لك ربي وأقول:

اللّٰهُمَّ ارحمه واغفر له ووسّع نزله وأسكنه فسيح جناتك إنك أنت السميع المجيب.

وقلت في فقده حزينًا مفجوعًا رحمه الله تعالى:

إليكَ أيا "محي الهلال" مراثيًا

يَجيشُ بهنَ القلبُ مني ويرجعُ

لرحمةِ رب العرشِ قد رحتَ ماضيًا

ومالي سوى الرَحمن للسؤلِ يَسمعُ

لقد كنتَ بينَ الناسِ فذًا مُحققًا

تراث الهُدى والدين تُملي وتطبعُ

لكَ اللهُ من طيبٍ جَميل ومحضرٍ

كريم ومن علمٍ يقالُ ويطبعُ

اللّٰهُمَّ تقبّله عندك واحشره في زمرة العلماء الأبرار يا أكرم الأكرمين.

ذكريات أم مقداد
مع أبيها محي هلال السرحان
(رحمه الله)

في كلّ يوم جمعة تجتمع العائلة سويًّا، وخصوصًا بعد صلاة العصر، نشرب القهوة ونتكلَّم عن أَشياء جميلة مرَّت بأَبي محي هلال السرحان (رحمه الله)، عِلمًا أَنَّه كان مولعًا بالمخطوطات.

قال: في يوم من الأَيام اتصلتْ بي السيدة انتصار أَحمد حسن وهي موجودة في أَحد المحال التراثية في شارع النهر فقالت لي: يوجد مجموعة من الكتب على الأَرض تحتوي مخطوطات نادرة قديمة ومنوعة مكتوبة بخط اليد، وصاحب المكتبة يريد أَن يبيعها لمن يقدِّر ثمنها ويعرف قيمتها، وعلى الفور سأَلت عن المحل والمكان واتَّفقتُ معها للحضور سويًّا إِلى المحل، فذهبنا وجلست على الكرسي وأَخذت مخطوطة وقلَّبت صفحاتها وقرأتها ثمَّ

أَخذت مخطوطة ثانية وقلَّبت صفحاتها وراجعتها بصمت وفرحت كأَنِّي وجدت كنزًا، ثمَّ اشتريتها كلَّها بمبلغ كبير، وحملتها بيدي وأَنا فرح على الرغم من كونها قديمة جدًا ومليئة بالأَتربة.

ثمَّ سأَلتُ والدي عن السبب في شراء هذه المخطوطات القديمة المليئة بالأَتربة، فقال وهو يبتسم: إِنَّها مخطوطات في الفقه والشريعة يجب تحقيقها وإِلَّا اندثرت تلك المعلومات التي تحويها، فهي أَمانة في أَعناقنا، ويجب الحفاظ عليها ونشرها ككتب يطَّلع عليها الناس، ويستفيد منها الباحثون والقرَّاء، ليس لي بل للأَجيال القادمة، والأَهم هو حفظ هذا التراث المُعرَّض للضياع، وابتغاءً لمرضاة الله سبحانه وتعالى.

رحم الله أَبي وأَدخله فسيح جنَّاته.

وفي يوم من أَيام شهر رمضان المبارك سأَلته عن رأيه في رمضان والناس، والصيام والعمل؟

فأَجاب قائلًا: يخلد كثير من الناس في شهر رمضان إِلى الراحة والكسل بحجَّة أَنَّه صائم، فإِن كان طالبًا تجده لا يذاكر درسه، ولا يستعد لامتحاناته، وقد يغيب أَو يتمارض، وإِن كان كاسبًا تجده يعطي لنفسه فرصة للاستراحة في هذا الشهر المبارك، وإِن كان موظفًا تجده يتماهل في إِنجاز أَعماله فلا يكملها بالقدر نفسه، وتجد غيرهم بهذه الصورة، أَنِسَت نفوسهم بهذه الطريقة المتكرِّرة وكأَنَّ رمضان عطلة من العطل، ولا شك أَنَّهم بهذه الصورة يرتكبون ضلالًا عظيمًا وخطًا فاحشًا في تقصيرهم في تنفيذ آداب الصيام، فرمضان شهر العِلم، والعمل، والجهاد، والصيام لا يُعطِّل الناس عن أَعمالهم وواجباتهم، وللصائم فرحتان يفرحهما: إِذا أَفطر فرح، وإِذا لقي ربَّه فرح بصومه. وكذلك يدخل الصائم الجنَّة من باب الريان، والريان: باب في الجنَّة يدخله الصائمون يوم القيامة، ولا يدخله أَحد غيرهم، فإِذا دخلوه أغلق.

رحمك الله يا أَبي وأَدخلك فسيح جنَّاته.

قسم

الدراسات

أَنْوَاعُ المَعَانِي وَنَظَرِيَّاتُ دِرَاسَةِ المَعْنَى
-دِرَاسَةُ حُرُوْفِ المَعَانِي أُنْمُوذَجًا-

د. عليّ حكمت فاضل محمّد
(كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية / جامعة بغداد)

المقدّمة:

موضوع المعنى أو الدّلالة، من الموضوعات التي شغلت العلماء قديمًا وحديثًا، ولم يكن هذا العلم يشغل اللّغويّين فقط، وإنّما شغل المناطقة، والأصوليّين، والفلاسفة، والمتكلّمين، وكان له حيّز مهمّ في مصنّفاتهم.

تناولتُ في هذا البحث موضوعين مهمّين من موضوعات علم المعنى، هما: أنواع المعاني، ونظريّات دراسة المعنى، وقد أسبقت هذين الموضوعين بمَن فرَّق بين الدّلالة والمعنى، ومَن أردفَ بين هذين المصطلحين، وقد ضمّنت البحث بعض الرّسوم الإيضاحيّة وبعض المخطّطات التي يمكنها أن توضح بعض مغاليق البحث، وبعد هذين الموضوعين ذكرت خاتمة فيها بعض النّتائج التي توصّلت إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع.

مِهَاد (المَعْنَى وَالدَّلَالَةُ) :

اختلفَ العلماء في العلاقة بين المعنى والدّلالة، فقد ذهب بعضهم إلى التّرادف بين هذين المصطلحين، وهناك مَن قال: إنّ المعنى يختلف عن علم الدّلالة، والخلاف هو:

- **ترادف المصطلحين:**

أردف الدّكتور أحمد مختار عمر بين الدّلالة والمعنى، فقد ذكر في مقدّمة كتابه علم الدّلالة: إنّ موضوع الأساسيّ لعلم الدّلالة هو علم المعنى، وقال أيضًا: إنّ لعلم الدّلالة اسم آخر، وهو: علم المعنى[١]، وعرّفه بقوله: هو دراسة المعنى[٢]، أو: هو العلم الذي يدرس المعنى[٣]، أو: هو ذلك الفرع من علم اللّغة

(١) ينظر: علم الدّلالة (أحمد مختار عمر) ٥.

(٢) ينظر: علم الدّلالة (أحمد مختار عمر) ١١.

(٣) ينظر: علم الدّلالة (أحمد مختار عمر) ١١.

الذي يتناول نظريّة المعنى[١]، أو: ذلك الفرع الذي يدرس الشّروط الواجب توافرها في الرّمز حتّى يكون قادرًا على حمل المعنى[٢]، وهو ما يذهب إليه الباحث.

- **الفرق بين المصطلحين:**

فرّق الدّكتور محمّد عليّ الخولي بين المعنى والدّلالة، قال: إنّنا حينما نتحدّث عن معنى الكلمة فإنّنا نتحدّث عن علاقاتها مع الكلمات الأخرى داخل اللّغة، كما في: ثري، تعني: غني، أو ضدّ الفقير، أو كريم: تعني بخيل، أي أنّ معنى الكلمة مرتبط بعلاقاتها مع الكلمات ذات العلاقة في اللّغة الواحد[٣].

أمّا الدّلالة: فهي علاقة الكلمة في العالم الخارجي، أي أنّ هناك فرق بين الكلمات والموجودات في العالم الخارجي، فمثلًا: كلمة كرسي، ليست كرسيًّا بل هي كلمة تشير إلى الشّيء الخارجي الذي ندعوه: كرسيًّا، أو كلمة باب، أو مدرسة، وهكذا[٤].

المَبْحَثُ الأَوَّل (أَنْوَاعُ المَعَانِي) :

يظنّ الكثير من النّاس أنّنا نكتفي بمعرفة معنى الكلمات حينما نرجع إلى المعجم؛ ولكن إن كان هذا كافيًّا لبعض الكلمات إلّا أنّه غير كافٍ لكثير منها، ولذلك نجد الكثير من علماء الدّلالة مَن فرّق بين أنواعٍ من المعاني، إذ لا بدّ لنا من ملاحظتها قبل التّحديد النّهائيّ لمعاني الكلمات، وقد اختلفوا في حصر هذه الأنواع، على ثلاثة أقسام[٥]، منها: تقسيم القدماء، الذين قسّموا المعنى أو الدّلالة، على: لفظيّة وغير لفظيّة، وكلّ من هذين النّوعين قُسّمَ على ثلاثة أقسام، هي: عقليّة وطبيعيّة ووضعيّة، وقسّمت اللّفظيّة الوضعيّة على ثلاثة أقسام كذلك، هي: تضمنيّة والتزاميّة وتطبيقيّة، وضمّنت هذه الأنواع في المخطّط:

(١) ينظر: علم الدّلالة (أحمد مختار عمر) ١١.

(٢) ينظر: علم الدّلالة (أحمد مختار عمر) ٥و١١.

(٣) ينظر: علم الدّلالة (محمّد عليّ الخولي) ٢٥.

(٤) ينظر: علم الدّلالة (محمّد عليّ الخولي) ٢٥و٢٦.

(٥) ينظر: مصطلحات الدّلالة الحديثة ٩١ - ١٣١.

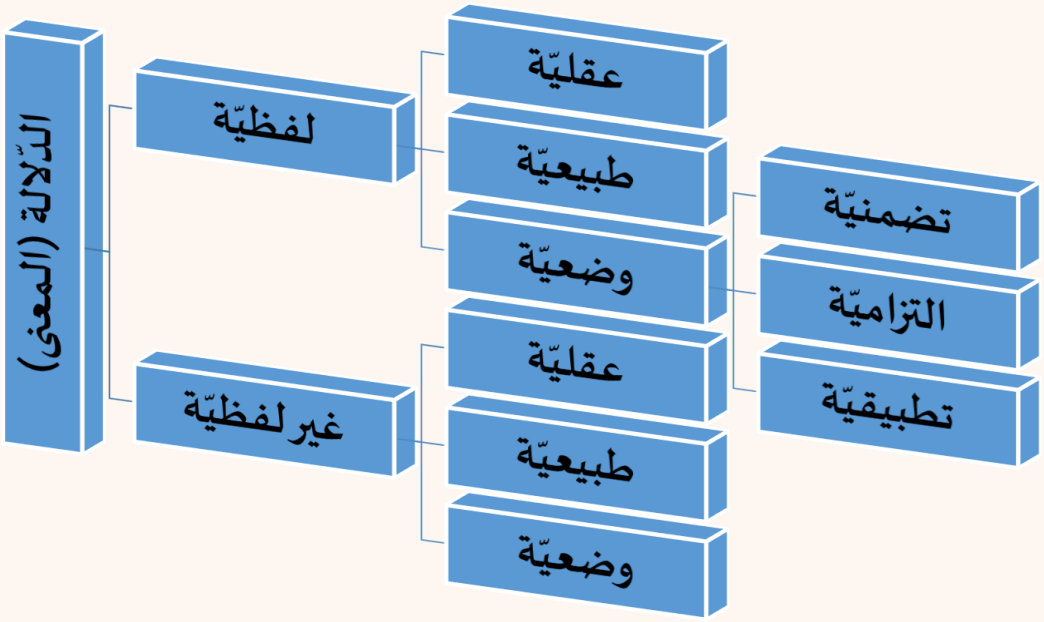

[مخطّط (١) يوضح أنواع المعنى أو الدّلالة عند القدماء]

وهناك من المحْدثين مَن قسّم أنواع المعنى أو الدّلالة حسب تقسيم علوم اللّغة، فقد قسّموا علم الدّلالة أو المعنى على أربعة أقسام، هي: الدّلالة الصّوتيّة، والدّلالة الصّرفيّة، والدّلالة النّحويّة، والدّلالة المعجميّة[١]، وضمّنت هذه الأنواع في المخطّط:

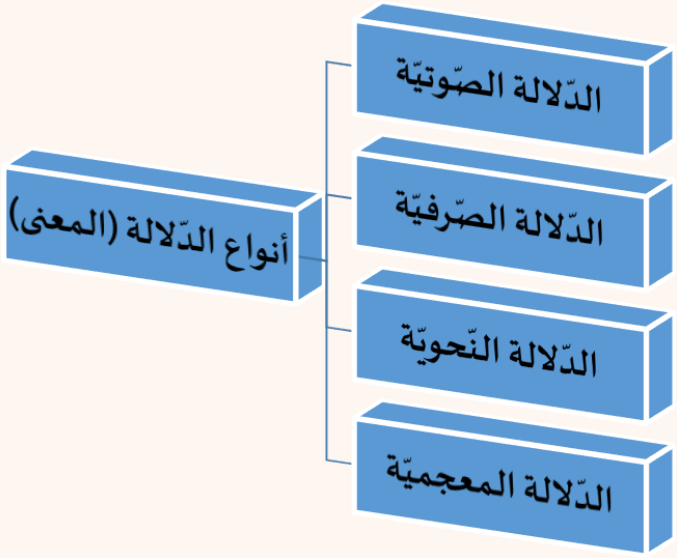

[مخطّط (٢) يوضح أنواع المعنى عند بعض المحدثين]

(١) ينظر: علم الدّلالة (أحمد مختار عمر)، ٣٦ – ٤١، طبّقت هذا التّقسيم على رسالتي في الماجستير الموسومة بـ: **البحث الدّلاليّ في حاشية السّيّد الشّريف الجُرجانيّ على الكشّاف**.

وهناك تقسيم آخر عند المحدثين، وهو ما ذكره الدّكتور أحمد مختار عمر، والدّكتور محمّد علي الخوليّ، وغيرهم، ويقسّمونه على:

- **المعنى المركزيّ:**

كثُرَت أسماء هذا النّوع من المعنى، فمنهم مَن أسماه: المعنى المركزيّ، والمعنى الأساسيّ، والمعنى التّصوّريّ، والمعنى المفهوميّ، والمعنى الإدراكيّ، والمعنى الرّمزيّ، والمعنى الإخباريّ[١].

وهذا النّوع من المعنى أطلق عليه اللّغويّون القدماء مصطلح الحقيقة، أو الدّلالة الحقيقيّة، عرّفها ابن جنيّ قائلًا: هي "اللّفظ المستخدم في موضعه الأصليّ، وأُقرّ في الاستعمال على هذا الوضع"[٢].

وكذلك تناول الأصوليّون هذا النّوع من المعنى، قال السّرخسيّ: و" الحقيقة ما يكون مستعملًا في موضعه، والمجاز ما يكون معدولًا به عن موضعه"[٣]، وكذلك قال الشّوكانيّ: هو اللّفظ المستعمل فيما وضع له"[٤].

ووصف الدّكتور محمّد علي الخولي هذا النّوع من المعنى بأنّه المعنى القاموسيّ، قال: إنّ لكلّ كلمة معنى أساسيّ: هو المعنى القاموسيّ، الذي تحمله الكلمة ويتّفق عليه متكلمو اللّغة الأصليّون، ويمكن أن ندعوه المعنى المفهوميّ أو المعنى الإدراكيّ[٥].

- **المعنى الإيحائيّ:**

هو: " المعنى الذي يتعلّق بكلمات ذات مقدرة خاصّة على الإيحاء نظرًا لشفافيتها"[٦]، أي: هو المعنى الذي يتعلّق بكلمات لها مقدرة خاصّة على الإيحاء، ومثلًا إذا كانت الكلمة تدلّ على بعض الأصوات أو الضّجيج كـ(صليل السّيوف)، و(مواء القطّة)، و(خرير الماء)، وكذلك يتعلّق هذا المعنى في الكلمات المنحوتة، كـ(صهصلق) من صهل وصلق، و(بحتر) من بتر وحتر.

---

(١) ينظر: دلالة الألفاظ ١٠٦، وعلم الدّلالة (أحمد مختار عمر) ٣٦.

(٢) الخصائص ٤٤٢/٢.

(٣) أصول السّرخسيّ ١٤٦/١.

(٤) إرشاد الفحول ٩٦/١.

(٥) ينظر: علم الدّلالة (محمّد عليّ الخوليّ) ٧٦.

(٦) علم الدّلالة (أحمد مختار عمر) ٣٩.

- **المعنى النّفسيّ:**

هذا النّوع من المعنى خاصّ بالأفراد، ويظهر دوره في استخدام الشّعراء والأدباء لدلالات خاصّة بهم تعبّر عمّا يريدون بأسلوب مختلف عن النّاس وعن غيرهم من الأدباء الذين لهم قدرة أخرى فوق ما للمرء العادي يستمدونها من خيالهم، وتمدّهم هذه القدرة بظلال من الدّلالات لا تكاد تخطر في ذهن الآخرين(١).

- **المعنى الإفصاحيّ:**

عدّ بعض الباحثين هذا النّوع من المعنى هو جزء من المعنى النّفسيّ، قال الدّكتور تمّام حسّان: هو" ما يُفهم من الشّحنة العاطفيّة التي تصاحب نطق الكلمة"(٢)، كالحالة التي يمرّ بها الأطفال والكبار حين يُقرأ النّشيد الوطنيّ لبلدهم.

- **المعنى الأسلوبيّ أو السّياقيّ:**

هذا النّوع يُفهم من المحيط الاجتماعيّ للاستعمال، نرى ذلك في تحوّل لفظة (الأم) على لسان البعض إلى (ماما) أو (أماي) أو (يمّة)، أو قد تتحوّل لفظة (زينب) إلى (زوبة)، وهكذا أي أنّ المحيط الخارجيّ مَن حدّد معناه(٣).

ويرتبط هذا النّوع من المعنى بثقافة المتكلّم ومستواه الاجتماعيّ ومقامه، لذا أطلق على هذا النّوع تسميات مختلفة منها اللّغة الأدبيّة، أو الدّلالة الأدبيّة، التي يتميّز بها الأديب في ألفاظه ومعانيه عن غيره(٤).

- **المعنى الانعكاسيّ:**

أصل هذا النّوع هو مأخوذ من الأصوليّين، تناوله الشّوكانيّ باسم: دلالة المخالفة، قال: هو " يكون السّكوت عنه مخالفًا للمذكور في الحكم إثباتًا ونفيًا، فيثبت المسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به،

(١) ينظر: دلالة الألفاظ ٨٥، والأصول دراسة ابستمولوجيّة للفكر اللّغويّ عند العرب ٣٦٠.

(٢) الأصول دراسة ابستمولوجيّة للفكر اللّغويّ عند العرب ٣٦١.

(٣) ينظر: الأصول دراسة ابستمولوجيّة للفكر اللّغويّ عند العرب ٣٨٤.

(٤) ينظر: علم الدّلالة دراسة نظريّة وتطبيقيّة ٦١.

ويسمّى دليل الخطاب، أو لأنّ الخطاب دالّ عليه"[١]، وورد مصطلح: المعنى الانعكاسيّ لهذا النّوع من المعنى عند المحدثين؛ لأنّه يأتي بعكس المعنى المنطوق[٢].

وهذا المعنى قد نأتي به في بعض الأحيان لأسباب منها: الخوف من المقابل، أو المزاح معه، أو الخجل منه، مثلًا: صباح الخير، لها دلالات كثيرة، فدلالة الموافقة هي عند الصّباح تحيّة، وعند الظّهر أو بعد الظّهر حينما يقولها المدير للموظّف فهي تكون تأنيبًا له لتأخّره عن العمل[٣].

- **المعنى الفلسفيّ:**

وهي لغة الفلاسفة التي تقوم على مصطلحات أخر تفيد البحث الفلسفيّ، والبحث الفلسفيّ بدوره يخدم اللّغة المتطوّرة، أي: لغة البحوث ونشاطاتها بصورة عامّة، وبالمقابل بقدّم البحث اللّغويّ للفلسفة لغة ننطق بها ونفكّر ونتأمّل[٤]، وكذلك عرّفوا هذا النّوع من المعنى بقولهم: " دراسة المعاني من ناحية فلسفيّة عامّة، دون الارتباط بلغة ما"[٥].

[مخطط (٣) يوضّح أنواع المعاني عند الدّكتور أحمد مختار عمر وغيرهم]

(١) إرشاد الفحول ٢/٥٢٢.

(٢) ينظر: مصطلحات الدّلالة العربيّة ١٢٦.

(٣) ينظر: مصطلحات الدّلالة العربيّة ١٢٧و١٢٨.

(٤) ينظر: نظريّة المعنى في النّقد العربيّ ٧٠.

(٥) معجم علم اللّغة النّظريّ ٢٤٣، والبحث الدّلاليّ عند ابن سينا ١٢٩.

والخلاصة: توصّل الباحثون إلى نتيجة هي: عدم تمكّنهم من إحصاء أنواع المعنى؛ لأنّ دراسة المعنى في تشعّب، واحتمال المزيد من هذا التّشعّب بحيث اختلفوا في عدّها وحدّها.

المَبْحَثُ الثَّانِي (نَظَرِيَّاتُ دِرَاسَةِ المَعْنَى) :

ظهر عند الغربيّين عدد من النّظريّات التي تصف المعنى وتشرح طبيعته، وتفسره، وتصنّفه إلى أنواع مختلفة تبعًا لمعايير متنوّعة، ومن هذه النّظريّات: النّظريّة الإشاريّة، والنّظريّة السّلوكيّة، ونظريّة التّصوّريّة، ونظريّة الحقول الدّلاليّة، والنّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، والنّظريّة التّداولّة، وسأشرحها عمومًا، وأُركّز على النّظريّة الإشاريّة؛ لأنّ لها فضل السّبق في نشأة النّظريّات التي جاءت بعدها، والنّظريّة السّياقيّة، والنّظريّة التّداوليّة، والنّظريات هي:

١- النّظريّة الإشاريّة:

ترجع أصول هذه النّظريّة إلى جذور فلسفيّة ومنطقيّة، وتعتمد في كثير من مباحثها على مصطلحات فلسفيّة، وهناك مَن يسمّي هذه النّظريّة بـ(المرجعيّة)؛ لأنّ هذه النّظريّة تتمحور حول فكرة أن كلّ عبارة في أيّ لغة من لغات العالم لا يكون لها معنى إلّا بأن يكون لها مرجع، فالمرجع هو الذي يعطيها هذا المدلول، فإذا غاب المرجع فليس هناك مداليل، ومَن منح هذه النّظريّة الصّبغة العلميّة هما العالمان الإنجليزيّان: أوجدن وريتشاردز، اللّذان اشتهرا بمثلثهما الذي يميّز عناصر الدّلالة بدءًا بالفكرة أو المحتوى الذّهنيّ، ثمّ الرّمز أو الدّالّ، وانتهاء إلى المشار إليه أو الشيء الخارجيّ، كما في الشّكل:

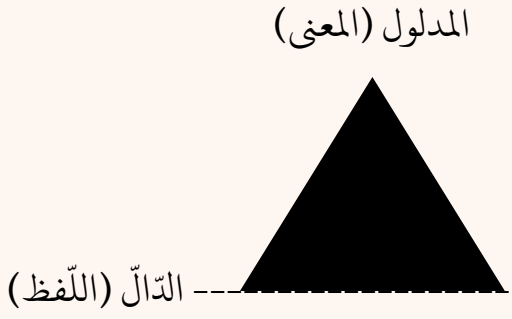

ويقول أصحاب هذه النّظريّة: إن العلاقة بين المدلول والمرجع علاقة طبيعيّة، مثلًا: شجرة، موجودة صورتها في الذّهن، أي: مخزونة بعد التّصوّر، ووُضِعَ الدّالّ في اللّغة للتّعبير عن المرجع، أي: أنّ علاقة وضع

الدّال ليحلّ محلّ المرجع، هي علاقة اعتباطيّة، إذ لا علاقة طبيعيّة بين كلمة: شجرة، وبين مدلولها، على عكس العلاقة بين شجرة التي هي الشّيء الخارجيّ وبين معناها، أي: صورتها الموجودة في الذّهن[1].

وهذه النّظريّة لا يمكننا أن نطبّقها على حروف المعاني كـ(إذا)، و(لكن)، و(لا)، و(إن)، و(أو)، وغيرها، إن كانت حروف المعاني فردة غير متّصلة بغيرها، أمّا إذا كانت متّصلة بغيرها فيمكن أن نُطبّق عليها هذه النّظريّة، والدّليل على ذلك: إنّ دور هذه الأدوات هو الرّبط بين الوحدات المعجميّة لتأكيد نسبة أو استدراك شيء أو نفيه، أي أنّها تؤثّر على الوحدات المعجميّة من جهة الشّرط أو الاسناد أو النّفي، وهذا التأثير يقابله نسبة خارجيّة، فمثلًا قولنا: مَن يجتهد ينجح، إنّ في هذه الجملة هناك أثر لحروف المعاني، وهو الشّرط، وهذا الأثر لا بدّ من أن يقابله نسبة خارجيّة في الواقع الخارجيّ، ووجه مطابقتها في الواقع، هو كون الاجتهاد يؤدّي إلى النّجاح، ومَن أفاد تلك النّسبة هو (مَن) التي دلت على الشّرط.

ومن الباحثين مَن قال: إنّ أدوات المعاني يمكن أن نبدّلها بوحدات معجميّة بدلًا منها، فلذا يمكن أن نقول: حضر الطّلبة استثني أحمد، أي: حضر الطّلبة إلّا أحمد، وكذلك يمكن أن نقول: جاء عليّ، أُشرك أحمد فيما ثبت لعليّ، أي: جاء عليّ وأحمد[2].

٢- النّظريّة التّصوّريّة:

ارتكزت هذه النّظريّة على مبدأ التّصوّر الذي يمثّله المعنى الموجود في الذّهن، وإذا وقفنا على جذور هذه النّظريّة، فإنّها تعود إلى الفيلسوف الإنجليزيّ جون لوك، والذي سمّاها بـ(النّظريّة العقليّة)؛ لأن مبدأ التّصوّر الذي يمثّله المعنى موجود في الذّهن، وهي بصورة عامّة نظريّة تعتبر اللّغة أداة لتوصيل الأفكار، أو بتعبير آخر: تعتبر اللّغة تمثيلًا خارجيًّا ومعنويًّا لحالة داخليّة.

وما يميّز هذه النّظريّة هو الطّابع التّجريديّ لها، ونتيجة لذلك ذهب علماء الدّلالة المحدثين إلى بناء أفكارهم وفقًا للتّجربة والملاحظة، وأساس عمل النّظريّة التّصوريّة (نظريّة الأفكار) هي: لا يكون للفظ معنى إلّا إذا كانت له فكرة، ولا يكون اللّفظين متشابهين أو العبارتين متشابهتين إلّا إذا عادا إلى

(١) ينظر: مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب ١٧ - ٢٤.

(٢) ينظر: المعنى وظلال المعنى ١١٣.

فكرة واحدة، وهذه النّظريّة تعتبر اللّغة وسيلة أو أداة لتوصيل الأفكار.

ودراسة حروف المعاني في هذه النّظريّة من المآخذ التي توصم بها، فهناك بعض الألفاظ ليس لها أفكار، كـ(كيف، وكان، وإن، وليت، وحروف الجرّ، وغيرها)، فنحن لا نستطيع أن نتصوّر فكرة لهذه الألفاظ، فكيف بنظريّة الأفكار أن تجد لنا فكرة تحدّد معاني لهذه الألفاظ؟[١].

٣- النّظريّة السّلوكيّة:

يرجع أصول هذه النّظريّة إلى: واتسن، رائد المدرسة السّلوكيّة في علم النّفس، في مصنّفِهِ: السّلوكيّة، وكان قد مهّد لهذا المؤلّف ببعض المبادئ نُشِرَت قبله ببضعة سنين على شكل مقالات ومحاضرات، والذي وسّع هذه النّظريّة وطبّق آراء السّلوكيّين على دراسة اللّغة، هو: بلومفيلد، والذي عرض وجهة نظره في تطبيق المبادئ السّلوكيّة على اللّغة، ذكرها في كتابه: اللّغة[٢].

تعطي النّظريّة السّلوكيّة كلّ عنايتها للتّجربة، والملاحظة، ولا تعطي أيّ قدر يذكر لـما يُسمّى بالمرجع، كما في النّظريّة الإشاريّة، والتّصوّر، كما في النّظريّة التّصوّريّة، بل انتقدتهما انتقادًا لاذعًا.

فالصّيغة اللّغويّة التي ينطقها المتكلّم عبارة عن موقف يحث به السّامع على الاستجابة لهذا الموقف وتلك الاستجابة هي المعنى اللّغويّ للصّيغة، وكلّ من المثير والاستجابة يستدعيان المقام الذي حدث فيه الموقف الكلاميّ، ومن ثمّ لا يمكن تحديد دلالة صيغة لغويّة ما قبل تحديد وحصر كلّ المقامات التي واكبت استخدام هذه الصّيغة في الحدث، فضلًا عن معرفة كلّ ما يتعلّق بعالم المتكلّم[٣].

وهناك الاعتراضات على هذه النّظريّة، منها: هناك الكثير من الكلمات لا تدلّ على أشياء أو خصائص قابلة للملاحظة، كالحبّ والكراهيّة لذلك لا يمكن للنّظريّة السّلوكيّة أن تقول شيئًا تجاه هذا[٤].

٤- النّظريّة السّياقيّة:

إنّ نظام اللّغة متشابك العلاقات بين وحداته، ومفتوح دومًا على التّجديد والتّغيير في بنياته

---

(١) ينظر: علم الدّلالة (منقور عبد الجليل) ٨٥.

(٢) ينظر: المعنى وظلال المعنى ١١٤.

(٣) ينظر: علم الدّلالة وآليّات التّوليد الدّلاليّ ٩٨.

(٤) ينظر: المعنى وظلال المعنى ١١٥.

المعجميّة والتّركيبيّة، حتّى غدا تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموع السّياقات التي ترد فيها، وهذا ما نادت به النّظريّة السّياقيّة التي نفت عن الصّيغة اللّغويّة دلالتها المعجميّة[١].

ترجع هذه النّظريّة إلى اللّغويّ الإنجليزيّ جون روبرت فيرث، وقال أصحاب هذه النّظريّة: إنّ المعنى يفسّر باعتباره وظيفة في سياق، فالسّياق وحده هو مَن يجد المعنى الدّقيق لأيّ نصّ لا العلاقات العقليّة بين الدّالّ والمدلول التي نادى بها سوسير والتي طوّرها كلّ من أوجدن ورتشاردز[٢]، في مثلثهما المشهور.

أمّا أصحاب هذه النّظريّة فهم يهتمون بالجانب العمليّ أو الاستعماليّ ويتجاهلون كلّ ما سوى ذلك من دراسات تخرج عن هذا الإطار الاجتماعيّ للّغة، فالسّياقيّون ابتعدوا عن النّظرة العقليّة في تحديد المعنى ووضعوا بدلًا منها عناصر تكون مسؤولة عن توجيه دلالة النّصّ، يقول فتغنشتاين: لا تفتّش عن معنى الكلمة، وإنّما عن الطّريقة التي تُستعمل فيها[٣]، وإنّ الطّريقة التي تُستعمل فيها الكلمة هي التي تصنّف دلالة هذه الكلمة ضمن الدّلالة الرّئيسيّة التي تتحدد معها الصّور الأسلوبيّة؛ لأنّ السّياق يحمل حقائق إضافيّة تشارك الدّلالة المعجميّة للكلمة في تحديد الدّلالة العامّة التي قصدها القائل[٤].

ومن أنواع السّياق ما يكون لفظيًّا وهو ما يعرف بـ(السّياق اللّغويّ)، ومنه ما يكون غير لفظيّ، وهو على قسمين: (سياق الموقف) وهو البيئة غير اللّغويّة التي تحيط بالخطاب وتبيّن معناه، و(سياق ثقافيّ) أي: الذي يعنى بتحديد المحيط الثّقافيّ الذي نشأ فيه النّص[٥].

وهذه النّظريّة تقوم على أنّ للّفظ معنى مركزيّ يسمّى بـ(النّواة)، معانٍ هامشيّة ثانويّة تكتسبها بفعل دوران اللّفظ المتجدّد في أنساق كلاميّة مختلفة، حتّى أضحى المعنى المركزيّ يدور في فلك المعاني الثّانويّة التي لا تفاضل بينها، وأصبح طريق رفع اللّبس في الدّلالة يمرّ عبر السّياق اللّغويّ أو الخطابيّ أو معاينة المقام الذي يتمثّل في المعطيات الخارجيّة أو النّفسيّة[٦]، كما هو الحال في المعنى المركزيّ للأداة:

---

(١) ينظر: علم الدّلالة (منقور عبد الجليل) ٨٨.

(٢) ينظر: المعنى وظلال المعنى ١١٧.

(٣) ينظر: علم الدّلالة (منقور عبد الجليل) ٨٨.

(٤) ينظر: علم الدّلالة (منقور عبد الجليل) ٨٩.

(٥) ينظر: السياق والمعنى ١١-١٣.

(٦) ينظر: علم الدّلالة (منقور عبد الجليل) ٨٩.

الهمزة، التي هي أمّ باب الاستفهام، فيمكن أن يعتبر هذا هو المعنى المركزيّ للّفظة، وهناك معانٍ ثانويّة لها: كالتّسويّة، والإنكار، والتّقرير، والتّهكّم، والأمر، والتّعجّب، وغيرها من المعاني التي يمكن أن نعدّها ثانويّة[١].

٥- نظريّة الحقول الدّلاليّة:

تُعرّف الحقول الدّلاليّة بأنّها مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالاتها ضمن مفهوم محدّد، مثلًا: حقل الحيوانات التي تدلّ على الحيوانات الأليفة أو المتوحّشة، وحقل الكلمات التي تدلّ على السّكن، وحقل الكلمات التي تدلّ على الألوان، وحقل الكلمات التي تدلّ على القرابة، أو أيّ قِطاع من المادّة اللّغويّة التي يعبِّر عن مجال معيَّن من الخبرة أو الاختصاص[٢].

وأصحاب هذه النّظريّة يقولون: إنّ دراسة معنى الكلمة يكون من خلال الكلمات المتّصلة بها دلاليًّا، فمعنى الكلمة إذن: هو محصّلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجميّ[٣].

ومن فوائد هذه النّظريّة: سهولة التّوصّل إلى نوع العلاقة بين معاني الوحدات المعجميّة، ودراسة علاقات المعنى كـ(التّرادف، والتّضاد، و...) دراسة علميّة دقيقة، كما نجد لها تطبيقات في المجال النّحويّ[٤].

وهناك اتّجاهات متعدّدة حول تصنيف المفاهيم الموجودة في اللّغة، فمنهم مَن وضع تصنيف يصلح لكلّ اللّغات الإنسانيّة، غير أنّ أهمّ تصنيف في هذا الصّدد القائم على الأقسام الأربعة: (الموجودات، والأحداث، والمجرّدات، والعلاقات)، وقد وسّعوا هذه الأقسام، فالموجودات تفرّع منها: الحيّ وغير الحيّ، وللحيّ أجزاء تضمّ الحيوانات والطّيور والحشرات، كما تضمّ الإنسان وما يتّصل به كالقرابة والصّفات والمجموعات البشريّة، أمّا غير الحيّ فمنه الطّبيعيّ والمركّب أو المصنّع، والطّبيعيّ يقسم إلى جغرافيّ ونباتيّ ومائيّ وغير ذلك، والمركّب أو المصنّع يقسم إلى موادّ معالجة كالأطعمة والأدويّة وإلى موادّ ومنتجات مبنيّة

---

(١) تناولها ابن هشام في مغني اللّبيب ١/٧٤ - ٩٧.

(٢) ينظر: علم الدّلالة (جون لاينز) ٤٩.

(٣) ينظر: مبادئ اللّسانيّات ٣٦٣.

(٤) ينظر: المعنى وظلال المعنى ١٢٥.

كالسكن والحفريّات، وإلى موادّ ومنتجات غير مبنيّة كالأدوات الكتابيّة والآلات الموسيقيّة والصّور والنّقود والأثاث والأقمشة والأسلحة والملبوسات ونحو ذلك. وكما في الجدول:

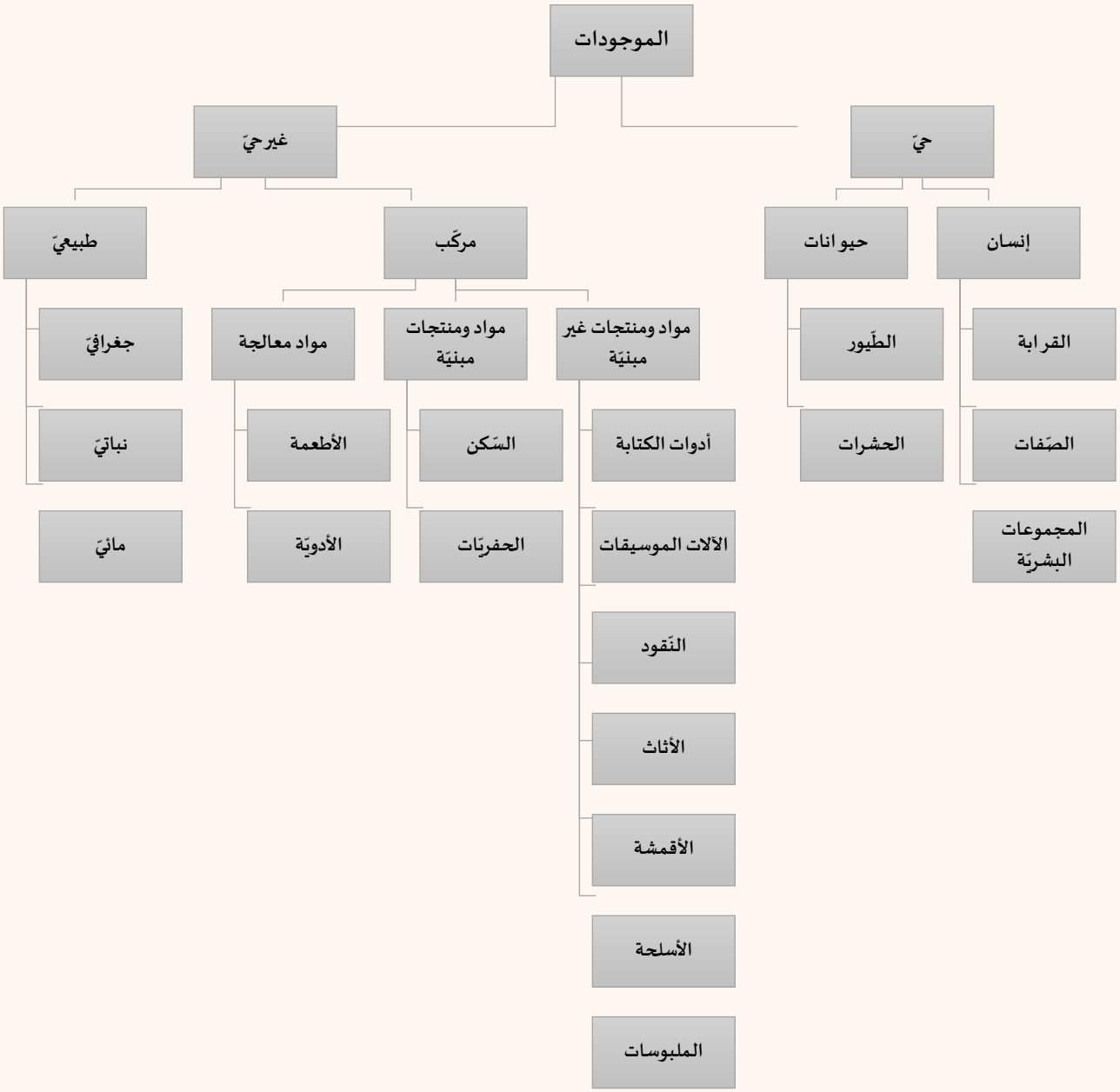

[الجدول الأوّل: الموجودات]

أمّا الأحداث، فهي تقسم على: الأحداث الطّبيعيّة كالمناخ، والنّشاط الانفعاليّ كالحزن والخوف، والنّشاط الفكريّ كالإدراك والذّاكرة والتّفكير، والإحساسيّ كالشّمّ والتّذوّق والإبصار، ونحو ذلك، وكما في الجدول:

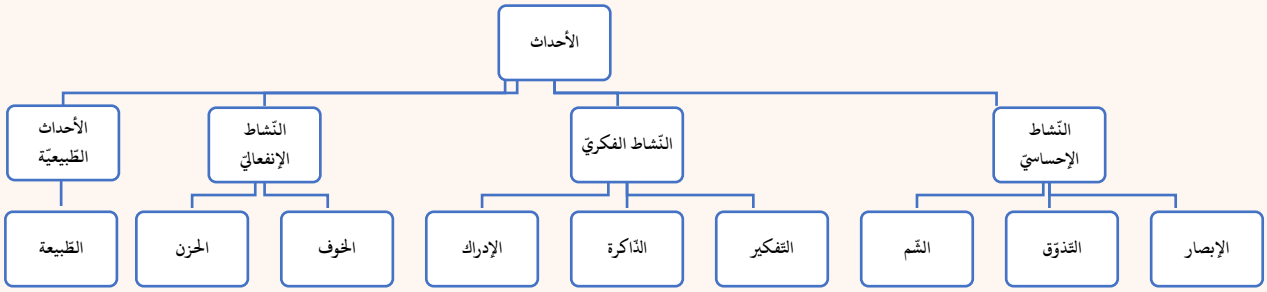

[الجدول الثّاني: الأحداث]

والمجرّدات تقسم على: الوقت والمقدار والجاذبيّة والجودة والسّرعة والطّاقة والعمر والعدد والمركز والمسافة وغير ذلك، وكما في الجدول:

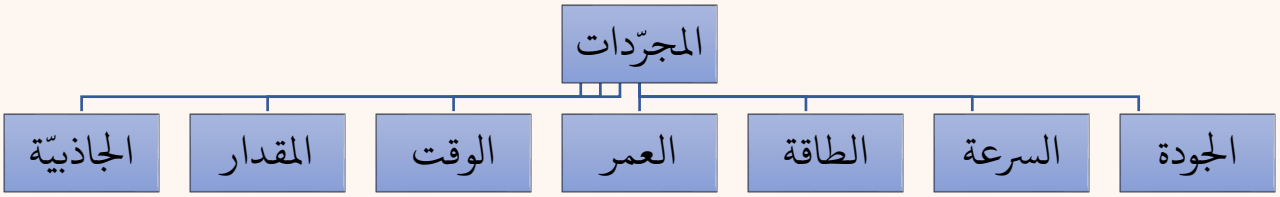

[الجدول الثّالث: المجرّدات]

والعلاقات تقسم إلى المكانيّة والزّمانيّة والإشاريّة والعقليّة، وكما في الجدول:

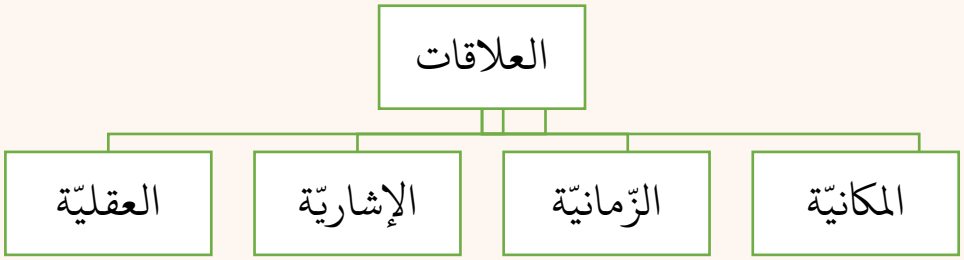

[الجدول الرّابع: العلاقات]

أقول: فيما يخصّ حروف المعاني، يمكن أن ندرسها ضمن نظريّة الحقول الدّلاليّة، حينما نصنع حقولًا دلاليّة تتضمّن أنواع الحروف وفقًا لدلالتها، والفائدة التي تقدّمها هذه النّظريّة أنّها تخلّصها من اللّبس الذي يحصل بسبب المعاني المشتركة للأداة الواحدة، فمثلًا تخلّصنا من الدّلالات الثّانويّة للهمزة، حينما نضعها في حقولها، أي حقل الاستفهام والنّداء والتّوبيخ وغيرها من الدّلالات التي تأتي بها، وكذلك

الحال مع (ما)، و(لا)، وغيرها من الأدوات التي لها أكثر من دلالة، لاحظ المخطّط:

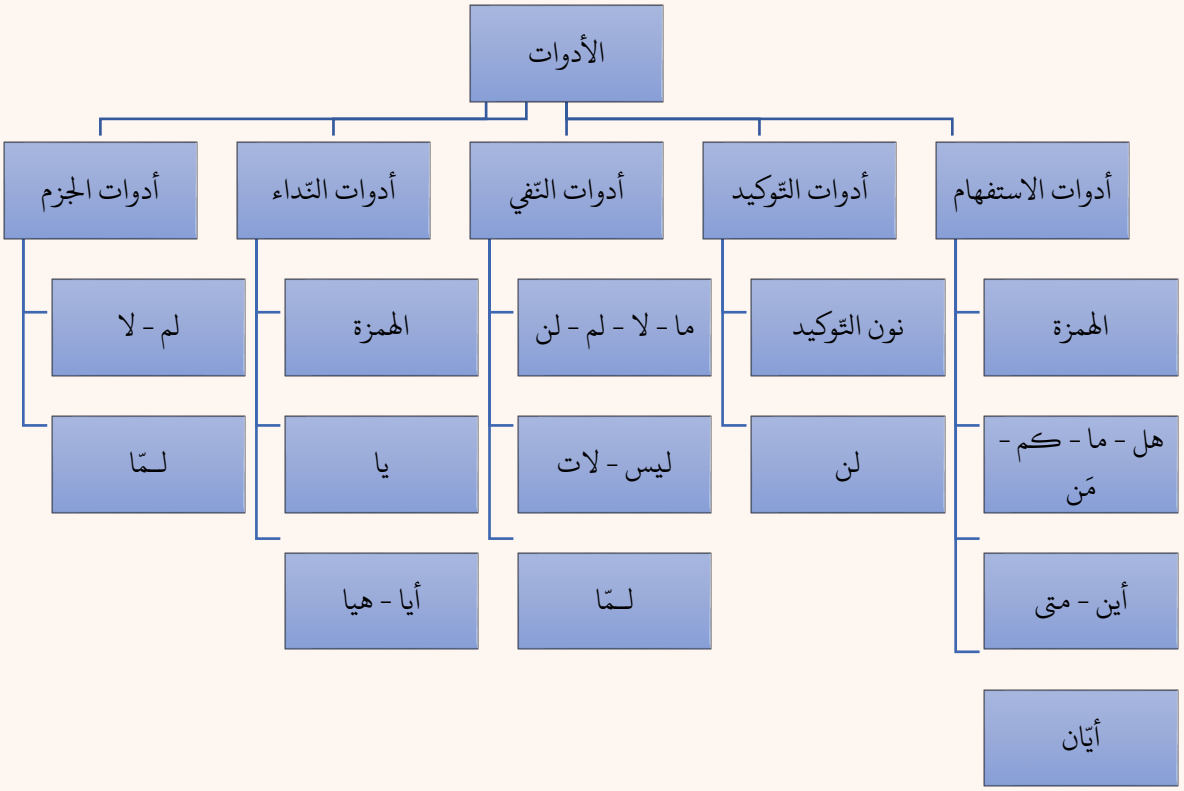

[مخطّط (٤) نموذج دراسة بعض حروف المعاني وفق هذه النّظريّة]

٦- النّظريّة التّوليديّة:

يعد تشومسكي رائد هذه النّظريّة، وما يميّز هذه النّظريّة أنّها تطوّرت في مدّة زمنيّة قصيرة، وقد عمل تشومسكي على إسقاط بعض المبادئ التي تبنّاها عند وضعه للنّظريّة وزاد عليها مبادئ وآراء لم تكن فيها من قبل.

واللّغة عند تشومسكي هي إبداع؛ لأنّ الإمكانات الموجودة في اللّغة الإنسانيّة تجعل النّاطقين بها قادرين على الإبداع، ويظهر ذلك في ابتكار جمل وتراكيب لم يكونوا قد سمعوا بها من قبل، وهم في الوقت نفسه على قدر كبير من الوعي اللّغويّ[1].

وتحدّث تشومسكي على وجهي الظّاهرة اللّغويّة عنده -أي: البنية السّطحيّة والبنية العميقة- أو كما سمّاها: الظّاهر والخفي، وعليه حدّد مصطلح: الكفاية اللّغويّة والأداء اللّغويّ، وقد أرجع العلماء هذه

(١) ينظر: اللّسانيّات، المجال، والوظيفة، والمنهج ١٧٣.

الفكرة إلى أصول فلسفيّة تعود إلى أفلاطون حول العالم[١].

أي أنّ اللّغة عند تشومسكي ذات وجهين، بنية سطحيّة وبنية عميقة، أحدها ذهني خالص سمّاها: الكفاية، وهي التي لها القدرة على بناء أنموذج لغويّ ذهنيّ مشترك بين المرسل والمستقبل، والآخر عمليّ منطوق مسموع سمّاه: الأداء، وهو ذلك الوصف الذي يجعل اللّغة واقعًا حيًّا في المنطوق والمسموع، بحيث يتّحد الأداء الصّوتيّ مع المضمون الدّلاليّ، وبذلك يكون الأداء هو الصّورة الواعيّة التي تمثّل الصّورة المعقولة من اللّغة[٢].

٧- التّظريّة التّداوليّة:

اختلف المعاصرون في مصطلح هذه النّظريّة، فمنهم مَن سمّاها: النّظريّة البراجماتيّة، ومنهم مَن سمّاها: النّظريّة المقاماتيّة، ومنهم مَن سمّاها: بـ(الذّرائعيّة اللّغويّة)، وهناك مَن سمّاها: المقاصديّة[٣].

فكرة هذه النّظريّة تقوم على تحليل النّصوص أو المنطوقات تحليلًا كاملًا يجمع بين المكوّن اللّغويّ والمكوّن غير اللّغويّ، ويتمثّل المكوّن اللّغويّ في الجمل والتّراكيب المنطوقة، أمّا المكوّن غير اللّغويّ فهو يتمثّل في جميع المصاحبات اللّغويّة وغير اللّغويّة التي ترافق نطق المتكلّم، كالتّنغيم والنبر والحركات والإشارات والتّعبيرات الجسميّة ومعدّل الأداء الكلاميّ، فكلّ هذه القرائن المصاحبة -لغويّة كانت أم غير لغويّة- تتداخل في تحديد قصد المتكلّم، أو في الدّلالة على ما نطق به بدقّة[٤].

ويرى بيرس أن تصوّرنا للشّيء يقوم على تصوّرنا لآثاره العمليّة، أي: أنّ الطّابع الوظيفيّ للشّيء هو الذي يحدّد تصوّرنا له، إذ أنّ تصوّرنا لمعنى (الكهرباء) يعني مجموعة الوظائف التي تقوم بها في الواقع، كإنارة المصباح، ودوران الماكينات في المصنع، وشحن المولد الكهربائيّ، وشحن الجوّال، ويعني هذا أنّ معنى لفظة (كهرباء) هو ما تفهله[٥]، أي: التّصوّرات التي لا تنتج عنها آثار لا معنى لها كما يرى بيرس.

---

(١) ينظر: علم الدّلالة (منقور عبد الجليل) ٩٦.

(٢) ينظر: اللّسانيّات، المجال، والوظيفة، والمنهج ١٧٨.

(٣) ينظر: علم الدّلالة وآليّات التّوليد الدّلاليّ ١٤٦.

(٤) ينظر: علم الدّلالة وآليّات التّوليد الدّلاليّ ١٤٦.

(٥) ينظر: علم الدّلالة (منقور عبد الجليل) ١٠١و١٠٢.

وقد درس الدّكتور مسعود صحراويّ حروف المعاني، في باب الأفعال الكلاميّة، وكما هو معروف: إنّ أوستن قسّم الأفعال الكلاميّة على ثلاثة أقسام[١]، هي:

- الفعل القوليّ: ويكون بالتّلفّظ بشيء ما.
- الفعل الإنجازيّ: ويكون بإحداث شيء ما عند التّلفّظ.
- الفعل التّأثيريّ: ويكون بعد التّلفّظ بشيء ما[٢].

وقد بيّن الدّكتور صحراوي أنّ حروف المعاني تتضمّن قوى إنجازيّة، يمكنها أن تتحوّل إلى أفعال كلاميّة في سياقات ومقامات مناسبة[٣]، منها:

- العرض: يمكننا أن نحقّق هذا المعنى من خلال الأداة: (ألا)[٤]، والعرض: هو الطّلب بلين ورفق، والفرق بينه والتّحضيض: إنّ العرض أخفّ من التّحضيض، قال المراديّ: " إنّك في العرض تعرض عليه الشّيء لينظر فيه، وفي التّحضيض تقول: الأولى لك أن لا تفعل، فلا يفوتنّك"[٥].
- التّحضيض: ويمكن أن نحقّق هذا المعنى من خلال الأداة: (هلّا)[٦]، والتّحضيض: هو الطّلب بشدّة كما بيّنا في نصّ أبي القاسم المراديّ السّابق، ويمكن أن يتحقّق هذا المعنى من خلال الأداة: (لولا) إذا اقترنت بالفعل المضارع[٧].
- التّوبيخ والتّنديم: ويمكن أن نحقّق هذا المعنى من خلال الأداة: (لوما) والتي قيل: إنّها لا تكون

---

(١) هناك تقسيم آخر قدّمه سيرل، وهو:

- الفعل القوليّ: وفيه يتلفّظ المتكلّم بكلمات وجُمل ذات سمات صوتيّة وصرفيّة وتركيبيّة تكوّن الفعل القوليّ، بكلّ سماته اللّغويّة خلا المستوى الدّلاليّ.
- الفعل القضويّ (الدّلاليّ): نسبة إلى القضيّة المنطقيّة، ويقوم على: الإحالة إلى مرجع، والإسناد.
- الفعل الإنجازيّ: وله مؤشّرات تدلّ عليه تغاير مؤشّرات المحتوى القضويّ.
- الفعل التأثيريّ: وهو الأثر الحاصل نتيجة فعل ما. ينظر: العدول التّركيبيّ في النّحو العربيّ ٦٦و٦٧.

(٢) ينظر: العدول التّركيبيّ في النّحو العربيّ، دراسة تحليليّة في ضوء المنهج التّداوليّ ٦٠.

(٣) ينظر: التّداوليّة عند العلماء العرب ٢١٧.

(٤) ينظر: المنهاج في القواعد والإعراب ١٦٥.

(٥) الجنى الدّاني في حروف المعاني ٣٨٢و٣٨٣.

(٦) ينظر: موضّح أسرار النّحو ٥٠٨.

(٧) ينظر: التّداوليّة عند العلماء العرب ٢١٨.

إلّا لمعنى التّحضيض[١]، ومنهم مَن جعلها للتّنديم[٢]، ومنهم مَن جعلها للتّوبيخ والتّنديم[٣]، علمًا أنّ التّوبيخ أشدّ قوّة من التّنديم[٤]، وكذلك يمكن أن نحقّق هذا المعنى من خلال الأداة (لولا)، إذا جاء بعدها فعل ماضٍ[٥].

- الرّدع: يمكن أن نحقّق هذا المعنى من خلال الأداة: (كلّا)[٦]، والرّدع هو الزّجر، وقد عرّفوه بأنّه النّهي بشدّة وقوة وتعنيف، وقد وردت في القرآن الكريم لتفيد معانٍ عدّة، منها: التّهديد والتّعنيف والإنكار[٧].

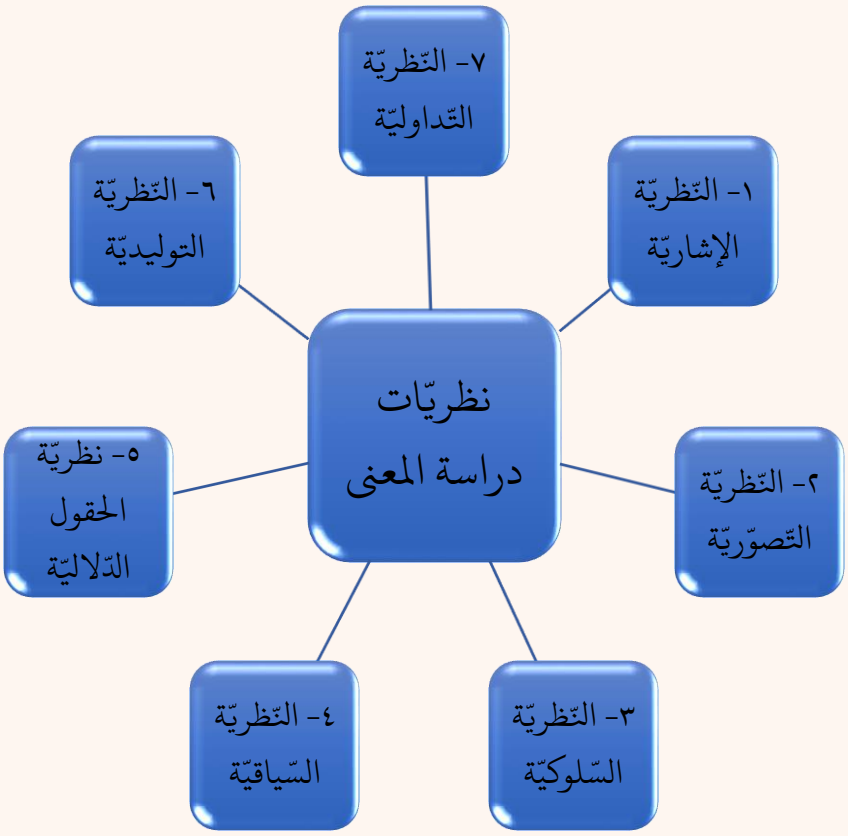

[مخطّط (٥) يوضّح نظريّات دراسة المعنى]

(١) ينظر: الجنى الدّاني في حروف المعاني ٦٠٩.

(٢) ينظر: التّداوليّة عند العلماء العرب ٢١٨.

(٣) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب ٤٥٣/٣.

(٤) ينظر: الكليّات ٣٨٢.

(٥) ينظر: التّداوليّة عند العلماء العرب ٢١٨.

(٦) ينظر: موضّح أسرار النّحو ٥١١.

(٧) ينظر: الجنى الدّاني في حروف المعاني ٥٧٨.

الخاتمة والنّتائج:

ذكرنا في هذه الخاتمة (النّتائج) ما يخصّ حروف المعاني، فيمكن أن نقول: توصّلنا من خلال هذا البحث إلى:

- هنالك ثلاثة تقسيمات لأنواع المعاني، منها ما هو عند القدماء، ومنها ما هو عند المحدثين، وقد فصّلنا القول في التّقسيم الذي ذكره الدّكتور أحمد مختار عمر والدّكتور محمّد علي الخوليّ في كتابيهما عن علم الدّلالة.
- النّظريّة الإشاريّة: لا يمكن دراسة حروف المعاني -إن كانت مفردة- في هذه النّظريّة ، وأمّا إذا جاءت متّصلة بوحدات معجميّة أخرى فتدرس؛ لأنّه سيكون لها أثرًا في الخارج.
- النّظريّة التّصوّريّة: لا يمكن دراسة حروف المعاني في هذه النّظريّة؛ لأنّ هذه النّظريّة تقوم على التّصوّر والأفكار، وحروف المعاني ليس لها أفكار كما يقول أصحابها، وحروف المعاني هي من نقاط ضعف هذه النّظريّة.
- النّظريّة السّياقيّة: يمكن لنا أن ندرس حروف المعاني في هذه النّظريّة؛ لأنّها تعتمد على المعنى المركزيّ أو ما يسمّى بـ(النّواة) وهو كـ(معنى الاستفهام) في الهمزة، وتعتمد كذلك على المعنى الثّانويّ، كـ(معنى التّوبيخ، والتّعدية، والتّسويّة وبقية المعاني الثّانويّة للهمزة).
- النّظريّة التّداوليّة: يمكن أن ندرس حروف المعاني في هذه النّظريّة من خلال تقسيم أوستن لأفعال الكلام، فيمكن أن تُدرس من خلال الأفعال التّأثيريّة أو الأفعال الإنجازيّة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول: محمّد بن عليّ الشّوكانيّ، تحقيق: الدّكتور شعبان محمّد إسماعيل، الطّبعة الأولى، دار السّلام، القاهرة - مصر، ١٩٩٨م.
- أصول السّرخسيّ: أبو بكر محمّد بن أحمد السّرخسيّ، المتوفّى سنة ٤٨٢ للهجرة، تحقيق: أبو الوفا الأفغانيّ، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت - لبنان، ١٩٧٣م.
- الأصول دراسة ابستمولوجيّة للفكر اللّغويّ عند العرب: الدّكتور تمّام حسّان، دار الشّؤون الثّقافيّة، بغداد - العراق، ١٩٨٨م.
- البحث الدّلاليّ عند ابن سينا دراسة أسلوبيّة في ضوء اللّسانيّات: الدّكتور مشكور كاظم العوّاديّ، الطّبعة الأولى، مؤسّسة البلاغ، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م.
- البحث الدّلاليّ في حاشية السّيّد الشّريف الجُرجانيّ على الكشّاف: عليّ حكمت فاضل محمّد، الطّبعة الأولى، دار المناهج، عمّان - الأردن، ٢٠٢٠م.
- التّداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّسانيّ العربيّ: الدّكتور مسعود صحراويّ، الطّبعة الأولى، دار الطّليعة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥م.
- الجنى الدّاني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المراديّ، المتوفّى سنة ٧٤٩ للهجرة، تحقيق: فخر الدّين قباوة ومحمّد نديم فاضل، الطّبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٩٩٢م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنّي، المتوفّى سنة ٣٩٢ للهجرة، تحقيق: محمّد علي النّجّار، الطّبعة الثّانية، دار الهدى للطّباعة والنّشر، بيروت - لبنان.
- دلالة الألفاظ: الدّكتور إبراهيم أنيس، الطّبعة السّادسة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة - مصر، ١٩٩١م.
- السّياق والمعنى دراسة في أساليب النّحو العربيّ: الدّكتور عرفات فيصل المنّاع، الطّبعة الأولى، مؤسّسة السّياب (لندن)، منشورات الاختلاف (الجزائر)، منشورات ضفاف (لبنان)، ٢٠١٣م.
- العدول التّركيبيّ في النّحو العربيّ دراسة تحليليّة في ضوء المنهج التّداوليّ: نجم عبد الواحد حسين الجيزانيّ، الطّبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت - لبنان، ٢٠١٩م.
- علم الدّلالة: الدّكتور أحمد مختار عمر، الطّبعة السّادسة، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ٢٠٠٦م.
- علم الدّلالة: جون لاينز، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م.
- علم الدّلالة أصوله ومباحثه في التّراث العربيّ: منقور عبد الجليل، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق - سورية، ٢٠٠١م.
- علم الدّلالة (علم المعنى): الدّكتور محمّد عليّ الخوليّ، دار الفلاح، عمّان - الأردن، ٢٠٠١م.

- علم الدّلالة دراسة نظريّة وتطبيقيّة: الدّكتور فريد عوض حيدر، الطّبعة الثّانية، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ٢٠١٦م.
- علم الدّلالة وآليّات التّوليد الدّلاليّ من بداياته إلى النّظريّات والتّطبيقات المعاصرة: أحمد درّاج، الطّبعة الثّانية، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ٢٠١٥م.
- اللّسانيّات المجال والوظيفة والمنهج: سمير شريف استيتيّة، الطّبعة الثّانية، عالم الكتب الحديث (عمّان)، ودار جدارا للكتاب العالميّ (عمّان)، ٢٠٠٨م.
- الكليّات: أبو البقاء الكفويّ، تحقيق: عدنان درويش ومحمّد المصريّ، الطّبعة الثّانية، مؤسّسة الرّسالة، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م.
- مبادئ اللّسانيّات: الدّكتور أحمد محمّد قدّور، الطّبعة الأولى، الدّار العربيّة، بيروت - لبنان، ٢٠١١م.
- مصطلحات الدّلالة العربيّة دراسة في ضوء علم اللّغة الحديث: الدّكتور جاسم محمّد عبد العبّود، الطّبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م.
- معجم علم اللّغة النّظريّ: محمّد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ١٩٨٠م.
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدّلالة في العربيّة: الدّكتور محمّد محمّد يونس عليّ، الطّبعة الثّانية، دار المدار الإسلاميّ، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م.
- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاريّ، المتوفّى سنة ٧٦١ للهجرة، تحقيق: الدّكتور عبد اللّطيف بن محمّد الخطيب، الطّبعة الأولى، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون، الكويت، ٢٠٠٢م.
- موضّح أسرار النّحو: الفاضل الهنديّ، المتوفّى سنة ١١٣٥ للهجرة، تحقيق: الدّكتور عليّ موسى الكعبيّ، الطّبعة الأولى، العتبة الحسينيّة المقدّسة، كربلاء المقدّسة - العراق، ٢٠١٥م.
- المنهاج في القواعد والإعراب: محمّد الأنطاكيّ، منشورات ذوي القربى، قم - إيران.

مُفردات أَلْفاظ الحِجاج في القُرآن الكريم

شيماء حازم محمّد
(كلّيّة الآداب - جامعة بغداد)

المقدّمة:

خُلق الإنسانُ وجُعل ميّالًا إلى الحجاج حتّى صار سمةً فيه؛ لذا فإنّه -بحكم طبعه- يسعى إلى تحقيق أهدافه بتوظيف المحاجّة في خطابه.

لذا، فإنّ الحِجاج هو ممارسة لغويّة تواصليّة، وحاجة بشريّة، يلجأ إليه الإنسان في كلّ شؤون حياته: في ساحات القضاء، وقاعات الدّرس، والبيت، والعمل، والشّارع...إلخ، إمّا دفاعًا عن رأيه، وإمّا إقناعًا للآخرين بصحّة رأيه، وإمّا تبريرًا لفعله... إلخ، ومن ثَمَّ، فهو ذو وظيفة اجتماعيّة تواصليّة، يجتهد الإنسان في تحقيق مقاصده وأهدافه الّتي خطّط لها من خلاله، مستثمرًا في ذلك كلّ طاقات اللّغة التّعبيريّة[1].

ولمّا نزل القرآن الكريم في بيئة عربيّة؛ صار أهلها ينزعون إلى الفصاحة، فعُنوا بلغتهم وأُسلوب خطابهم.

والبحث في ألفاظ القرآن الكريم والتّدبّر في معانيه جهد لا ينضب، ولا يخيب رجاء من خاض فيه.

دلالة الحجاج في اللّغة والاصطلاح:

أولًا: الدّلالة المعجميّة اللّغويّة للفظ الحجاج:

وردت لفظة (الحجّة والحجاج) في مدلولهما اللّغويّ في معاجم العربيّة بعدّة معانٍ:

كالقصد، والغلبة، والسّنّة، وغيرها...

وعند ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "(حج) الحاء والجيم أُصول أربعة، فالأوّل: القصد، وكلّ قصدٍ حجٌّ ... وممكن أن يكون الحُجّة مشتقّة من هذا؛ لأنّها تُقْصَد، أو بها يُقْصَد الحقُّ المطلوب، يقال: حاججتُ فلانًا، فحججته، أي: غلبتُه بالحجّة، وذلك الظّفر يكون عند الخصومة، والجمع: حُجَج، والمصدر:

(١) ينظر: حجاجيّة الكناية في الخطاب السّياسيّ- إطار نظريّ وانموذج تطبيقيّ (د. سعد محمّد عبد الغفّار)، مجلّة سياقات اللّغة والدّراسات البينيّة، ٢٠١٨، ص ٥.

الحِجَاج...، والأصل الآخر: الحِجّة، وهي السّنَة، وقد يمكن أن يُجمع هذا إلى الأصل الأوّل؛ لأنّ الحجّ في السّنة لا يكون إلّا مرَّةً واحدة، فكأنّ العامّ سُمِّي بما فيه من الحجّ حِجّة، والأصل الثّالث: الحِجَاجُ، وهو العظم المستدير حول العين، يُقال للعظيم الحِجَاج: أَحَجُّ، وجمع الحِجَاج: أحِجَّة...، والأصل الرّابع: الحَجْحَجة النُّكوص"[1].

وقد ورد في أساس البلاغة (ت٥٣٨هـ): "حاجّ خصمَه فحجّه، وفلان خصمه مَحْجُوجٌ"[2]، أي: مغلوب، والشّخص المتكلّم الغالب المحاجج، والسّامع المحاجج المغلوب، أي: أنّه اقتنع بحجّة المتكلّم.

وما يزيد هذا المعنى قوّة ما أورده ابن منظور (ت٧١١هـ)، بقوله: "الحجّة: البرهان، وقيل: الحجَّة: ما دُفِعَ به الخصم، ورجلٌ محاجج، أي: جدل، والتّحاج: التّخاصم، واحتجّ بالشّيء اتّخذه حجّة"[3].

ويظهر من هذا أنّ الحجاج يكون لخصومة، وهذا ما دلّت عليه كلمة (غلبة)، وتكون الغلبة في الكلام والخطاب للّذي يُقيم الحجّة والبرهان على صحّة ما يدّعي، فيكون مرادفًا للجدل، والجامع بين معنيي اللّفظين: (المخاصمة، والمنازعة) مع "أنّ فعل حاجَّ لا يستعمل غالبًا إلّا في معنى المخاصمة، وأنَّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل"[4]، فإنّ ابن منظور يجعل (الحجاج) مرادفًا للجدل صراحة، بقوله: "هو رجل محاجج، أي: جَدِلٌ".

ومهما يكن من أمر، فإنّ المفهوم اللّغوي قاصر وضيّق المجال، لا يحوي مفهوم الحجاج [5].

ثانيًا: الدّلالة الاصطلاحيّة للفظ الحجاج:

تداولت كتب التّراث العربيّ الإسلاميّ مصطلح الحجاج، أو الاحتجاج، أو المحاجّة في عدّة مجالات، وفي عدّة علوم، وخاصّة في مسائل الفكريّة والفلسفيّة الّتي كثيرًا ما يعتريها الخلاف في وجهات النّظر والتّأويل، وهكذا نجده مستعملًا في علوم كُثر، نحوًا، ولغةً، وقراءةً، وحديثًا، وفقهًا، وأُصولًا،...إلخ.

---

(١) مقاييس اللّغة ٢/ ٢٩،٣٠،٣١، (حج).

(٢) أساس البلاغة ١١٣، (حجج).

(٣) لسان العرب ٢/٢٢٨ (حجج).

(٤) التّحرير والتّنوير ٣/٣٢.

(٥) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبيّة ٨.

وقبل أن نعرّف الدّلالة الاصطلاحيّة للحجاج يجدر بنا أن نستأنس بما قاله العلماء قديمًا وحديثًا، إذ عرّف أبو هلال العسكريّ (ت٤٠٠هـ) الحجّة والاحتجاج: "الحُجَّةُ: هي الاستقامة في النّظر، والمضي فيه على سَنَن مستقيم من ردّ الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من المَحَجَّة، وهي الطّريق المستقيم، وهذا هو فعل المستدلّ...؛ لأنّ الحُجَّة مشتقّة من معنى الاستقامة في القصد حجّ يحجّ إذا استقام في قصده...، والاحتجاج: هو الاستقامة في النّظر على ما ذكرنا، سواء كان من جهة ما يطلب معرفته، أو من جهة غيره"(١).

وقال أبو الوليد الباجي (ت٤٧٤هـ): "وهذا العلم من أرفع العلوم قدرًا، وأعظمها شأنًا؛ لأنّه السّبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحقّ من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة، ولا اتّضحت محجّة، ولا عُلِمَ الصّحيح من السّقيم، ولا المِعوَّج من المستقيم"(٢).

وعرّف الجرجانيّ (ت٨١٦هـ) الحجّة، إذ قال: "ما دلّ به على صحّة الدّعوى، وقيل: الحجّة والدّليل واحد"(٣)، ويفهم من ذلك، أنّ الحجَّة تدلّ على البرهان والإثبات.

أمّا حديثًا، فقد اشتغل به ثلّةٌ من العرب، منهم: طه عبد الرّحمن، فقال: "إذ حدّ الحجاج أنّه: كلّ منطوق به موجّه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها"(٤).

ويقول أيضًا في موضع آخر: للحجّة وجهان تختصّ بهما، يتمثّل الأوّل في: إفادة الرّجوع أو القصد، إذ الحجّة مشتقّة من فعل (حجّ) الّذي بمعنى: (رجع)، فتكون الحجّة أمرًا نرجع إليه أو نقصده إلّا؛ لحاجتنا إلى العمل به، والثّاني يتمثّل في: إفادة الغلبة، ذلك أنّ الفعل (حجّ) يدلّ أيضًا على معنى (غلب)، فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجّة(٥).

ويظهر لنا من ذلك: أنّ طه عبد الرّحمن يركّز على المفهوم اللّغويّ للحجاج، ويرى أنّ له وجهين،

---

(١) الفروق اللّغويّة ٧٠.

(٢) المنهاج في ترتيب الحجاج ٨، ينظر: معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة السّور السّبع الطّوال أنموذجًا – دراسة دلاليّة معجميّة- ٧.

(٣) التّعريفات ٨٧.

(٤) اللّسان والميزان أو التّكوير العقليّ ٢٢٦، ينظر: معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة السّور السّبع الطّوال أنموذجًا – دراسة دلاليّة معجميّة- ٨.

(٥) ينظر: اللّسان والميزان أو التّكوير العقليّ ١٣٧.

فالأوّل: هو القصد، والثّاني: يتمثّل في الغلبة بالحجّة، فهو بذلك لا يبتعد كثيرًا عن تصوّر القدماء للحِجاج.

مرادفات ألفاظ الحِجاج في القرآن الكريم:

ارتبط الحِجاج عبر مساره التّاريخيّ بمصطلحات طالما عُدّت مرادفات له؛ لذا تعدّ مسألة تداخل المصطلحات أوّل ما يعترض الباحث في هذا الجانب، وخاصّة في بداية نشأته؛ لذا من الأولى مقابلة مفهوم الحجاج بغيره من المفاهيم الّتي تلابسه، والوقوف على حدود التّداخل بينها، وهي كثيرة: كـ (الجدل، والبرهان، والحوار أو التّحاور، والمناظرة، والمخاصمة، والمنازعة،...)، وأنّ الحجاج في القرآن الكريم مفهوم يعبّر عنه بأشكال مختلفة من العبارات، والأساليب الّتي تروم الحوار، وتهدف إلى الإقناع بالبراهين، والأدلّة العقليّة، والكونيّة، والفطريّة، وقد جمع القرآن الكريم تلك الدّلالات في خصيصة جامعة في (الحجّة البالغة)، ومع ذلك يصبح الأمر أكثر وضوحًا عندما نتساءل عن وجوه التّمايز والتّداخل والتّشابه بين ألفاظ الحجاج...

تنتمي إلى الحقل الدّلالي مادّة (ح ج ج) عدّة ألفاظ مستعملة في القرآن الكريم، فبعضها يصل إلى حدّ التّرادف والتّطابق، وبعضها الآخر يتشابه في وجه من الوجوه، وربّما كان في نعتنا إياها بـ (ألفاظ الحجاج) بعض التّجوّز، ونقصد بها مجموعة من الألفاظ والصّيغ الّتي تروم الحوار، وتهدف إلى الإقناع بالبراهين، وهذه الألفاظ تصبّ في المصبّ نفسه، فهي متقاربة ومختلفة في الوقت نفسه، ونذكر منها: الجدل، والمراء، والنّزاع، والخصومة، والبرهان...

- **الجدل:**

يرد الحجاج مرادفًا للجدل صراحةً، بحسب قول ابن منظور (ت٧١١هـ): هو "مقابلة الحجّة بالحجّة"[١]، على أنّه يجعل الحجاج مرادفًا للجدل صراحةً إذ قال: "ورجلٌ محاجج، أي: جَدِلٌ"[٢].

وهو بذلك يرادف مفهوم الحجاج غير أنّ عبد الله صولة يشير في كتابه[٣] إلى فروق دقيقة من

(١) لسان العرب ١٠٥/١١ (جدل).

(٢) لسان العرب ٢٢٨/٢ (حجج).

(٣) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة ١١.

خلال إشارته لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) ،إذ قال: "والمجادلة: المخاصمة بالقول، وإيراد الحجّة عليه، فتكون في الخير، كقوله: (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ)[١]، ويكون في الشّرّ، كقوله: (وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ)[٢]"[٣].

ويعرّف الحجاج في موضع آخر قائلا: معنى حاجَّ، خاصمَ، وهو فعل جاء على المفاعلة ولا يُعرف لحاجّ في الاستعمال فعل مجرّد دالّ على وقوع الخصام، ولا تُعرف المادّة الّتي اشتقّ منها أنّ حاجّ لا يستعمل غالبًا إلّا في معنى المخاصمة، وأنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل"[٤].

والجامع بين مفهومي اللّفظين هو: (المخاصمة والمنازعة)، لكنّهما في الحجاج قائمتان على الباطل، في حين أنّ الجدل منه ما هو حقّ، ومنه ما هو باطل، أمّا ابن فارس (ت٣٢٩هـ)، فعدّه من أصل واحد، إذ قال: "الجيم والدّال واللّام أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشّيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومة ومراجعةِ الكلام"[٥]، ويقول في سياق الموضوع نفسه: "والجَدْوَل: نهرٌ صغيرٌ، وهو ممتدٌّ، وماؤه أقوى في اجتماع أجزائه من المنبطح السّائح، ورَجُلٌ مجدولٌ، إذا كان قَضِيف الخِلْقة من غير هُزَال، وغلام جادِلٌ إذا اشتدَّ...، والدِّرع المجدولة: المحكمة العَمَل، ويقال: جَدَلَ الحَبُّ في سُنْبُله: قَوِيَ، والأجدَل: الصَّقْر؛ سمِّي بذلك؛ لقوّته...، ومن الباب الجَدَالة، وهي الأرض، وهي صُلْبة..."[٦].

يدور الجدل في أصله اللّغويّ على معاني: (القوّة، والصّلابة، والشّدّة، والغلظة)، وهذا ما توصلّنا إليه بعد استقراء هذه المعاني الدّلاليّة السّابقة للجدل، إلّا أنّ ابن منظور يرى "الجدل: مقابلة الحجَّة بالحجَّة، والمجادلة: المناظرة، والمخاصمة"[٧]، إذا كان مدار الجدل في اللّغة يدور حول الشَّدة والصّلابة.

فما مفهوم الجدل في الاصطلاح؟!

قال الفيوميّ (ت٧٧٠هـ): "الرَّجُلُ (جَدَلًا)، فهو (جَدِلٌ) من بابِ تَعِبَ إذا اشْتَدَّتْ خُصُومَتُهُ، و(جَادَلَ)

---

(١) سورة هود ٧٤.

(٢) سورة الحجّ ١٩٧.

(٣) التّحرير والتّنوير ٦٠/١٢.

(٤) التّحرير والتّنوير ٣٢/٣.

(٥) مقاييس اللّغة ٤٣٣/١ (جدل).

(٦) مقاييس اللغة ٤٣٣،٤٣٤/١ (جدل).

(٧) لسان العرب ١٠٥/١١ (جدل).

(مُجَادَلَةً)، و(جِدَالًا) إذا خَاصَمَ بما يَشغَلُ عن ظهور الحقّ ووضوح الصّواب، هذا أصله، ثمَّ استُعمِلَ على لسانِ حَمَلَة الشَّرع في مقابلة الأدِلّة؛ لظهور أرجَحِهَا"[١].

ويرى أبو البقاء الكفويّ (ت١٠٩٤هـ): أنّ "الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجّة أو شُبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره"[٢].

ويذهب الشّريف الجرجانيّ (ت٨١٦هـ) المذهب نفسه، في تعريف الجدل تعريفًا مستمدًّا من مقولات الفلسفة، حيث يقول: "الجدال: عبارة عن مراءٍ يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها، والغرض منه: إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدّمات البرهان، وهو دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجَّة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة"[٣].

ومهما يكن من أمر، فإنّ التّعريفات السّابقة أقرب إلى المنطق الفلسفيّ منها إلى الجدل القرآنيّ المبنيّ على الأدلّة الفطريّة، والمجادلة بالّتي هي أحسن، والّذي هدفه الأساس الإقناع والوصول إلى الحقّ، على نحو قوله تعالى: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[٤]، وقوله: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[٥].

فيكون الجدل تارة بالحقّ، وتارة أخرى يكون بالباطل، ، فيكون جدل القرآن الكريم هو براهينه وأدلّته الّتي اشتمل عليها، فإمّا يأتي لإظهار الحقّ...، وإمّا يأتي مذمومًا ومصحوبا بالوعيد، نحو قوله تعالى: (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا)[٦]، وقال: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَاصِمُونَ)[٧].

وعليه، فإنّ الجدل حاجة فكريّة، وعلميّة؛ لتقرير مبادئ الدّين، والجدل هو أداة لدفع شبهات أهل الزّيغ والضّلال.

---

(١) المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعيّ ٩٣/١.

(٢) الكلّيّات ٣٥٣.

(٣) التّعريفات ٧٩.

(٤) سورة النّحل ١٢٥.

(٥) سورة العنكبوت ٤٦.

(٦) سورة غافر ٤.

(٧) سورة الزّخرف ٥٨.

لقد تباينت الأقوال في تتبّع أصل الجدل:

فالقول الأوّل: وهو قول ابن فارس الّذي جعل مادّة (ج. د. ل) أصلًا واحدًا، وهو عنده: "من باب استحكام الشّيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومة ومراجعةِ الكلام"، ثمّ اجتهد في إرجاع جميع تصاريف المادّة إلى ذلك الأصل، فقال: "والجَدْوَل: نهرٌ صغيرٌ، وهو ممتدٌّ، وماؤه أقوى في اجتماع أجزائه من المنبطح السّائح، ورَجُلٌ مجدولٌ، إذا كان قَضِيف الخِلْقة من غير هُزَال، وغلام جادِلٌ إذا اشتدَّ...، والدِّرع المجدولة: المحكمة العَمَل، ويقال: جَدَلَ الحَبُّ في سُنْبُله: قَوِيَ، والأجدَل: الصَّقْر؛ سمِّي بذلك؛ لقوّته...، ومن الباب الجَدَالة، وهي الأرض، وهي صُلْبة..."

غير أنّ المقارنة بين واقع دلالات هذه التّصاريف، وبين الأصل المذكور، يدفعنا إلى التّساؤل عن بعض الألفاظ الواردة في تحديده لذلك الأصل، وخاصّة لفظي: الاسترسال، والامتداد، ولعلّ معناهما واحدٌ هنا.

التّصاريف المذكورة قبل، وغير المذكورة ممّا تجاوزناه اختصارًا، يتأكّد فيها جميعًا معنى القوّة، والاستحكام، في حين لا يظهر معنى الاسترسال، والامتداد بجلاء إلّا في (الجَدْوَل)، حيث قال فيه: هو "نهر صغير، وهو ممتدّ، وماؤه أقوى في اجتماع أجزائه من المنبطح السائح"، فَجَمَع القوّة إلى الامتداد في هذا المثال دون غيره، ثمّ إنّه عندما ذكر (الجدالة)، وهي الأرض، قال: وهي صلبة، فأشار إلى دلالة القوّة، والاستحكام دون الامتداد، مع أن الامتداد ظاهر في الأرض، كما قال تعالى: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا)[1].

والظّاهر: أنّ الذي استَجَرَّه إلى معنى الاسترسال، والامتداد هو ما يكون بين المتجادلين من وصال الكلام، واعتداد كلّ واحد برأيه ورغبته في ظهوره؛ ولذلك قال ابن فارس في تحديده للأصل: "هو من باب استحكام الشّيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام"، فَعَطَفَ الفرع على الأصل؛ وهو عطف فيه نظر؛ إذ الكلام هنا في أصل المادّة الذي هو الاستحكام في استرسال، وأمّا امتداد الخصومة ومراجعة الكلام، فهو من معنى (الجدَل) الّذي هو تصريف متفرّع عن ذلك الأصل، عِلْمًا أنّ المراد من البحث في الأصل هو معرفة مدار اللّفظ بمختلف تصاريفه، فهو نَواته الّتي لا تتخلّف في أيّ منها،

(1) سورة الحجر ١٩

فليس المقصود بالأساس هنا معرفة معنى (الجدل)، وإنّما هو معرفة وجود ذلك المدار في لفظ (الجدل).

والقول الثّاني: وهو قول الرّاغب الأصفهانيّ الّذي جعل المادّة أيضًا أصلًا واحدًا، وهو (الإحكام)، وما يدلّ عليه من المعاني في اللّغة، وهو تحصيل ما ذكره من أمثلة، حيث قال: "وأصلُه من جدَلتُ الحبلَ، أي: أحكمت فتله، ومنه الجديل، وجدَلتُ البناء أحكمتُه، ودِرعٌ مجدولةٌ، والأجدل: الصّقر المحْكَمُ البُنْية، والمِجْدَل: القصر المحكم البناء، ومنه الجدالُ، فكأنّ المتجادِلَيْن يفتل كُلُّ واحدٍ الآخرَ عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدال: الصّراع، وإسقاط الإنسان صاحبَه على الجَدالة، وهي الأرض الصّلبة، قال الله تعالى: (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[1]، وقال أيضًا: (وَكَانَ الإنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)[2]" [3].

فاستطاع أن يحرّر الأصل أولًا، ثمّ بنى عليه الفرع الّذي هو: الجدال، مُلاحِظًا الإحكام فيه، وهو مضمَّنٌ في لفظ الفتل؛ يقال: "وناقةٌ فَتْلاءُ الذّراعَينِ: مُحكمةٌ"[4]، وقد قال في مطلع الكلام في معنى "جدلت الحبل، أي: أحكمت فتله"[5].

وأمّا ما حكاه من أنّ الأصل في الجدال الصّراع...إلخ، فهو مُؤَخَّرٌ ومَسُوقٌ بصيغة البناء للمجهول، فدلّ على أنّ القول الأوّل هو المعتمد عنده.

- **البرهان**:

يعدّ البرهان نمط استدلاليّ ينفرد بمميزات خاصّة، كاليقين، والقطيعة، والدّقة، والتّقنين، إذ قال ابن منظور: "البُرْهان الحُجَّة الفاصلة البيّنة، يقال: بَرْهَنَ يُبَرْهِنُ بَـرْهَنةً، إذا جاء بحُجَّةٍ قاطعة للَدَد الخَصم، فهو مُبَرْهِنٌ"[6].

ويرد تعريف الحجّة عند ابن حزم (ت٤٥٦هـ)، إذ قال: "الحجّة: هي الدّليل نفسه إذا كان برهانًا، أو

---

(١) سورة النّحل ١٢٥.

(٢) سورة الكهف ٥٤.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ١٦٢، (جدل).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٤٩٧، (فتل).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ١٦٢، (جدل).

(٦) لسان العرب ٥١/١٣ (برهن).

إقناعًا، أو شغبًا"[١]، إذ يعطيه مجالًا واسعًا بضمّه البرهان، والإقناع، والشّغب، بل ضمّ إليها ما هو أوسع منها مجالًا، وهو الدّليل.

ويعرّف البرهان، بقوله: "البرهان كلّ قضية، أو قضايا دلّت على حقيقة حكم الشّيء"[٢].

وفي القرآن الكريم وردت لفظة (بُرْهَان) في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: (وَقَالُواْ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)[٣].

فقال الزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ) في تفسيرها: "(قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ): متّصل بقولهم: (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)، و(قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ): هلمُّوا حجّتكم على اختصاصكم بدخول الجنّة (إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ): في دعواكم، وهذا أهدم شيء لمذهب المقلّدين، وأنّ كلّ قولٍ لا دليل عليه، فهو باطلٌ غير ثابت"[٤].

وفي هذا يقول طه عبد الرّحمن: "يطلق على الحُجَّة أسماء اخرى، مثل: الدّليل، والاستدلال، وحتّى البُرْهان، لكن هذا الإطلاق من باب التَّجوّز، أو التّوسّع"[٥].

- **الخصام:**

لا شكّ أنّ لفظ الخصام يقترب كثيرًا من الجدل، فقد ورد في لسان العرب: " الخُصُومةُ: الجَدَل، خاصَمَه خِصامًا، ومُخاصَمَة، فَخَصَمَهُ يَخْصِمُه خَصْمًا: غلبه بالحُجَّة، والخُصُومةُ: الاسم من التَّخاصُم والاخْتِصام... ورجلٌ خَصِمٌ جَدِلٌ"[٦]، فحصر ابن منظور (ت٧١١هـ) في هذا السّياق الخصومة في الغلبة بالحُجَّة، وأنَّه مرادفٌ للجدل وهذا ما أقرّ به صراحةً.

أمّا الرّاغب الأصفهانيّ (ت٤٢٥هـ)، فيقول: "والخَصْمُ: مصدرُ خَصَمْتُهُ، أي: نازَعتُهُ خَصمًا، يقال:

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ٣٩/١.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ٣٩/١، ٤٠.

(٣) سورة البقرة ١١١.

(٤) الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّاويل ٣١١/١.

(٥) اللّسان والميزان، أو التّكوير العقليّ ٢٢٥، ينظر: تجلّيات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف –أنموذجًا- ٢٩.

(٦) لسان العرب ١٨٠/١٢ (خصم).

خاصَمتُهُ، وخَصَمتُهُ مُخاصَمَةً وخِصامًا، قال تعالى: (وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ)[١]، (وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)[٢]، وأصل المُخاصَمَةِ: أنْ يتعلّقَ كلُّ واحِدٍ بِخُصْمِ الآخر، أي: جانِبِه"[٣].

وحدّد الزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ) الخصام، إذ قال: "وأخصَمَ صاحبَه: لقّنه حجّته حتّى خَصَمَ، وخاصمه مخاصَمةً: وضَعْه في خُصْمِ الفراش، وهو جانبه"[٤].

تبيّن من ذلك: أنّ لفظ الخصام يرادف الجدل؛ لأنّه يقترب في أغلب الأحيان من المخاصمة، كما ورد في عدّة مواضع في القرآن الكريم، والغالب على معناه: أنّه مذمومٌ.

- **النّزاع:**

ومن ألفاظ الحجاج أيضًا النّزاع، الّذي يدلّ على المخاصمة والشّقاق، فقد ورد ذكر هذا اللّفظ في لسان العرب، إذ قال: "نَزَعَ الشَّيءَ يَنْزَعَه فانْتَزَعَ، اقْتَلَعَهُ فاقْتَلَع والنِّزَاعةُ، والنَّزَاعةُ، والمِنْزَعَةُ، والمَنْزَعَةُ: الخُصُومة، والمُنازعةُ في الخُصُومةِ: مُجاذَبة الحُجَجِ، فيما يَتنازَعُ فيه الخَصْمان، وقد نازَعَه مُنازَعةً ونِزاعًا، جاذَبه في الخُصُومة...، والتَّنازُع: التَّخاصُم"[٥].

والزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ) يعرّفه كذلك بقوله: "نَزَعَ الشّيءَ من يده: جذبه وانتزعه، ورجلٌ مِنْزَعٌ: شديد النَّزْع...، ونازعه الثَّوْبَ: جاذبه...، ونزعَ عن الأمر نزوعًا: كفَّ عنه...، وفُلانٌ ينزعُ بحجّته: يحضر بها، قال تعالى: (وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا)[٦]، ونازَعه الكلامَ، ونازعته في كذا: خاصمته، منازعة، ونِزاعًا، وتنازعوا"[٧].

وهذا نفسه ما ذهب إليه الرّاغب الأصفهانيّ (ت٤٢٥هـ)، إذ قال: "والمُنازَعةُ: المُجاذبةُ، ويُعبِّرُ بهما

---

(١) سورة البقرة ٢٠٤.

(٢) سورة الزّخرف ١٨.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ٢٣٦.

(٤) أساس البلاغة ٢٥١/١.

(٥) لسان العرب ٣٤٩/٨-٣٥٢ (نزع).

(٦) سورة القصص ٢٨.

(٧) أساس البلاغة ٢٦٢/٢.

عن المُخاصمةِ والمُجادلَةِ، قال تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ)[١]، (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ)[٢].

ومهما يكن من أمر، فإنّ لفظ (النّزاع) ورد في القرآن الكريم بمعنى الجدل والحجاج والمخاصمة.

- **المِـراء:**

ممّا لا شكّ فيه أنّ المراء يدخل في الحقل الدّلاليّ للحجاج، وقد ورد ذكره عند ابن منظور (ت٧١١هـ): "ومـاريتُ الرّجلَ أماريه مِراءً، إذا جادلته، والمِـرْيَة والمُـرْيَةُ الشّكّ، والمِـــراء والمُمَارة والجدل...، والتّماري والمماراة: المجادلة على مذهب الشّكّ، والرّيبة، ويقال: للمناظرة مماراة؛ لأنّ كلّ واحدٍ منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، كما يمتري الحالب اللّبن من الضّرع"[٣].

وفي هذا السّياق قال الزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ): "مريتُ النّاقة، وأمريتُها: حلبتُها، فأمْرَتْ، وناقة مَرِيٌّ: دَرورٌ...، ومَرَى في الأمر، وامترى، وتمارى، وما فيه مُرْيَةٌ ومِرْيَةٌ: شكٌّ، ومارَيْتَهُ مماراةً: جادلته ولاججتُه"[٤].

وإلى ذلك ذهب الرّاغب الأصفهانيّ (ت٤٢٥هـ): "الامْتِرَاءُ، والمُمارَاةُ: المُحاجَّة فيما فيه مِرْيَةٌ، قال تعالى: (قَولُ الحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)[٥]"[٦].

- **الاستدلال:**

يرتبط الاستدلال بالحجاج من حيث إنّه يمثّل "سياقه العقليّ أي تطوره المنطقيّ؛ ذلك انّ النّصّ الحجاجيّ نصٌّ قائمٌ على البرهنة، فيكون بناؤه على نظام معيّن تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعليّ، وتهدف إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النّظام لسانيّ بالأساس، فإذا أعدنا النّصّ الحجاجيّ إلى أبسط صورة وجدناه ترتيبًا عقليًّا للعناصر اللّغويّة، ترتيبًا يستجيب الإقناع"[٧].

ونخلص إلى: أنّ الاستدلال يرتبط بالبرهنة من جهة، وبالإقناع من جهة أخرى.

---

(١) سورة النساء ٥٩.

(٢) سورة طه ٦٢.

(٣) لسان العرب

(٤) أساس البلاغة ٢/٢٠٨، ٢٠٩.

(٥) سورة مريم ٣٤.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ٦٠٧.

الخاتمة وأهمّ النتائج:

١- يعدّ مصطلح الحجاج من حيث المفهوم عائمًا يتحرّك عبر دلالات متنوّعة في كثير من الحقول المعرفيّة، فارتبط عبر مساره التّاريخيّ بمصطلحات طالما عُدّت مرادفات له، كـالجدل، والبرهان، والخصام، وغيرها من الّتي مرّ ذكرها...).

٢- الحجاج القرآنيّ هو الحوار الّذي يُراد به الإبانة، والإبلاغ، والإقناع؛ وذلك باستعمال الأدلّة العقليّة، والفطريّة، والعمليّة؛ لإثبات حقيقة الإسلام، وتحقيقًا للحقّ وتبيينه؛ وذلك بتبني طرائق الحوار، والرّدّ على أهل الباطل وتزهيقه.

٣- يرد مفهوم الحجاج القرآنيّ بأشكال وصيغ مختلفة تروم الحوار، وتهدف إلى الإقناع والإذعان بالبراهين والأدلّة، فبعض الألفاظ يصل إلى حدّ التّطابق، والتّرادف، والبعض الآخر يتشابه في وجه من الوجوه؛ وذلك لأنّ كلّ محاورة فكريّة تحدّث عنها القرآن الكريم داخلة في الحجاج القرآنيّ؛ لأنّها وإن لم تكن بلفظ الحجاج، فهي ترد بمعناه.

٤- تنتمي إلى الحقل الدّلاليّ لمادّة (ح ج ج) عدّة ألفاظ مستعملة في القرآن الكريم إلّا أنّنا رتّبناها من الأكثر ورودًا إلى أقلّها؛ ولذا اعتمدنا الجدل أوّلًا، ثمّ الألفاظ الأخرى.

٥- النّزاع هو من الألفاظ المرادفة للحجاج؛ إذ ورد في القرآن الكريم بمعنى الجدل والحجاج والمخاصمة.

٦- ورد الخصام مرادفًا للجدل؛ لأنّه يقترب في أغلب الأحيان من المخاصمة، كما ورد في عدّة مواضع في القرآن الكريم، والغالب على معناه: أنّه مذمومٌ.

٧- يدخل المراء في الحقل الدّلاليّ للحجاج، لأنّه بمعنى المجادلة على مذهب الشّكّ، والرّيبة، ويقال: للمناظرة مماراة؛ لأنّ كلّ واحدٍ منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، كما يمتري الحالب اللّبن من الضّرع.

٨- يدلّ النّزاع على المخاصمة والشّقاق، إذ ورد في القرآن الكريم بمعنى الجدل والحجاج والمخاصمة.

٩- يرتبط الاستدلال بالحجاج؛ لأنّه يرتبط بالبرهنة من جهة، وبالإقناع من جهة أخرى.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم:
- **الإحكام في أصول الأحكام**: لأبي محمّد عليّ بن سعيد بن حزم، (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار آفاق الجديدة، بيروت- لبنان
- **أساس البلاغة**: لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشريّ، (٥٣٨هـ)، تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، الطّبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- **التّحرير والتّنوير**: لمحمّد الطّاهر ابن عاشور، (ت١٣٩٣هـ)، الدّار التّونسيّة، ١٨٨٤م.
- **التّعريفات**: للسّيّد الشّريف أبي الحسن عليّ بن محمّد الجرجانيّ الحنفيّ، (ت٨١٦هـ)، وضع حواشيه وفهارسه: محمّد باسل عيون السّود، الطّبعة الرّابعة، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ٢٠١٣م.
- **الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة**: لعبد الله صولة، الطّبعة الأولى،، دار الفارابيّ، بيروت- لبنان ٢٠٠١م.
- **حجاجيّة الكناية في الخطاب السّياسيّ- إطار نظريّ وانموذج تطبيقيّ**: للدّكتور سعد محمّد عبد الغفّار، مجلّة سياقات اللّغة والدّراسات البينيّة، ٢٠١٨م،
- **الفروق اللّغويّة**: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكريّ، (ت ٤٠٠هـ)، حقّقه وعلّق عليه: محمّد إبراهيم سليم، (د. ط)، دار العلم والثّقافة، مدينة نصر- القاهرة.
- **لسان العرب**: لأبي الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور الأفريقيّ المصريّ، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان.
- **اللّسان والميزان، أو أو التّكوير العقليّ**: للدّكتور طه عبد الرّحمن، الطّبعة الأولى، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّارالبيضاء، ١٩٩٨م.
- **المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعيّ**: لأحمد بن محمّد بن عليّ المقري الفيوميّ، (ت٧٧٠هـ)، الطّبعة الثّالثة، دار المعارف، القاهرة- مصر، ٢٠١٩م.
- **مفردات ألفاظ القرآن**: للرّاغب الأصفهانيّ، (ت في حدود سنة ٤٢٥هـ)، تحقيق: د. صفوان داوودي، الطّبعة الثّالثة، دار القلم، دمشق- سوريّا، ١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م.
- **مقاييس اللّغة**: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا،(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمّد

هارون، دار الفكر، المجمع العلميّ العربيّ الإسلاميّ، ١٣٩٩هـ- ١٩٩٤م.

- **المنهاج في ترتيب الحجاج**: لأبي الوليد الباجي، (ت٤٧٤هـ)، تحقيق: عبد المجيد تركيّ، دار الغرب الإسلاميّ.
- **الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**: لـجارالله أبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق، وتعليق، ودراسة: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشّيخ عليّ محمّد معوّض، الطّبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرّياض- المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- **الكلّيّات**: لأبي البقاء أيوب أيوب بن موسى الحسينيّ اللّغويّ، (ت١٠٩٤هـ)، وضع فهارسه: د. عدنان درويش، ومحمّد المصريّ، الطّبعة الثّانية، مؤسّسة الرّسالة، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

البحوث والرّسائل والأطاريح:

- **معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة السّور السّبع الطّوال أنموذجًا – دراسة دلاليّة معجميّة**: لسعيد فاهم، مذكرة لنيل درجة الماجستير تاريخ المناقشة ٢١/٦/ ٢٠١١م.
- **تجلّيات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف** –أنموذجًا-: للطّالبة: حياة دحمان، إشراف أ. د. عزّ الدّين صحراويّ، جامعة الحاجّ لخضر- باتنة- كلّيّة الآداب واللّغات- قسم اللغة العربيّة وآدابها، الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة، وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير، ٢٠١٢-٢٠١٣م.
- **مصطلح الحجاج بواعثه وتقنيّاته**: لـعبّاس حسن حشاني، (بحث)، مجلّة المَخْبَر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائريّ- جامعة بسكرة، الجزائر.

التوفيق بين النحاة والمفسِّرين في إعراب القرآن الكريم

محمد زامل السعدون

(باحث في العلوم الإسلامية، من العراق)

مقدمة:

لما كان شرف العلم من شرف المعلوم، فإن أشرف العلم هو العلم بالقرآن الكريم لأنه كلام الله المنزل على محمد بن عبد الله المتعبَّد بتلاوته المعجِز بنفسه المتواتر في نقله المحفوظ في المصاحف بحفظِ مَن تكلَّم به جل وعلا: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، فهو أحسن الحديث وأصدقه كما قال الله تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} وقال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ}، وحيث شرّف الله تعالى هذه اللغة العظيمة اللغة العربية بهذا الشرف العظيم الذي حظيت به من الله جل وعلا حين ختم رسالاته للخلق بهذه اللغة وأرسل خاتم أنبيائه من أهلها ثم خلّدها هذا الخلود الأبدي حين تكلم الله بها وجعلها لغة خير كتبه وآخرها القرآن الكريم لتكون حجة على الخلق أجمعين، فلله الحمد والمنة والكرم. والقرآن حجة الله على خلقه، وآياته حجة بنفسها في اللغة وشاهد على كل شاهد بل وفوق كل شاهد لأنه كلام الخالق العليم الخبير، لذا كان الاشتغال في تعلم وتعليم القرآن الكريم تلاوة وتفسيرًا وفقهًا ودراية هو من أعظم العلم وأفضله وأشرفه وأعلاه قدرًا ومنزلة ورتبة، وصاحبه من خير الناس بل ممن أراد الله بهم خيرًا كما قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، وطمعًا منا بفضل الله وكرمه وهو أكرم الأكرمين في نَيل هذه الخيرية كنتُ منذ مدة طويلة وأنا مشتغل بمطالعة آيات القرآن الكريم وإعرابها وخلال هذه المطالعة والقراءة لاحظتُ أن هناك من الآيات والجمل ما تحتمل أكثر من وجه في إعرابها بحسب ما يذكره المعربون للقرآن الكريم في كتبهم، فخطرت ببالي فكرة أن أوازن بين ما تكلم به المفسرون في تفسير هذه الآيات وبين ما ذكره النحاة من أوجه الإعراب التي تحتمله الآيات أو الجملة أو حتى الكلمة الواحدة، وأجري بينهما مقابلة وتوفيقًا بينهما لاختيار أقرب الأوجه الإعرابية للمعنى الذي تضمنته الآية أو الجملة موافقًا لقول أهل التفسير في توجيههم في تفسير القرآن الكريم حسب ما يقتضيه السياق والمضمون الذي تتحدث عنه الآيات الكريمة، لذا شرعت في اقتباس هذه الجمل أو الآيات **واخترتُ أنموذجًا لهذه الجُمَل أجريتُ عليه البحث، وهو: إعراب الجمل الواقعة بعد مفردتي (بشَر مثلكم) أو (مثلنا) في القرآن الكريم**. راجيًا من الله القبول وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم لا رياء ولا سمعة وأن يجعله ذخرًا لي يوم الدين الذي قال الله فيه: {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}. ومن الله التوفيق.

المبحث الأول:

لقد وردت ألفاظ (بشر مثلكم/ مثلنا) في القرآن بصيغ متعددة، هي:

١/ (بشر مثلكم).

٢/ (بشر مثلنا).

٣/ (لبشرين مثلنا).

والمواضع التي وردت فيه هذه الألفاظ في القرآن الكريم يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولًا: لفظ (بشر مثلكم).

ورد في سبعة مواضع من القرآن الكريم:

[سورة إبراهيم: الآية ١١]

(قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).

[سورة الكهف: الآية ١١٠]

(قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحًا وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا).

[سورة الأنبياء: الآية ٣]

(لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هذا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَ فَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ).

[سورة المؤمنون: الآية ٢٤]

(فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ).

[سورة المؤمنون الآية ٣٣]

(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ).

[سورة المؤمنون: الآية ٣٤]

(وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ).

[سورة فصلت: الآية ٦]

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ).

ثانيًا: لفظ (بشر مثلنا).

ورد في خمسة مواضع من القرآن الكريم:

[سورة هود: الآية ٢٧]

(فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ).

[سورة إبراهيم: الآية ١٠]

(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ).

[سورة الشعراء: الآية ١٥٤]

(مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ).

[سورة الشعراء: الآية ١٨٦]

(وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ).

[سورة يس: الآية ١٥]

(قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ).

ثالثًا: لفظ (لبشرين مثلنا).

ورد في موضع واحد من القرآن الكريم:

[سورة المؤمنون: الآية ٤٧]

(فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ).

المبحث الثاني:

القاعدة المراد تطبيقها على هذه الآيات هي ما ذكرها ابن هشام: (يقول المعربون على سبيل التقريب: الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال. وشرحُ المسألة مستوفاة أن يقال: الجمل الخبرية التي لم يستلزمها ما قبلها إن كانت مرتبطة بنكرة محضة، فهي صفة لها، أو بمعرفة محضة فهي حال عنها، أو بغير المحضة منهما فهي محتملة لهما، وكل ذلك بشرط وجود المقتضي وانتفاء المانع)[١].

والآيات التي تنطبق عليها هذه القاعدة هي الآيات التي جاءت في سورة إبراهيم وسورة الكهف وسورة المؤمنون وسورة فصلت، وسأتناول كل آية وأحاول التوفيق بين ما قاله النحاة وبين ما قاله المفسرون، وترجيح أي الإعراب أنسب للآية في ضوء معاني القرآن الكريم وسياق الآيات التي وردت فيها.

وقبل البدء بذلك لا بد من أن أبين معنى هذه القاعدة حتى يتسنى لنا فهم إعراب النحاة لها.

(١) (ابن هشام، مغني اللبيب، ٥٦٠)

تفسير مفردات القاعدة:

المقصود من النكرة هي فرد شائع في جنسه لا يختص به فرد دون الآخر بل يتناول جميع أفراد الجنس على سبيل البدلية[1][2] وهنا نلاحظ أن ابن هشام ذكر في هذه القاعدة قيدا مهما وهو أن تكون النكرة محضة مثل قولك جاء رجل فرجل نكرة محضة، لأنها غير موصوفة فهي شائعة في جنسها فإذا قلت جاء رجل يركض فجملة يركض في ضوء هذه القاعدة تعرب صفة للرجل، لأنه نكرة محضة لم توصف بشيء فهي شائعة في جنسها من غير قيد، أما إذا قلت جاء رجل صالح يمشي فهنا جاءت كلمة رجل نكرة مقيده بوصف وهو قولك رجل صالح فهو ليس مطلقا في جنسه بل قللت شيوع النكرة في جنسها لأنها قيدتها بكونه (رجل صالح) وليست متناولة لجميع جنس الرجال على سبيل البدلية كقولك في الجملة الاولى (جاء رجل يركض) وهي التي لم توصف بل بقيت شائعة في جنسها وهذا فرق دقيق جدا بمعنى أن النكرة إن لم تكن محضة فهو كما قال محتملة للأمرين بين أن تكون الجملة الواقعة بعد النكرة صفة لها أو أن تكون في موضع الحال وهذه التفاتة جميلة جدا ودقيقة بنفس الوقت تدل على ارتباط النحو والاعراب بمعاني الكلمات ودلالاتها ومقاصدها وليس جمودا على اللفظ وهذا يدلك على العمق الروحي والمعنوي الذي تميزت به لغتنا العربية فهي لا تقف على مجرد الألفاظ فحسب بل تنبهك على البحث عن مقاصد الكلام ودلالاته وعند ذلك يكون الاعراب تبعا له.

معنى الصفات والأحوال:

الصفات جمع صفة هو ما يُذكرُ بعدَ اسمٍ ليُبيِّنَ بعض أَحوالهِ أَو أَحوال ما يَتعلَّقُ به.

وفائدةُ الصفة التَّفرقةُ بينَ المشتركينَ في الاسم.

ثمَّ إن كان الموصوفُ معرفةً ففائدةُ الصفة التَّوضيح. وإن كانَ نكرةً ففائدتهُ التّخصيصُ.

(فان قلت "جاء عليّ المجتهد" فقد أوضحت من هو الجائي من بين المشتركين في هذا الاسم. وإن قلت

(١) (حمد الصاعدي ، المطلق والمقيد ، ١١٨)

(٢) (ابن هشام ، شرح قطر الندى ، ٩٣)

"صاحب رجلًا عاقلًا"، فقد خصصت هذا الرجل من بين المشاركين له في صفة الرجولية[١].

معنى الأحوال جمع حال وهو الاسم المنصوبُ، المفسِّرُ لما انبهم من الهيئات[٢].

أفاد التعريف أن الحال يبين هيئة صاحب الحال وقد ذكر النحاة أنه من شروط الحال أن يكونَ صفةً مُنتقلةً، لا ثابتةً (وهو الأصلُ فيها)، نحو "طلعت الشمسُ صافيةً". وقد تكونُ صفةً ثابتةً، نحو "هذا أَبوكَ رحيمًا[٣].

معنى كلمتي (بشر مثلكم / مثلنا): أي من جنسكم، إنسان مثلكم في صوركم وخلقكم. وكلمة مثلكم نعت لها وإضافة مثلكم إلى الضمير لم تزدها معرفة لأنّه موغل في التنكير[٤].

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أن الكفار عللوا رفضهم لدعوة الانبياء والمرسلين بأن الله تعالى جعل الرسل من الجنس البشري وليس من الجنس الملائكي وقد ذكر الله تعالى في كتابه هذا المانع المتوهم في زعم الكفار لصد الناس عن دعوة الرسل بأنهم بشر مثلهم ولم يكن الرسل من جنس الملائكة بمعنى أن هؤلاء طلبوا أن يكون الرسل من جنس أخر غير الجنس البشري قال تعالى عنهم: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} وقال تعالى: {قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} وقال تعالى: {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ}، فذكر الله تعالى الشبهة التي منعتهم من عدم استجابتهم للرسل أنهم بشر مثلهم من نفس الجنس بمعنى اخر انهم ارادوا ان يكون الرسل من غير جنسهم او ان يكون الرسل متصفين بأوصاف تميزهم عن جنس البشرية الذي يتصفون

(١) (مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس ، ٨٢/٣)

(٢) (ابن آجروم، متن الآجرومية ، ١٩)

(٣) (مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس ، ٣/ ٨٣)

(٤) (محمود الصافي ، الجدول في إعراب القرآن الكريم ، ١٧/ ٤)

به هم لذلك اقترحوا أوصافا معينة تعنتا منهم وتكبرا وجعلوها شرطا في إيمانهم وتصديقهم للرسل فقال تعالى عن تعنتهم: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا)وقال تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقرآن مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا)، وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على هذا المعنى.

ومن هنا يتبين الآتي:

أن كلمة مثلكم في هذه الآية هل جاءت لتقيد معنى البشرية التي يتصف بها الرسول وتخصه بوصف يقلل شيوعه في جنسه البشري؟ أم جاءت لتوكيد معنى البشرية في مقابل ما اقترحوه من الصفات والأوصاف التي اشترطوها في إيمانهم وتصديقهم بالرسل؟

فالذي يظهر -والله أعلم- الثاني، وأن المجيء بكلمة (مثلكم) إنما جاء من أجل هذا المعنى، وليس لتقليل شيوع النكرة في جنسها، وجعل بشرية الرسل وصفًا خاصًّا بهم يتميّزون به عن غيرهم من البشر، وتقلل من شيوع كلمة بشر في جنسها.

المبحث الثالث:

بعد بيان مدلول الكلمة وبيان السياق الذي من أجلها جيء بها في هذه الآيات (بشر مثلكم) أشرَع في تطبيق تلك القاعدة النحوية التي ذكرها ابن هشام في كتابه "مغني اللبيب" على الجمل التي جاءت بعد هاتين المفردتين في القرآن الكريم، وترجيح الإعراب الذي نراه أوفق في إعراب الجمل الواردة بعدها، التي تنطبق عليها القاعدة النحوية التي ذكرها ابن هشام رحمه الله.

فأقول وبالله التوفيق:

[سورة إبراهيم: الآية ١٠]

(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ).

[سورة الكهف: الآية ١١٠]

(قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحًا وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا).

جاءت لفظ بشر نكرة موصوفه (قل إنما أنا بشر مثلكم) فهنا كلمة بشر نكرة ولكن ليست محضة لأنها وصفت بـ(مثلكم) وجاءت بعدها جملة (يوحى إلي) فهنا على ضوء القاعدة التي ذكرها ابن هشام رحمه الله احتملت هذه الجملة (يوحى إلي) إما أن تكون في محل نعت لبشر لأنها نكرة موصوفه فليست محضا واما أن تكون في محل حال لبشر او على كليهما وهنا يأتي دلالات الكلام ومقاصده في ترجيح أحد هذين الاحتماليين.

والذي يترجح في إعراب هذه الجملة (يوحى الي) بعد قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) هو ان تكون في موضع نعت لـ(بشر مثلكم) وذلك لأنه كما بينا ان معنى بشر مثلكم أي من جنسكم ليس من جنس الملائكة وليس له من صفات الله شيء فهو لا يعلم الغيب وليس له من العلم الا ما علمه الله وهذه هو فقط ما يتميز به رسل الله تعالى عن باق بني جنسهم من البشر كونهم قد اختارهم الله تعالى للرسالة والوحي وعليه فالأوفق في إعراب قوله تعالى في هذه الآية (يوحى إلي) أن تكون في موضع الصفة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنها الوصف الذي يتميز به رسل الله تعالى عن بقية البشر.

أقوال المفسرين:

١. قال الطبري: يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به

شيئا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك[١].

٢. قال الآلوسي: إشارة إلى جهة مشاركته صلى الله عليه وسلم للناس وجهة امتيازه ولولا تلك المشاركة ما حصلت الإفاضة ولولا ذلك الامتياز ما حصلت الاستفاضة[٢].

٣. قال ابن عاشور: فالحصر في قوله {إنما أنا بشر مثلكم} قصر الموصوف على الصفة وهو إضافي للقلب، أي ما أنا إلاّ بشر لا أتجاوز البشرية إلى العلم بالمغيّبات. وأدمج في هذا أهم ما يوحي إليه وما بعث لأجله وهو توحيد الله والسعي لما فيه السلامة عند لقاء الله تعالى. وهذا من ردّ العجز على الصدر من قوله في أوّل السورة {لينذر بأسًا شديدًا من لدنه} إلى قوله {إن يقولون إلا كذبًا} [الكهف: ٢ ٥]. وجملة {يوحى إلي} مستأنفة، أو صفة ثانية لـ {بشر}[٣]

ومن هنا يتبين أن معنى هذه الآية انما المراد بها ان الانبياء انما هم من جنس البشر وليس من الملائكة وليس لهم من الصفات التي اقترحها أولئك عليهم من علم الغيب، وإنزال الملائكة وغيرها، وعليه يكون إعراب الجملة (يوحى إلي) إما أن تكون نعتا لبشر وإما أن تكون خبرا ثانيا لـ (أنا)، وإما جملة استئنافية، وبهذا جاءت كتب إعراب القرآن الكريم.

[سورة المؤمنون: آية ٢٤]

(فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ)

جاءت جملة (يريد أن يتفضل عليكم) بعد قوله بشر مثلكم فما الذي يترجح من إعراب هذه الجملة في موضع الوصف أم الحال أم في كليهما؟

الذي يترجح أن هذه الجملة في موضع الحال وليست صفة (بشر مثلكم)، وهذا يتبن من سياق هذه الآية فهي قول للملأ الذين كفروا بالرسل يريدون بها انتقاص الرسل وأنهم ما جاؤوا بدعوى النبوة

(١) (أبو جعفر الطبري، جامع البيان)
(٢) (الألوسي، روح المعاني)
(٣) (الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير)

والرسالة إلا من أجل الحصول على الرئاسة والتصدر والزعامة الدنيوية عليهم، لذلك قالوا بعدها مباشرة: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) وجاء في موضع آخر مشابه لهذا الادعاء على الانبياء والمرسلين: (وتكون لكما الكبرياء في الأرض) وبما أن هذا القول هو افتراء وليس له وجه من الصحة فالرسل عليهم السلام ما جاؤوا أبدًا طلبًا للرئاسة والتزعم في الدنيا بل كانوا أبسط الناس وأكثرهم تواضعا وزهدا في الدنيا وما فيها، والشواهد على ذلك كثيرة، منها قول الله تعالى لرسوله (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) ومن هذا التعليل يتبين أن الأوفق في إعراب هذه الجملة أن تكون في موضع الحال وليست هي وصف لرسل الله تعالى وإنما هي حال ادّعاها هؤلاء الكفار على رسل الله تعالى وقد كذبتهم بذلك الأوصاف العظيمة التي اتصف بها رسل الله تعالى، والله أعلم.

أما أقوال المفسرين فإليك ما قالوه في هذه الآية:

١. قال الطبري: إنما هو إنسان مثلكم وكبعضكم (يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) يقول: يريد أن يصير له الفضل عليكم، فيكون متبوعا وأنتم له تبع[١].

٢. قال ابن كثير: فقال الملأ -وهم السادة والأكابر منهم-: { مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ } يعنون: يترفع عليكم ويتعاظم بدعوى النبوة، وهو بشر مثلكم[٢].

٣. قال أبو حيان: { فقال الملأ } أي كبراء الناس وعظماؤهم، وهم الذين هم أعصى الناس وأبعدهم لقبول الخير. { ما هذا إلاّ بشر مثلكم } أي مساويكم في البشرية[٣].

٤. قال الزمخشري: {أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ} أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم، كقوله تعالى: {وَتَكُونَ لَكُمَا الكبرياء في الأرض}[٤].

---

(١) .(ابن جرير الطبري ، جامع البيان)

(٢) .(ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم)

(٣) .(أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط)

(٤) (الزمخشري ، الكشاف)

٥. قال الرازي:

الشبهة الأولى: قولهم: { مَا هذا إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ } وهذه الشبهة تحتمل وجهين: أحدهما: أن يقال إنه لما كان مساويًا لسائر الناس في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض امتنع كونه رسولًا لله، لأن الرسول لا بد وأن يكون عظيمًا عند الله تعالى وحبيبًا له، والحبيب لا بد وأن يختص عن غير الحبيب بمزيد الدرجة والمعزة، فلما فقدت هذه الأشياء علمنا انتفاء الرسالة والثاني: أن يقال هذا الإنسان مشارك لكم في جميع الأمور، ولكنه أحب الرياسة والمتبوعة فلم يجد إليهما سبيلًا إلا بادعاء النبوة، فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته، فهذا الاحتمال متأكد بقوله تعالى خبرًا عنهم { يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ } أي يريد أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى: { وَتَكُونَ لَكُمَا الكبرياء في الأرض } [يونس: ٧٨].

الشبهة الثانية: قولهم: { وَلَوْ شَاء الله لأنزل ملائكة } وشرحه أن الله تعالى لو شاء إرشاد البشر لوجب أن يسلك الطريق الذي يكون أشد إفضاء إلى المقصود، ومعلوم أن بعثة الملائكة أشد إفضاء إلى هذا المقصود من بعثة البشر، لأن الملائكة لعلو شأنهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم، فالخلق ينقادون إليهم، ولا يشكون في رسالتهم، فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولًا ألبته[١].

٦. قال الآلوسي: فقال الملأ لعوامهم { مَا هذا إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ } أي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة، ووصفوه بقوله سبحانه: {يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ} إغضابًا للمخاطبين عليه -عليه السلام- وإغراءً لهم على معاداته، والتفضل طلب الفضل وهو كناية عن السيادة كأنه قيل: يريد أن يسودكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم، وقيل: صيغة التفعل مستعارة للكمال فإنه ما يتكلف له يكون على أكمل وجه فكأنه قيل: يريد كمال الفضل عليكم[٢].

٧. قال ابن عاشور: {يُريد أن يتفضل عليكم} فإن سادة القوم ظنوا أنه ما جاء بتلك الدعوة إلاّ حبًا في أن يَسُود على قومهم فَخَشُوا أن تزول سيادتهم وهم بجهلهم لا يتدبرون أحوال النفوس ولا ينظرون

(١) (الفخر الرازي، التفسير الكبير)

(٢) (الألوسي ، روح المعاني)

مصالح الناس ولكنهم يقيسون غيرهم على مقياس أنفسهم. فلما كانت مطامح أنفسهم حبّ الرئاسة والتوسل إليها بالانتصاب لخدمة الأصنام توهموا أن الذي جاء بإبطال عبادة الأصنام إنما أراد منازعتهم سلطانهم. والتفضل: تكلف الفَضل وطلبه، والفضل أصله الزيادة ثم شاع في زيادة الشرف والرفعة، أي يريد أن يكون أفضل الناس لأنه نسبهم كلهم إلى الضلال[1].

[سورة المؤمنون: آية ٣٣]

{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ}.

في هذه الآية جاءت جملة (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) بعد (بشر مثلكم) فما الذي يترجح من اعرابها ان تكون في موضع صفة ام حال أم في كليهما؟

والذي يترجح أن الآية محتملة لكلا الاعرابين ولا مرجح لأحدهما على الآخر، فإذا أعربنا هذه الجملة في موضع صفة فالأكل والشرب من الصفات اللازمة للجنس البشري الذين منهم الأنبياء والمرسلون فهي من مقتضى بشريتهم التي اتصفوا بها عليهم الصلاة والسلام.

وإذا أعربنا بموضع الحال فهي أيضا موافقة لهيأة البشر وحالهم فهم لا يأكلون أو يشربون في كل وقت على الدوام وبدون انقطاع ولكنهم يأكلون عند الحاجة والرغبة فالأكل والشرب حالة يتصف بها الإنسان من وقت إلى آخر. فوافق أن تكون الجملة في موضع الحال وتكون الآية لكلا المعنيين هو من جوامع الكلم الذي تضمنه كلام الله تعالى. والله الموفق.

[سورة فصلت: الآية ٦]

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ}.

والقول في هذه الآية هو القول نفسه في الآية الواردة في سورة الكهف. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) (الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير)

المصادر والمراجع:

١ - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، لبنان/ بيروت، دار الكتب العلمية. ١٤٢٢هـ.

٢ - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الكتب العلمية. ١٤١٩هـ.

٣ - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونس، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

٤ - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ.

٥ - محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، دمشق، دار الرشيد. ١٤١٨ هـ.

٦ - مصطفى بن محمد سليم الغلاييني،جامع الدروس العربية، صيدا – بيروت، المكتبة العصرية. ١٤١٤ هـ.

٧ - شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الكتب العلمية. ١٤١٥ هـ.

٨ - ابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، شرح قطر الندى وبل الصدى، القاهرة. ١٣٨٣.

٩ - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٠ - ابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دمشق، دار الفكر. ١٩٨٥.

١١ - فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الكتب العلمية. ١٤٢١ هـ

١٢ - ابن آجُرُّوم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، متن الأجرومية، دار الصميعي. ١٤١٩هـ.

١٣ - حمد بن حمدي الصاعدي، المطلق والمقيد، المملكة العربية السعودية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ١٤٢٣هـ.

سيرة رسول الله ﷺ

المعروفة بسيرة ابن هشام

دراسة مقارنة بين آخر طبعتين

سامح عثمان

(باحث وكاتب ومحقق، من الأردن)

مقدّمة:

صدر مؤخّرًا تحقيق لسيرة ابن هشام عن "شركة إقليد المعرفة" للبحوث والدراسات/الرياض، بتحقيق حسين بن عكاشة بن رمضان، وبإشراف علمي من قِبل الدكتور علي بن محمد العمران، بتاريخ: ١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م، وقد قدّم الدكتور علي العمران بمقدمة له بتاريخ: ٤/٤/ ١٤٤٤هـ، وذكر في هذه المقدمة كلاما مقتضبا عن بعض الطبعات التي سبقت طبعته فقال: "وقد طبع الكتاب طبعات عديدة بدءًا من سنة ١٢٥٩هـ وهلم جرا، وقد بذلت في بعض طبعاته جهود طيبة، وانتفع الناس بها لحينها، لكن ليس فيها طبعة اعتني فيها بالكتاب العناية اللائقة بأمثاله من أمَّات كتب الفنون؛ بحيث تعقد عليها الخناصر، ويركن إليها أهل العلم وطلاب المعرفة" [ص: ٥].

وبعد هذه المقدمة ذكر أنه جمع في عمله هذا عددًا من المخطوطات وانتخب منها قائلًا: "فجمعنا له عشرات المخطوطات، وانتقينا منها ستا، من أوثقها وأقدمها، فضبط النص عليها، بتقييد الفروق المهمة بين النسخ، وتخريج الأحاديث والآثار تخريجا متوسطا مستوفى مع الكلام عليها صحة وضعفا، وعزو الأشعار... إلخ" [ص: ٦]

ثم كُتبت مقدمة طويلة في قرابة المئة صفحة، ذُكر فيها تعريف بصاحب الكتاب، وبمحمد بن إسحاق وكتابه -أيضا-، وبالمجهود الذي قامت به لجنة التحقيق، وبوصف المخطوطات المعتمدة، وبالطبعات السابقة، وبما يلزم من تعريف.

والحق أنها دراسة موعبة وارفة، ولكن حين اطلعت على الجزء المخصّص للطبعات السابقة حصل عندي شك في جدّية هذا التحقيق؛ **إذْ لم تذكُر لجنة التحقيق هنا طبعة الأستاذ عادل مرشد والدكتور همام سعيد، الصادرة عن دار الفاروق/عمّان(!)**، وهذا ما دعاني إلى كتابة هذه الورقة النقدية التي سيكون النقد فيها على ضوء الشروط التي وضعتها لجنة التحقيق لطبعة "إقليد المعرفة" في مقدّمتها.

*العمل الجماعي في التحقيق:

في ثنايا اطلاعي على أعمال بعض المشتغلين بصنعة التحقيق، أو قراءة المخطوطات، أو إعادة نسخ الكتب ونشرها -سمها ما شئت مع فارق الدلالة بين هذه المصطلحات-؛ أجد أن بدعة العمل الجماعي قد ظهرت بكثرة، ولا يخفى على عاقل أن دوافع هذه الأعمال إما أن تكون مادية، أو أن تكون لجهل في علم من العلوم كعلم الحديث وتخريجه، أو علم النحو أو علم الصرف -وهما علمان مظلومان- أو غير هذه الأسباب التي لا تخفى على من له نظر، ولا أقول أن العمل الجماعي مستحيل، بل إنه وارد حتى عند القدامى الذين يعدون من أساطين هذه الصنعة، مثل الإمام اليونيني حين كان يعرض صحيح البخاري على ابن مالك النحوي، فهذه الحالة كان عبء العلم والعمل يوزع؛ حتى تتضافر الجهود؛ ليكون العمل على أكمل وجه ممكن، وهذا كله يكون مع اكتمال الملكة عند الطرفين وعدم جهل الواحد منهما بفن الآخر؛ ولكن كما يقال: "تفكير عقلين خير من تفكير عقل"، أما الحاصل في واقعنا عند أغلب المحققين اليوم أن يتجشم واحد من الفريق عناء العمل كله أو الجزء الأكبر منه، ومع ذلك تتم كتابة أسماء أناس على الطرة لا ندري ما هو مدى عملها في الكتاب، وماذا عمل كل واحد على وجه الدقة؟ فحين كتب الدكتور علي العمران أسماء أساتذة ومشايخ -مع احترامي وتقديري لهم- كان الأولى أن يكتب على الطرة الخارجية للكتاب: "تحقيق مجموعة من الباحثين"، ثم يُذكر داخل الكتاب -ولو على سبيل العجلة- عمل كل واحد بدقة؛ حتى يعرف وجه الإتقان ومكمنه عند كل واحد من الفريق، وكذا وجه الإخفاق، وبهذا تتمايز الجهود ويعطى كل ذي حق حقه.

ثم إذا كانت مقابلة النسخ مشتركة، والتدقيق اللغوي يقوم به أناس، والمراجعة العلمية لآخرين، وتخريج الحديث لزيد، وتحقيق القراءات لبكر، فأي عمل هذا الذي ينسب إلى شخص واحد؟! أليس سبيل الطعن في مصداقية هذا العمل يقوى مع هذه القرائن؟! الجواب -في ظني-: بلى يقوى.

وقد حصل هذا الخلل أيضًا في طبعة الكتاب التي سبقت طبعة إقليد المعرفة، أقصد طبعة دار الفاروق، فلو أن العمل قام على أساس تقسيم الأشغال بين الأستاذين، لكان أفضل؛ إذ بهذه الطريقة يُعرف جهد كل واحد منهما، ويدفع أي شك قد يساور الباحث في مصداقية نسبة العمل.

***الاتكاء على المطبوع في تحقيق المخطوط:**

وهذه القضية قد زلت بها الأقدام وعمّت بها البلوى في هذه الصنعة، فإن إعادة تحقيق الكتاب التي اجتهد عليها علماء محققون في تفاصيل العلوم يعد هدرًا لجهودهم، ومن أمثلة ذلك الطبعة الصادرة عن دار الفكر في تحقيق كتاب "دلائل الإعجاز" للإمام عبد القاهر الجرجاني، وقد حقق هذا الكتاب من كان عليمًا بالصنعة النقدية البلاغية، وهو الأستاذ محمود محمد شاكر.

فلو اعترض عليَّ معترض قائلًا: إن الكتاب قد حققه الشيخ محمد رشيد رضا قبل شاكر، لماذا لم تعترض على شاكر أيضًا؟! قلت: إن شاكرًا استوفى جميع الضوابط التي تدعو أو تسمح بإعادة نشر الكتاب، وسأذكر هذه الشروط قريبًا.

ومن هذه الأعمال -أيضًا- ما كان من إعادة نشر كتاب "الموافقات" للإمام الشاطبي، فكلّ الذين جاؤوا من بعد الأستاذين محمد دراز ومحمد الخضر حسين كانوا عالة عليهما؛ والسبب في ذلك أن الأستاذ دراز عالم في الأصول وفي اللغة وفي الفلسفة، فأين ستجد قراءة للمخطوط كقراءته؟! بل إن مَن بعده كان يفخر أنه يضع تعليقاته وتحشياته على الكتاب، وليس مَن نظر وقرأ في المخطوط مباشرةً كمَن استعان عليه بمطبوع.

وهذا يَهونُ إذا رأينا بعضَ مَن نَشَر كتاب "الاعتصام" -للإمام نفسه- بعدَ محمد رشيد رضا واعتمَد على الأستاذ رضا اعتمادًا كبيرًا ولم يَعزُ إليه ذلك!

وما حصل مع كتاب "إعلام الموقعين" للإمام ابن القيم بعد عناية وتحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد لا يختلف كثيرًا عن الكتب التي سبقَ ذِكرها.

فهذه النشرات المتتالية لكتبٍ قد قام عليها جهابذة كبار، تُشَكِّك في عِلميّة ومِصداقيّة هذا الناشر، وتَجعل الظنّ يذهب غالبًا إمّا إلى حب الشهرة، أو لأجل مكتسبات ماليّة، والله أعلم بالنوايا.

أقول: يجب أن تدرَك عدّة أمور في هذه الصنعة، وتراعى، من الناحية العلمية، ومن الناحية الأخلاقية الدينية:

أولًا: لا ينبغي إعادة نشر الكتب المحققة إلا إذا وجد بحق داعي إعادة النشر، مثل أن يجد المحقق اللاحق نسخة خطية بخط المؤلف لم يعرض لها المحقق السابق، أو أن يجد نسخة تغير نص المطبوع، أو يكون المحقق السابق رديء القراءة، وهذا لا يكون إلا من الجهل، والقصة التي حصلت للأستاذ محمود محمد شاكر مع طبعة ليدن "لطبقات فحول الشعراء" نموذج تطبيقي لسوء قراءة غالب المستشرقين -فقد كانت قراءة "هِلْ" سيئة؛ لعجمته وعدم تمكنه من فن النقد الأدبي العربي-، أو أن يكون دافع إعادة النشر هو تكميل النقص وتصويب الخطأ كما حصل مع "مسند الإمام أحمد" إذ الشيخ أحمد شاكر لم يكمل المسند، فقام الشيخ شعيب الأرنؤوط والشيخ عادل مرشد ومجموعة من الباحثين بتكميل الكتاب وتصويب الخلل والاحتشاد الجبار لهذا العمل -خصوصًا أنهم من أهل الصّنعة الحديثية الراسخين فيها-، أو أن يكون الكتاب قد فقد فقدًا نهائيًا، ومع هذا فإننا نجد من الناس من تحلى بأخلاق نزيهة مثل الأستاذ محمد زهير بن ناصر الناصر وما عمله من تصوير "لصحيح البخاري"، فلم ينسب لنفسه تحقيقًا أو تعليقًا، وإنما قدّم بمقدّمة وافية ماتعة باتعة للكتاب وأبقاه على ما كان عليه في الطبعة البولاقيّة، وأنا والله لا أعرف صفحة وجه الرجل، إلا أني لمست في عمله الصدق، ولا أزكي على الله أحدا.

ثانيًا: إنّ التّحقيق العلمي للنص لا يكون بنفخ الكتاب وإثقال الهوامش بتعليقات لا تنفع الباحث، أو بعزو لكتب لا داعي لها، فالأصل أن يكون التعليق على نصوص الكتاب الأصلية مما يخدم الكتاب والباحث خدمة مباشرة ورئيسة، وألا تكون من التعليقات التي يحصلها الباحث من الكتب الأخرى بسهولة، فنجد أن العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد -مثلا- يعلق على كتبه تعليقات نفيسة لا تخرج النص الأصلي عن مقصده، ونجد غيره من المحققين الجدد تكون تعليقاتهم على شكل:

"صدق رحمه الله"، "وأنا أقول بمثل قوله"، "هذا في زمانهم فكيف في زماننا؟!"، "وقد رأيت في تلك البلاد أعاجيب كثيرة" وغير هذه التعليقات السخيفة –حقيقة-، والتي لا تفيد الباحث بشيء، ولسان حال هذا المحقق يقول: "أنا وريث محمد بن إسماعيل البخاري"، أو "أنا مجدد هذا الفن"، أو "أنا العالم"!

ومن الأخطاء التي تزيد عدد أوراق الكتاب: إضافة كتاب إليه على شكل: "كتاب كذا" ويليه "كتاب كذا" أو "معه كتاب كذا وكتاب كذا"...إلخ حتى يصير الكتاب الذي يقع في خمسين صفحة=

مجلدين ضخمين أو ما يقارب المجلدين، وهذا يدعو إلى الشك في أخلاق هذا المحقق، وينمّ عن غايات مالية لا تعود على طلبة العلم بالنفع، ولو كان هذا المحقق صادقًا مع نفسه لنشر بحثًا يبيّن فيه إيجابيات الطبعة الفلانية وسلبيات الطبعة الفلانية، وهذا العمل -أقصد كتابة الأبحاث والدراسات- مما لا يقوم به إلا الأقوياء من طلبة العلم؛ لما فيه من عناء، ولما يتطلبه من ذكاء، وهو -أيضا- من دواعي التواضع وعدم التكبر.

ثالثًا: يجب على من أراد الدخول في ميدان قراءة المخطوطات وتحقيقها؛ أن يكون ملما إلماما قويا في علوم الوسائل من: نحو، وصرف، وبلاغة، وعروض، وقافية، وأصول فقه، وأن يكون صاحب خبرة واسعة بمدارس المحققين؛ حتى يتمكن من قراءة هذا المخطوط، ثم يجب عليه أن لا يدخل في تحقيق مخطوط لفن لا يتقنه، فنجد مثلا بعض الذين لا يعرفون نظما من شعر يدخلون في ميدان تحقيق كتب الأدب! أو أن بعضهم يظن نفسه ممسكا بناصية الحكم على الأحاديث، وهو في الواقع مقلد لأحكام غيره، وهذا فيه من الخلل العلمي ما لا يجهله من له أدنى ثقافة في هذه الصنعة.

رابعًا: بعض الذين يعيدون نشر الكتب لا يذكرون الفوائد التي استفادوها من المحققين الأصليين، وهذا ما يزيد العمل قبحًا، وهي عادة ضارة لا تجدها إلا عند من يحقق بواسطة المطبوع الذي سبقه، ولا تجدها عند طحاطيح هذا الفن مثل: الأستاذ محمود محمد شاكر، فلو رجعت إلى تحقيقه "لطبقات فحول الشعراء" لوجدته يقول كثيرا: "أفادنيها ولدي الأستاذ محمود محمد الطناحي" أو "دلني أخي محمود محمد الطناحي"، وانظر مثلا فهرس الاستدراكات على "طبقات فحول الشعراء" (ص: ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٦، ٩٩٠) وغيرها مما ذكر فيها أصدقاءه وتلاميذه، ومشايخه كالراجكوتي مثلا:

فتشبهوا إنْ لمْ تكونوا مثلهم إنّ التشبُّـه بالكـرام فـلاحُ

*التعليق على طبعات سيرة ابن هشام عند لجنة الدكتور علي العمران:

ذكرت لجنة تحقيق سيرة ابن هشام الصادرة عن "إقليد المعرفة/الرياض" كلامًا على طبعات الكتاب السابقة، والحاصل أنهم لم يستوفوا الحديث عن جميع الطبعات السابقة، فقد أغفلت هذه اللجنة الحديث عن طبعة دار الفاروق، والتي نشرت في السوق لأول مرة في شهر صفر لعام ١٤٤٤ للهجرة، الموافق: أيلول

لعام ٢٠٢٢ للميلاد، والغريب أن نشرة الدكتور علي العمران كانت في عام ١٤٤٦ للهجرة، الموافق ٢٠٢٤ للميلاد، في حين كانت المقدمة التي كتبها الدكتور علي العمران على الكتاب في ربيع الآخر لعام ١٤٤٤ للهجرة، ومن المعروف عن الدكتور علي العمران أنه من أشدّ المهتمين والعارفين بما ينزل في السوق من مطبوعات، ومع ذلك لم يشر إلى طبعة دار الفاروق، ولو إشارة سريعة!

أما بخصوص تعليق اللجنة على طبعة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد وطبعة مصطفى السقا وشريكيه؛ فقد كان تعليقًا مرتجفًا غير متزن؛ لعدم فهم منهج الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، وأظهروه كأنه مجرد مدقق لغوي يحسن إعراب الكلمات والجمل، والحق أنه من فرادى الذين يحسنون قراءة المخطوط، ويبرعون في توجيه ألفاظه؛ وذلك لأنه من الإتقان العلمي بمكان، فالرجل ممسك بناصية علوم الآلة، والعمل الذي قام به تعجز عنه مؤسسات معرفية، فهو وحده من يقابل ومن يخرّج ومن يدقق، ويقوم بأعباء التحقيق وثقله وحده.

لقد ذكر الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد منهجه في مقدمة عمله على السيرة، وذكرت لجنة التحقيق ذلك -أيضًا-، ولكن فرق بين ذكر المنهج وفهم المنهج، فقد قال: "وكان أهم ما صنعته في المقابلة الأخيرة أنني قارنت بعض نسخ الكتاب ببعض، فما وجدته من خلاف: فإن كان بزيادة كلمة أو أكثر وكان إثبات هذه الزيادة لا يغير الأسلوب أثبتُّ هذه الزيادات بين قوسين معقوفين هكذا [ ]، وإن كانت الزيادة تغير الأسلوب تركتها ونبهت عليها في التعليقات، وإن كان الاختلاف بتغيير لفظ بلفظ أو عبارة بعبارة أُثبت أقرب اللفظين إلى المعنى المراد، ونبهت على النسخة الأخرى في الشروح والتعليقات..." [تحقيق محي الدين عبد الحميد، ص٢١].

فمن الواضح وضوح الشمس أن العلامة محمد محي الدين عبد الحميد أراد أن يقدم قراءة صحيحة تخلو من الاضطراب والتصحيف، وأن تكون بعيدة عن كل ما يشوش الباحث والقارئ من ذكر الاختلافات بين النّسخ، والتي في الغالب تكون اختلافات ساذجة ويسيرة، وغالبًا هي من عمل النساخ لا من اختلاف الروايات في الكتاب.

والواقع أن العلامة محمد محي الدين عبد الحميد تنبه لأهمية هذه القضية إلا أنه لم يثبتها في

كتابه، واعتذر عن ذلك قائلا: "ولكم كنت أرجو أن يكون من عملي الذي قمت به لخدمة الكتاب؛ المقارنة بين رواياته المختلفة، وبحثها من الجهة العلمية، وبيان إمكان ثبوتها أو تعذره، ولكني لم أجد من وقتي ما أستطيع أن أؤدي فيه هذا العمل الجليل..." [تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ص٢١-٢٢].

فنجد أن الشيخ كان يقظًا جدًا لهذه المسألة، وهو الخبير النحرير في هذا الميدان، فهو قادر تماما على التمييز بين مقارنة النسخ ومقارنة الروايات، وفي المقابل نجد أن لجنة التحقيق لم تخرج في عملها عن هذا النطاق الذي تحدث عنه الشيخ محيي الدين عبد الحميد، أقصد أنهم لم يجددوا شيئا سوى وضع الفروق بين النسخ التي انتخبوها.

ثم إن من الأدلة على عدم معرفتهم بمنهج الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد؛ عيبهم عليه عدم تسمية النسخ التي اعتمدها في تحقيقه [انظر المقدمة، ص٧٧]، وهذا المنهج عند الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد منهج مطّرد في جميع أعماله النحوية والأدبية والحديثية وغيرها، فهو كان يسعى إلى إخراج الكتاب من عالم المخطوطات إلى المطبوعات على منهج القدماء من محققي الإسلام والأمة الإسلامية، وحُق له إذ هو اللغوي البارع والناقد الحصيف والإمام العالم، ثم إن تسمية النسخ أو عدم تسميتها لا يهم كثيرا عند محققي العلم، فهذا مثلا كتاب "دلائل الإعجاز" من الذي يجرؤ على تحقيقه بعد الأستاذ محمود محمد شاكر، ويكون بحشمة عمله، ودقة قراءته؟!

ثم إن اللجنة في المقارنة التي عقدتها بين طبعة الشيخ محيي الدين عبد الحميد وطبعة الأستاذ السقا؛ ذكرت أن التحقيقين "عنيا عناية كبيرة بخدمة النص من الجانب اللغوي [مع تفضيلهم لعمل الشيخ محيي الدين عبد الحميد]، والتاريخي، وتقاربًا في التعليق على النص: بشرح الغريب، وتحديد بعض الأماكن، والكلام على بعض الأسماء والأنساب، ونحو ذلك..." [مقدمة اللجنة، ص٧٨].

وعابت اللجنة أمرين على النشرتين في صلب العمل، أولهما: إغفال جانب التخريج للأحاديث النبوية، وثانيهما: عدم التوثيق الكامل للنقول من المصادر بالجزء والصفحة، مع اعتراف اللجنة للشيخ محيي الدين عبد الحميد بأنه كان يفعل ذلك.

إلا أن اللجنة نفسها سقطت فيما هو أشد وعورة في ميدان البحث العلمي الحديث، وهو **عدم**

ذكرهم لثبت المصادر والمراجع، مما يجعل العمل عرضة للشك في استقلاله العلمي، ويرشح أنه كان عالة على غيره في العمل، وهذا على العكس تمامًا من طبعة دار الفروق؛ فإنه قد ذكر جميع المصادر اللغوية والتاريخية والفقهية التي استعان بها في عمله، مع ذكر جميع المعلومات الخاصة بهذا المصدر، وهذا ينم عن مدى الجهد المبذول في نشرته، أما قضية الفهارس الفرعية في نشرة اللجنة فهو عمل طيب مفيد للباحث، ولكنه عمل فني، ولا علاقة له بالدقة العلمية للعمل، والغريب أن اللجنة جعلت مثل هذه الفهارس من المعايير التي تتمايز بها الأعمال! فقد حكموا بأفضلية عمل السقا وصاحبيه على عمل الشيخ محيي الدين عبد الحميد في هذه النقطة، أي: كثرة الفهارس، وهذه ليست من النقاط التي يحكم عليها في جودة العمل، إنما هي من الخدمات التي تقدم للباحث من المحقق.

أما بخصوص قضية تخريج الأحاديث عند اللجنة القائمة على تحقيق الكتاب فسأتكلم عنها قريبا، ولكن الأسئلة التي تطرح نفسها هي الأسئلة التي نتجت من نصهم الآتي: "الطبعتان نفع الله بهما نفعا كبيرا على مدار أكثر من ثمانين سنة، إلا أن نسخة السقا وصاحبيه أوسع انتشارا وأكثر وجودا، وقد نفعنا الله بالطبعتين جميعا، وانتفاعنا بطبعة الشيخ محيي الدين أكثر، خاصة في الجانب اللغوي وضبط الأشعار، فجزى الله المحققين لهاتين الطبعتين خير الجزاء، وجعل عملهم في موازين حسناتهم، ورحمهم رحمة واسعة. وقد خرجت حديثا عدة طبعات، وفيها جهود طيبة، تتفاوت من طبعة لأخرى، لكن لا ترقى أي منها إلى مستوى هاتين الطبعتين" [المقدمة، ص٨٠].

كتبت اللجنة هذا النص تحت عنوان: "طبعات الكتاب السابقة"، والغريب أن العنوان لهذا الجزء من الدراسة كان فضفاضًا؛ فهم لم يعرضوا جميع الطبعات دراسة ونقدًا، فكان الأولى لهم أن يعنونوا هذا الجزء بعنوان يوافق ما فيه على وجه الدقة، إذ الأبحاث العلمية اليوم تقتضي هذا الشرط، وبمعنى آخر أن لا يكون العنوان فضفاضًا، بل إن علماء الإسلام قديمًا كانوا أسياد هذا المنهج القويم، فتجد أن الكتاب عندهم قد يصل عنوانه إلى نحو من ثلاثة أسطر، والغاية من هذا ليس طلب الإطناب والأسجاع ولا المفاخرة، وإنما محاولة التدليل على محتويات الكتاب بكل دقة، وبلا إغراب على المتلقي، فلو كان العنوان: "مقارنة بين طبعة السقا وطبعة محمد محيي الدين عبد الحميد" أو نحو هذا العنوان؛ فهذا أضبط.

وليت أن اللجنة تعرضت لدراسة الطبعتين دراسة وافية، ولكن الحاصل أن دراستهم كانت متلجلجة، فلم يبينوا المنهج المتبع في كلا العملين، بل تعرضوا لهما بلمز مبطّن حين قالوا: "الشيخ محيي الدين لم يسمِّ أصوله التي اعتمدها في إخراج الكتاب، بل أطلق أنه راجع نسخًا كثيرة، والسقا وصاحباه صرحوا أنهم اعتمدوا ثمانية أصول -أربع مخطوطات، وأربع مطبوعات- وأعطوا كل أصل منها رمزا، ويكثر في نسخة محيي الدين وجود الكلمات أو الجمل بين قوسين دون تنبيه، ولا شك أن عمل السقا وصاحبيه أوثق وأدق" [المقدمة، ص٧٧-٧٨].

فلمْ نجد اللجنة أبانت عن منهج الشيخ محيي الدين عبد الحميد في التحقيق، ولم يعتذروا له عن عدم تسمية النسخ التي اعتمدها، وهذا لعدم معرفتهم منهجه، ثم لم نجدهم تعاملون مع نسخة السقا وصاحبيه بصراحة أكثر، فلا يمكن تسجيل اعتمادهم على نسخ مطبوعة على أنها مثلبة في عملهم؛ حيث أنهم بينوا هذه المطبوعات التي رجعوا إليها، ولم يلفقوا عملهم بها، ثم إن المطبوعات التي اعتمدوها هي في واقعها ثمينة؛ لأنها في غالب الأحيان تعتمد على نَسْخ المخطوط لا على تحقيقه، وهذا واقع في أغلب الكتب العربية الصادرة عن المستشرقين وعن الطبعات القديمة لمطبعة بولاق، إلا أن طبعات بولاق تكون أكثر تدقيقًا في الغالب الأعم.

والطبعات التي اعتمدوها قديمة، فهي إما أن تكون نسخًا عن مخطوط حرفًا بحرف، كما هو عمل غالب المستشرقين -وهذا منهجهم أصلًا-، وإما أن يكون القائم عليها باحثًا يجيد النحو والصرف واللغة وقراءة المخطوط على الأقل، كما هو حاصل في الطبعات الصادرة عن مطبعة بولاق، والمطبوعات التي اعتمدها السقا وصاحباه تعد بمثابة فروع يُرتكز عليها ويُعتمد عليها بقوة إلى جانب المخطوطات؛ للأسباب التي ذكرتها آنفا، وهذه المطبوعات التي اعتمدتها طبعة السقا وصاحبيه هي:

١-النسخة المطبوعة بمدينة جوتنجن بألمانيا سنة ١٢٧٦ه-١٨٦٢م، وقد اعتمد ناشرها المستشرق هنري فريننـد فستنفلد (ت ١٨٩٩م) على نسخة السهيلي المخطوطة التي أخذها عن أستاذه أبي بكر بن العربي الإشبيلي.

٢-النسخة المطبوعة في بولاق سنة ١٢٥٩ه.

٣-النسخة المطبوعة على هامش الروض الأنف في المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٢ه-١٩١٤م.

٤-النسخة المطبوعة في مصر بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٢٩ه.

والحق أن هذه المطبوعات وهذه القراءات من أولى ما يُعتمد عليه بعد المخطوطات، بل إن بعضها يعد مخطوطا من الدرجة الثانية، أقصد أنه نَسخٌ وليس تحقيقا.

أما انتقادهم طبعة الشيخ محي الدين عبد الحميد بأنه يضع جملًا بين قوسين دون تنبيه، فيُحمل على ما قرره الشيخ من منهجه في المقدمة، حين قال: "فإن كان بزيادة كلمة أو أكثر وكان إثبات هذه الزيادة لا يغير الأسلوب أثبت هذه الزيادات بين قوسين معقوفين هكذا [ ]..." [مقدمة محي الدين عبد الحميد، ص٢١]، أو يحمل على الخطأ الطباعي إن لم يشذ الكلام عن سياقه.

ولكن **اللجنة وقعت في تناقض عجيب**، لا أدري أهو سبق في اللسان أم إطلاق لعبارات فضفاضة، ويكمن هذا التناقض في قولهم: "ولا شك أن عمل السقا وصاحبيه أوثق وأدق" [المقدمة، ص٧٨]، ثم قالوا في فقرة تليها: "...والذي يظهر أن عمل الشيخ محي الدين أدق وأنفع" [المقدمة، ص٧٨].

ثم قالوا: "...وقد نفعنا الله بالطبعتين جميعا، وانتفعنا بطبعة الشيخ محي الدين أكثر، خاصة في الجانب اللغوي وضبط الأشعار" [المقدمة، ص٨٠].

فقد وصفت اللجنة الطبعتين بصيغة التفضيل (أفعل)، فلا تدري أي الطبعتين أدق برأي اللجنة؟!

ثم إن كان العمل مميزا إلى هذه الدرجة في كلتا الطبعتين، فما داعي إعادة نشر الكتاب إذن؟! خصوصا أن اللجنة لم تضف جديدا كما سيأتي.

وقد وصفت اللجنة هاتين الطبعتين بعظيم الجهد في ضبط النص والتعليق عليه، وفهرسة المحتوى والتقديم له، وعابت فيهما إغفال تخريج الأحاديث النبوية، على الرغم من أن اللجنة لم تفِ بهذا الشرط أيضا.

إلى هنا أنهي حديثي عن مقدمة اللجنة، وأبدأ مقارنتها مع طبعة دار الفاروق.

*انتخاب المخطوطات في كلتا الطبعتين

طبعة شركة إقليد المعرفة بإشراف الدكتور علي العمران:

اعتمدت هذه الطبعة على ست نسخ خطية، انتُخبت من ثمانين نسخة، وهي:

١-نسخة مكتبة فيض الله أفندي بتركيا رقم (١٤٦٦)، وإسنادها من طريق أبي طاهر السِّلفي (ت ٥٧٦ه)، إذن فهذه النسخة من القرن السادس، وهي ناقصة غير تامة، وقد رمزوا لها بـ: (ف).

٢-نسخة مكتبة آيا صوفيا بمجمع السليمانية بتركيا، تحت رقم (٣٢٣٧)، تاريخ نسخها: صباح الأربعاء العاشر من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمئة[1] أي: في القرن الثامن الهجري، وهذه النسخة قد اعتمدتها طبعة الفاروق، ورمز لها بـ: (ص).

٣-نسخة المكتبة السّليمية بتركيا تحت رقم (٤٦٩٦)، وتاريخ نسخها في شهور سنة ثلاث وأربعين وسبعمئة، أي في الثامن القرن الهجري، وهي نسخة تامة، وناسخها محمد بن شاكر الشافعي (ت ٧٥٣ه)، ورمزوا لها بـ: (س).

٤-نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم عام (٩٣٥٥٦)، ورقم خاص (٩٣٢٩)، وكان الفراغ منها في العشر الأوسط من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمئة، أي في القرن الثامن، وناسخها أحمد بن محمد بن أحمد النصيبي الشافعي (ت ٧٦٤ه)، وهي نسخة تامةن ورمزوا لها بـ: (أ).

٥-نسخة مكتبة طرخان والدة سلطان بمجمع السليمانية بتركيا، تحت رقم (٢٤١)، وكان الفراغ من نسخها في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبعمئة، أي في القرن الثامن، وهي نسخة تامة، وناسخها محمد بن عبد الغني بن يحيى الحنبلي الحراني (ت ٧٧٨ه)، وقد اعتمدتها طبعة الفاروق، ورمزوا لها بـ: (ط).

٦-نسخة مكتبة فيض الله أفندي بتركيا، تحت رقم (١٤٦٧)، وتاريخ نسخها كان في يوم السبت الثاني

---

(١) وهي نسخة تامة غير أن ناسخها لم يسمَّ، وقد أخطأت اللجنة في قراءة هذا التاريخ فقرؤوه "إحدى وتسعين وستمئة"، وهذا الناسخ المجهول يتضح من خلال المخطوط أنه لا يهمز في كتابته، فالراجح عندي أن قراءة طبعة الفاروق هي الأصوب.

والعشرين من شهر شوال المبارك سنة سبع وعشرين وثمانمئة، أي في القرن التاسع، وناسخها محمد بن الحسن بن علي البدراني (ت ٨٣٧هـ)، وهي نسخة تامة، ورمزوا لها بـ: (ب).

ومن الملاحظ أن غالب النسخ المعتمدة كانت في القرن الثامن، وواحدة في القرن التاسع، وواحدة في القرن السادس، وهي أقدمها، ونسختان منها كانتا من النسخ التي اعتمدتها طبعة الفاروق كما سيأتي معنا.

طبعة دار الفاروق بتحقيق الأستاذ عادل مرشد والدكتور همام سعيد:

وهي طبعة مقابلة على اثنتي عشرة نسخة خطية، ست نسخ منها تامة، وست أجزاء متفرقة، وكتب على طرة هذه الطبعة أنها من تحقيق عادل مرشد المقدسي و د. همام سعيد، وأنا قد بينت رأيي في هذه القضية، وأرى أن من الصواب تبيين عمل كل واحد منهما.

قُدِّم الكتاب بمقدمة علمية لا إسهاب فيها ولا ثرثرة، فكانت المقدمة في ثلاث وعشرين صفحة مكثفة في طرح المعلومات حول الكتاب، فأتت مقدمة منهجية تُحَدِّث فيها عن أولية الرواية والتأليف في السيرة، وذِكر المصادر الأولى لعلم المغازي والسير، ثم الفرق بين فن المغازي والسير، وفن السير عن طريق دراسة مقارنة علمية، وبعد أن تُرجم لابن إسحاق وبين مكانته العلمية؛ تُرجم لراويته، وأقصد زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي، وبيّنت مكانته العلمية، ثم تُرجم لابن هشام بأسلوب علمي يسير وفق أصول الصنعة الحديثية.

وهنا نقطة نجدها عند أغلب الباحثين والمحققين، وهي الترجمة المسهبة الطويلة لعلم من الأعلام، وهذه من الأخطاء المنهجية في البحث، والأصل أن يكون المنهج في هذه القضية أن يترجم للأعلام وفق تخصصاتهم، فلا يتناول اللغوي كما الفيلسوف كما المحدّث، ولا تكون الترجمة سردًا غيريًا لسيرة العالم الذي كُتب عنه، وهو المنهج المتبع في الأبحاث الرصينة.

وقد بين المحققان المنهج المتّبع في التحقيق، ولم يتعرّضا للحديث عن الطبعات السابقة؛ إذ إن حالها معروف عند المشتغلين بأحوال الطبعات وعند الكتبيين وعند الباحثين، والحقيقة أن عمل هذه الطّبعة في الكتاب قد صدَّق مقدمتها، فلم تتشبَّع المقدمة بما ليس في الكتاب، فكان من عملها الضبط

المتقن للنص، وشرح الألفاظ وعزوها إلى مصادرها اللغوية والأدبية بما يغني عن الشروح، فقد وضِّحت جميع العبارات المبهمة، وخرِّجت جميع الأحاديث والآثار المذكورة في السيرة، تخريجا علميا مميزا، بين **منهج المحدثين ومنهج المؤرخين**، فقد تنبه المحققان لهذه القضية ونبها عليها حيث قالا: "حرصنا في هذا التحقيق لكتاب السيرة أن نخرِّج الأحاديث والآثار المذكورة في هذه السيرة من كتب السنة الأخرى، سواء كانت هذه الأحاديث قولية أم فعلية، كما حرصنا على تمييز صحيحها من ضعيفها، وما كان منها مرفوعا إلى النبي ﷺ صراحة أو حكما؛ دققنا النظر فيه، وقد التزمنا في ذلك منهج المحدثين، أما ما كان من أخبار السيرة الأخرى مما سبيله السرد التاريخي؛ فقد حرصنا على تخريج هذه الأخبار والإشارة إلى مصادرها من كتب الحديث والتاريخ، دون التزام منهج المحدثين في ذلك، واكتفينا بوصف السند بقولنا: مرسل أو معضل أو منقطع" [المقدمة، ص٣٠].

وقد نبه المحققان على كثير من العلل والأوهام التي وقع فيها ابن إسحاق في الروايات التي من طريقه، بل إنهما تعرضا للأوهام التي وقع فيها ابن إسحاق ولم ينبه عليها كثير من الشراح للسيرة كما ذكرا في المقدمة، ومثال ذلك قصة هجرة أبي موسى الأشعري من مكة إلى الحبشة [انظر ٣٨٤/١]، **ولم تذكر طبعة إقليد المعرفة شيئا عن هذه القصة**، ثم تحدثت طبعة الفاروق عن حادثة الإفك وعلقت عليها [انظر ٣٩٤/٣]، ولم تعلق طبعة إقليد المعرفة شيئا على هذا الخبر [انظر طبعة إقليد المعرفة، ٣٨٥/٣]، وغير هذه الأخبار التي وهم فيها ابن إسحاق وكان الأولى أن يعلق عليها.

كما حرصت طبعة الفروق على مناقشة ابن إسحاق في تاريخ الغزوات والسرايا وعدد المقاتلين فيها، **وهذا لم تفعله طبعة "إقليد المعرفة"**، واهتمت بتحرير المواقع الجغرافية، وتحديد أماكنها الحالية مستعينة بأهم المصادر في هذا الشأن.

والحقيقة أن عمل المحققين في طبعة الفاروق عمل جبّار، يُخجِل كثيرا من أعمال المؤسّسات، إذ مثل هذا الجهد المؤسسي لا يقوم به إلا من اعتكف ردحًا طويلًا من الزمن في محراب التراث، فقرأ في حديثه ولغته وأصوله وأدبه وتفسيره.

أما النسخ التي اعتمدتها طبعة الفاروق فهي:

١-نسخة السلطانة ترهان/طرهان – المكتبة السليمانية بتركيا، وقد تقدم الحديث عنها، وقد رمز لها بـ (ت).

٢-نسخة بني جامع – المكتبة السليمانية بتركيا تحت رقم (٨٥٦)، وهي نسخة كاملة، واسم الناسخ عمر بن أبي بكر بن يوسف بن يحي، وفرغ من نسخها في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ٦٠٠ للهجرة، ورمز لها بـ (ي).

٣-نسخة آيا صوفيا – المكتبة السليمانية، وقد سبق الحديث عنها، ورمز لها بـ (ص) أيضا.

٤-النسخة الغربية، وهي نسخة مصورة من مكتبة المدينة المنورة، وعليها خاتم مكتبة الأوسكوريال، وهي نسخة كاملة، والظاهر أنها نسخت في القرن السادس الهجري، فقد أثبت صاحبها إسناده بها عن نجبة بن يحي بن خلف بن نجبة الرعيني، وهذا إمام مقرئ توفي سنة ٥٩١ه، ورمز لها بـ (غ)، وهذه النسخة لم تكن ضمن النسخ الثمانين التي وقفت عليها اللجنة.

٥-نسخة المكتبة المركزية في وزارة الأوقاف المصرية، رقم (١٨٢١)، وهي نسخة ناقصة، تبدأ من أول السيرة وتنتهي بغزوة بني سُليم بعد بدر، الناسخ وتاريخ النسخ مجهولان، ورمز لها بـ (ق١).

٦-نسخة المكتبة المركزية بوزارة الأوقاف المصرية، رقم (١٩٣٦)، وهي منقولة عن نسخة منقولة عن نسخة بخط الوزير أبي القاسم الحسين بن علي الكاتب ابن المغربي، المكتوبة سنة ٣٩٧ه، وهي نسخة ناقصة، وهذا الجزء الثالث من النسخة، ويبدأ من آخر الخندق وينتهي بآخر الكتاب، واسم الناسخ الحسين ابن قاضي أذرعات الشافعي، فرغ من نسخها سنة ٨١٣ه، ورمز لها بـ (ق٢).

٧-نسخة المكتبة الوطنية بباريس برقم (٦٤٩٦)، وهي نسخة ناقصة، وهذا الجزء الأخير منها، ويبدأ من: "ما قيل من الشعر في الخندق" إلى آخر الكتاب، وهو ربع الكتاب الأخير، واسم الناسخ سليمان بن عمر بن كيكلدي، فرغ من نسخها سنة ٨٢٢ه، ذكر مالكها وهو علي بن محمد الفقّاعي (ت٩١٧ه) -وهو شيخ حنفي من أهل اللغة والنحو-؛ أنه قرأها مرات عديدة، وفي آخرها حاشية نصها: "بلغ مقابلة وضبطا وتحريرا على نسخ محررة معتمدة مقروءة"، وهي نسخة متقنة يكثر على حواشيها تقييد الألفاظ، ونقل شروحها عن غير واحد من أهل العلم، كابن الأثير والنووي وغيرهما، وقد رمز لها بـ (ط).

٨-نسخة الجامع الأزهر، رواق الشوام، رقم (٦٨)، وهي نسخة ناقصة، إلا أنها مضبوطة ومتقنة، وناسخها

محمد بن أحمد بن أحمد المقدسي الشافعي المقرئ، وفرغ منها سنة ٨٥٢ه، والناسخ من أهل العلم، ورمز لها بـ (ز).

٩-نسخة مكتبة مراد ملا بتركيا رقم (١٤٣٣ و١٤٣٤)، وهي نسخة تامة في مجلدين، وهي منسوخة سنة ٨١٥ه، وناسخها محمد بن محمد بن عبد المنعم الأنصاري البعلبكي، ورمز لها بـ (م).

١٠-نسخة مكتبة كوبريلي بتركيا، من مجموعة فاضل أحمد باشا، وهي نسخة ناقصة، وهذا الجزء الثاني منها، من غزوة أحد إلى آخر الكتاب، وهي منسوخة سنة ٧٠٥ه، وناسخها محمد بن محمد البلبيسي، ورمز لها بـ (ف).

١١-نسخة مكتبة شهيد علي – المكتبة السليمانية، رقم (١٨٩٢)، وهي نسخة كاملة، منسوخة سنة ٩٥٦ه، ولم يذكر الناسخ اسمه، ورمز لها بـ (ش١).

١٢- نسخة مكتبة شهيد علي (الثانية)، رقم (١٨٩١)، وهي نسخة ناقصة، ولم يذكر الناسخ اسمه،وهي نسخة متقنة ومقابلة ومصححة، ورمز لها بـ (ش٢).

والحقيقة أن النسخ التي اعتمدتها طبعة الفاروق هي نسخ نفيسة، وغالب نُسّاخها من أهل العلم والمعرفة باللغة والنحو؛ فكانت نسَخًا مضبوطة.

وقد ختمت الطبعة بثبت المصادر والمراجع، **ولم يعمل فهارس تفصيلية، إلا أن طبعة "إقليد المعرفة" قد عملت فهارس تفصيلية**، ولم تكتب ثبت المصادر والمراجع، وكما قلت فإن الفهارس عمل فني تشكر عليه الأعمال العلمية، **إلا أنها في درجة دون درجة إثبات المصادر والمراجع**؛ إذ إن ثبت المصادر هو الأهم في الأبحاث العلمية، وليس الأعمال الفنية.

***مقارنة عملية بين جهود الطبعتين:**

انتخبتُ في هذه المقارنة فصلًا عشوائيًا؛ للإبانة عن مدى الجهد الفعلي المبذول في كلتا الطبعتين، فكان الفصل الذي اخترته: "أمرُ حدوث الرُّجوم وإنذار الكهّان برسول الله ﷺ".

ومكان هذه الحادثة في طبعة "دار الفاروق": (٢٢٧/١)، أما في طبعة "إقليد المعرفة": (٤٠٤/١)، وأنا أقارن هنا شرح الألفاظ وتخريج الآثار، ولم أتطرق إلى ما كثر من إحالات للخلاف بين النسخ عند طبعة "إقليد المعرفة"، مما لا أراه بالغ الأهمية عند الباحثين.

العنوان: أمر حدوث الرّجوم وإنذار الكهان برسول الله ﷺ

دار الفاروق: "في (ش١) و(ق١): (إخبار الكهان من العرب والأحبار من يهود والرهبان من النصارى)".

إقليد المعرفة: "قوله: (أمر حدوث الرّجوم وإنذار الكهان برسول الله ﷺ) ليس في (أ)، وفي (ف): (أخبار الكهان من العرب والأحبار من يهود والرهبان من النصارى)، وفي (ط): (أمر حدوث الرجوم) والمثبت في (ص، س)، حاشية (ف)".

نَص: فلما سمعت الجن القرآن... (فَيَلبِسَ)

دار الفاروق: "في (ي): (فيلتبس) وكلاهما بمعنى، أي: يختلط".

إقليد المعرفة: "في (ف، أ): (فيلتبس) إلا أنه ضبط آخره بالضم والفتح في (ف). والمثبت من (ص، س، ط)، حاشية (ف) وعليه خ، حاشية (أ) وعليه خ. وضبط في (ط) بضم الياء وفتح اللام وكسر الباء مع التشديد. وفي حاشية (أ) بضم الياء وسكون اللام وفتح الباء. والضبط المثبت بفتح الياء وسكون اللام وكسر الباء من (ص، س)".

نص: قول الرّؤبة بن العجاج في أرجوزته: إذا تستبي الهيّامة المرهَّقا

دار الفاروق: "في "ديوان رؤبة" بعناية وليم البروسي (ص١٠٩)، "وشرحه" لعالم لغوي مجهول (١٣٧/١): الهيّابة، بالباء وهو تحريف، والصواب أنه بالميم، كما في "السيرة" هنا، وقال أبو ذر الخشني في "إملائه على السيرة" (ص٦٧): (الهيامة: الكثير الهيام). قلنا: وهو الذي يولع ويهيم بالنساء عشقا، وتستبي: تأسِر، يعني أن النساء يأسرن ويأخذن عقل السفيه فيولع بهن ويطيش عقله".

إقليد المعرفة: "في "ديوان الرؤبة": (الهيابة)، وقوله: تستبي: أي تذهب بعقله، والهيامة: الكثير الهيام،

وأصل الهيام: داء يصيب الإبل فتشتد حرارة أجوافها فلا تروى من الماء إذا شربت، ومنه قوله تعالى: {فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ} [الواقعة: ٥٥] "غريب السير" (١٥٠/١)".

وفي أرجوزة لرؤبة يصف حمير وحش: بصبصن واقشعررن من خوف الرّهق

دار الفاروق: "في "الديوان" (ص١٠٨)، و"شرحه" (٥٦/١): الزَّهق: بالزاي، وفسره بالهلاك. وبصبصن: أي حرّكن أذنابهن. واقشعررن: أي اضطربن وتحرّكن. وهو بهذا يصف حمرا وردت الماء لتشرب، لكنها لا تشعر بالأمان من صائد أو مفترس فتضطرب وتحرك أذنابها".

إقليد المعرفة: "بصبصن واقشعررن من خوف الرهق: معناه حركن أذنابهن. "غريب السير" (١٥٠/١)".

في الخبر الذي رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة

دار الفاروق: "يعقوب بن عتبة هذا ثقفي وهو من أتباع التابعين، فخبره هذا معضل، وخالفه الشعبي -فيما رواه ابن عبد البر في "الدرر في اختصار المغازي والسير" (ص٣٤-٣٥)- فذكر أن الذي أتوه هو عبد ياليل بن عمرو الثقفي، وخبر الشعبي هذا مرسل لم يسنده. قوله: معالم النجوم: أي النجوم المشهورة.

والأنواء: جمع نَوْء، وهي منازل النجوم في السماء. انظر كتاب "الأنواء في مواسم العرب" لابن قتيبة (ص٦-٧)".

إقليد المعرفة: الحقيقة أن اللجنة لم تعلق شيئا على الخبر، ولم تذكر إلا ما يتعلق بفروق النُّسخ، ولكنها علقت على عبارة: "وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا" فقالت: "يروى بالباء والنون، فمن رواه بالنون فمعناه: أدهاها رأيا، من النكر -بفتح النون- وهو الدهاء، ومن رواه بالباء فمعناه: أبعدها ابتداء لرأي لم يسبق إليه، من البكور في الشيء، وهو أوله. "غريب السير" (١٥٠/١)".

حديث: "ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به؟"

دار الفاروق: "حديث صحيح، ابن إسحاق لم يصرح بسماعه فيه من الزهري في رواية ابن هشام عن زياد البكائي، لكن أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٤٨٧) عن عمرو بن زرارة عن زياد، فصرح فيه بسماع ابن إسحاق من الزهري. وعمرو بن زرارة أحد الثقات الأثبات.

وقد توبع ابن إسحاق فيه، فقد أخرجه بنحوه أحمد (١٨٨٢) و(١٨٨٣)، ومسلم (٢٢٢٩)، والترمذي (٣٢٢٤)، والنسائي في "الكبرى" (١١٢٠٨) من طرق عن الزهري، به".

ثم علقت على الطريق التي تلي هذا الخبر: عن ابن إسحاق من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن علي بن الحسين بن علي، فقال: "هذا إسناد ضعيف، عمرو بن أبي جعفر لم نتبيَّنه، وابن أبي لبيبة -ويقال: ابن لبيبة- ضعيف، لكن الحديث صحيح كما تقدم".

إقليد المعرفة: "رواه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٣٧٩)، ومسلم في "صحيحه" (٢٢٢٩) من طريق الزهري مختصرا".

ثم قالت: "ومحمد بن عبد الرحمن بن لبيبة، ويقال: ابن أبي لبيبة، ويقال: لبيبة أمه، وأبو لبيبة أبوه. ترجمته في "تهذيب الكمال" (٦٢٠/٢٥)".

خبر العجل الذي صاح: يا ذريح، أمر نجيح، رجل يصيح، يقول: لا إله إلا الله

دار الفاروق: "خبر صحيح، وهذا إسناد ضعيف؛ لإبهام شيخ ابن إسحاق، ثم إن عبد الله بن كعب هذا من صغار التابعين لم يدرك زمن عمر، فهو مرسل، لكن روي هذا الخبر بنحوه من وجه آخر صحيح عن عمر. فقد أخرجه البخاري (٣٨٦٦) من طريق سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله قال: "ما سمعت عمر لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا، إلا كان كما يظن، بينما عمر جالس إذ مر به رجل..." وذكره.

أما طريق ابن إسحاق، فقد أخرجه أيضا ابن بشكوال في "غوامض الأسماء المبهمة" (٧٢٠/٢) من طريق عبد الملك بن هشام.

وقد روي أن هذا الرجل صاحب القصة مع عمر هو سواد بن قارب، من أوجه لا يصح منها شيء، انظر "مستدرك الحاكم" (٦٧٠٣) والتعليق عليه بتحقيق عادل مرشد ورفاقه".

تعليق اللجنة: لم تعلق اللجنة على هذا الخبر شيئا، واكتفت بتبيان الفوارق بين النسخ، وخرجت البيتين اللذين رواهما ابن إسحاق تعليقا على الخبر.

خاتمة:

بعد دراستي للطبعتين ونظري في جهود العملين خلصت إلى نتيجة، مفادها أن طبعة دار الفاروق بتحقيق الأستاذ عادل مرشد والدكتور همام سعيد، هي -بحقّ- طبعة في غاية الجودة والإتقان، ويظهر من عمَلها أنّه قد بُذل فيها جهد مضاعف، حتى أن طبعتها فاقت طبعة الشيخ العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد من ناحية تخريج الآثار والأخبار، وحتى في الجانب اللغوي فقد أغنت عن كثرة الرجوع إلى الشروح ببسطها المعاني والألفاظ الغامضة، وإبانتها عن معاني الأمثال والأشعار المتداوَلة.

ولا أطعن -لا قدّر الله- في جهد الدكتور علي العمران ولجنته، فهم أهل صنعة، لكنّ الدراسة النقديّة تُرفَع فيها التكلّفات والاعتبارات.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

- سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
- سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، ت: عادل مرشد و د. همام سعيد، دار الفاروق، عمّان، ط٢، ١٤٤٥/٢٠٢٤.
- سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، ت: حسين بن عكاشة، شركة إقليد المعرفة، الرياض، ط١، ١٤٤٦/٢٠٢٤.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام الجمحي، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٩٧٤.
- برنامج طبقات فحول الشعراء، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٠.

قسم

المقالات

مكتبة الأوقاف العامة ببغداد

عبد القادر صبحي الحنفي
(باحث مهتم بشؤون الكتب والمكتبات، من العراق)

[بناية مكتبة الأوقاف الأولى، التي بنيت سنة ١٩٣١م]

مكتبة الأوقاف ببغداد هي مِن أنفس المكتبات وأعرقها في العراق، بل في العالم الإسلامي أجمع، لِمَا تحويه من خزائن كتب (مطبوعة ومخطوطة) نفيسة ونادرة وفريدة.

- **تأسيس المكتبة:**

إن فكرة إنشاء المكتبة الأوقاف هي عبارة عن جمع الكتب (المطبوعة والمخطوطة) من جوامع بغداد ومساجدها ومدارسها، تعود هذه الفكرة إلى سنة ١٩٢٢م عندما كان المرحوم عبد اللطيف المنديل وزيرًا للأوقاف حينها وأيّده في فكرته:

[بناية مكتبة الأوقاف في باب المعظم، التي بنيت سنة ١٩٦٦م]

عبد اللطيف ثنيان مدير أوقاف بغداد آنذاك، فقرر الوزير عبد اللطيف المنديل أن تكون بناية المكتبة خلف جامع الخاصكي ببغداد الذي بني عام ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م، إلا أن مدير أوقاف بغداد لم يتفق معه على مكان المكتبة، لعسر الوصول إليه، فاقترح عليه أن تكون في مسجد الملا محمد في باب الأغا، إذ كان في هذا المسجد جزء متهدم لا فائدة فيه، فاجتمع مجلس الأوقاف برئاسة السيد صالح الملي وقرّر صرف ٧٠٠٠٠ روبية، لبناء المكتبة وتجديد المسجد، وقد تم بناء بناية كبيرة ذات طابقين، الطابق الأسفل للمسجد، والأعلى للمكتبة، غير أن هذا الأمر لم يتم، إذ تم تحويله إلى جمعية الإسلامية الهندية، وعندما تولّى السيد محمد أمين العباسي وزارة الأوقاف جدّد الحديث عن إنشاء مكتبة الأوقاف، فاقترح أن يكون موقعها في المدرسة المستنصرية المباركة (لكن المدرسة كانت موضع خلاف بين وزارة الأوقاف ودائرة الآثار) فذهبت هذه الفكرة أدراج الرياح، وعندما تولى الشيخ أحمد الداوود النقشبندي وزارة الأوقاف سنة ١٩٢٨م، قرّر حسم هذه القضية مهما كلف الأمر، وبالفعل أعيد اختيار بناية باب الأغا مكانًا للمكتبة، وشكّل لجنة لجمع الكتب المخطوطات من المساجد والتكايا والمدارس، وعندما وصل الأمر إلى مكتبة جامع الإمام أبي حنيفة النعمان -رضي الله عنه- حدثت ضجة في منطقة الأعظمية، لكن التاريخ سجّل صحائف الفخر للشيخ الداوود الذي تعامل مع هذه الضجة بعقلية حكيمة.

- **افتتاح المكتبة:**

افتتحت المكتبة مساء يوم الجمعة، الموافق الحادي عشر من صفر ١٣٢٧هـ/ ٢٧-٧-١٩٢٨م، في الساعة خامسة عصرًا، حيث جرى حفل الافتتاح، إذ أخذت البناية زينتها وأعدت منصة لملك فيصل الأول -رحمه الله تعالى- وقد حضر هذا الحفل الكثير من الوزراء والأعيان والنواب والعلماء والأدباء والشعراء.

كانت باب المكتبة مقفلة بقفل من الذهب، وأيضا مفتاح القفل كان من الذهب، و(صممت بأيدي بغدادية) وكتبت عبارة على إحدى جهات القفل: (يفتح فيصل الأول ملك العراق) وعلى الجهة الثانية (مكتبة الأوقاف العامة سنة ١٣٢٧هـ).

وبعد افتتاح المكتبة تقدّم وزير الأوقاف الشيخ أحمد الداوود وافتتح الحفل بكلمة موجزة ذكر خلالها الصعاب التي واجهته وما لاقاه من مشاكل في سبيل إنشاء المكتبة، وبعدها ألقى الشيخ محمد رشيد أفندي النقشبندي (مدرس جامع الحيدر خانة) أبياتًا بهذه المناسبة، ثم بعد ذلك ألقى

الشاعر الكبير المرحوم معروف الرصافي قصيدة وأثنى على الوزير فيها ومطلعها:

لقد جمع الشيخ هذه الكتبْ

فأنقذها من أكفّ العطبْ

ورتّبها فهي معروضةٌ

لِمَن يتناولها من كثبْ

ثم أعقبه الشاعر عبد الرحمن البنا المتوفى سنة ١٩٥٠م، بقصيدة، وبعدهما ألقى المؤرخ الكبير عباس العزاوي كلمةً عن فوائد المكتبات وتاريخ إنشاء مكتبة الأوقاف، وبعده اختتم الحفل الأستاذ عبد اللطيف ثنيان، بكلمة عن أهمية هذه المكتبة وتاريخ إنشائها.

وبعده تناول الحاضرون المرطبات (الدوندرمة المفروشة بالبسكويت)، ثم أثنى الملك على الشيخ الوزير وكتب هذه الكلمة في سجل المكتبة:

(تربة العراق تربة جيدة ينمو فيها كل نبات طيب، وإنني آمل أن هذه البذرة الجيدة التي بذرت حديثا ستثمر بأثمار يانعة ترجع إلى هذا القطر بمجده القديم).

- **الأبنية التي شغلتها مكتبة الأوقاف العامة:**

١- مسجد ملا محمد الجبوري: ويقع بمحلة باب الأغا في شارع الرشيد، وقد بنت وزارة الأوقاف بناية فوق المسجد لتكون مكتبة للأوقاف.

٢- بناية باب المعظم: تم بناء هذه البناية عام ١٩٣١م، حيث كانت من أجمل أبنية الدولة، أقيمت على طراز إسلامي رفيع، تجلت فيه روعة الفن المعماري ودقة التصميم، إذ تم افتتاحها ٩/كانون الثاني/١٩٣٢م، وكان يومًا مشهودًا إذ كان الافتتاح برعاية الفريق جعفر باشا العسكري -رحمه الله تعالى-[١]. وظلت هكذا حتى عام ١٩٥٦م، وقد زار المكتبة الكثير من رجال العلم والباحثين من العرب والمستشرقين.

٣- استقلت المكتبة في بناية خاصة بشارع الزهاوي لتضرُّرها من المكتبة الوطنية، وهدمت هذه البناية عام ١٩٦٠م.

٤- وانتقلت المكتبة إلى دار (آل الطبقجلي) منطقة الكسرة، حتى عام ١٩٦١م.

(١) تنبيه: كانت هذه البناية مشتركة بين مكتبة الأوقاف العامة والمكتبة الوطنية (دار الكتب والوثائق حاليًا)، لعدم وجود بناية خاصة بالمكتبة الوطنية، حيث تم افتتاح البناية بالاشتراك.

٥- بناية مكتبة الأوقاف الأخيرة: بنيت عام ١٩٦٦م، في باب المعظم، حيث شيّدت على مساحة ٢٢٥٠ مترًا، بطابقين.

- **المساجد والخزائن التي نقلت كتبها إلى مكتبة الأوقاف العامة:**

ضمت مكتبة الأوقاف العامة الكثير من خزائن الكتب النفيسة والنادرة، من ضمنها:

١- خزانة محمد عاصم الحلبي: الذي قتل غدرًا في منزله عام ١٩٦٢م، أهديت خزانته إلى المكتبة، والبالغ عدد كتبها ٢٩٦ كتابًا ومجلة.

٢- خزانة الشيخ محمد سعيد الطبقجَلي (المتوفى سنة ١٣٦٥هـ) وتضم هذه الخزانة ٧٧ مخطوطًا، ومن ضمنها مخطوطات نادرة.

٣- خزانة المدرسة السليمانية: التي بناها سليمان باشا والي بغداد عام ١٢١٧هـ، حيث درس فيها مفتي بغداد محمد فيضي الزهاوي، ثم ابنه الشيخ المفتي محمد سعيد الزهاوي، وبعد ذلك ابنه شيخ الأحناف ومفتيهم بلا خلاف الإمام العلامة المجاهد أمجد الزهاوي، حيث تضم هذه الخزانة طائفة كبيرة من المخطوطات النادرة والمطبوعات النفيسة.

٤- الخزانة النعمانية في جامع مرجان: للشيخ نعمان خير الدين الآلوسي: الذي بني سنة ٧٧٤هـ، وتعتبر هذه الخزانة أغنى الخزائن العربية في العراق، بنفائس المخطوطات وفرائدها ونوادر المطبوعات، إذ بلغ عدد الكتب والمطبوعات في هذه الخزانة ١٤٠٠ كتاب مخطوط ومطبوع.

٥- خزانة جامع الكهيا: يقع هذا الجامع في منطقة الميدان بناه الحاج كامل بن مفتي بغداد ووالليها الشيخ محمد أمين الزند، حيث جمع المفتي الكثير من الكتب وأقام عنده خزانة نفيسة للكتب، وبعدها أقام ابنه غرفة خاصة للمطالعين في الجامع، إلا أن هذه الخزانة تفرقت وبقي القليل منها، آل إلى مكتبة الأوقاف العامة وفيها الكثير من المخطوطات العربية والتركية والفارسية.

٦- خزانة مسجد سيدنا الجنيد البغدادي: بني هذا المسجد في زمن الخليفة المأمون بالعهد العباسي، إذ كانت تحتوي على مخطوطات نفيسة لم يسلم منها سوى نسخة واحدة من المصحف، وهو مخطوط نفيس جدا ونادر، لأنه بخط الخطاط الحافظ محمد أمين الرشدي، تم نسخها سنة ١٢٢٦هـ.

٧- خزانة مسجد الرواسي: كان يقع هذا المسجد قرب محلة باب الشيخ إمام الطريقة الرفاعية في زمانه أبي الهدى الصيادي الرفاعي، إذ كان هذا المسجد يحوي على خزانة كتب ومخطوطات قيمة فيها الكثير من كتب الصوفية

وأخبارهم، آلت إلى مكتبة الأوقاف العامة.

٨- خزانة جامع المصرف: يقع هذا الجامع بمحاذاة شارع الجمهورية، على يمين الذاهب إلى باب المعظم، بناه السيد (أحمد المصرف) أحد مأموري الدولة العثمانية أيام ولاية داوود باشا، وألحق به مدرسة تدرس فيها العلوم الشرعية، وكانت في هذه المدرسة خزانة كتب قيمة بقي القليل منها، آلت فيما بعد إلى مكتبة الأوقاف العامة، إذ بلغ عدد المخطوطات التي آلت إلى مكتبة ٤٢ مخطوطًا.

٩- خزانة سيد علي حيدر الباجَجي المتوفى سنة (١٩٥٢م): وهو من بيوتات بغداد العريقة التي، امتازت بالعلم والجاه والأدب، وكان رحمه الله تعالى مولعًا بالكتب النفيسة والنادرة، أهديت خزانته إلى مكتبة الأوقاف بعد وفاته، حيث بلغ عدد كتبها ١٦٥٥ كتابًا، منها ٢٠ مخطوطًا.

١٠- خزانة سيد عبد الحليم الحاقاني المتوفى سنة (١٩٤٣م): كان رحمه الله تعالى من علماء الفلك والهيئة، تولى القضاء في العهد العثماني، أهديت خزانته إلى مكتبة الأوقاف بتاريخ: ١٩٥٦/٥/٢٣م، إذ جُعل جناح خاص باسمه في المكتبة، يضم ١٥٢٣ كتابًا، منها ١٥٩ مخطوطًا.

١١- خزانة حسن الأنكرلي المتوفى سنة (١٣٤٣هـ): أهديت خزانته البالغ عدد كتبها ١٥٤ مخطوطًا إلى مكتبة الأوقاف العامة بتاريخ: ١٩٦٦/٦/٢٠م، وجُعل جناح خاص باسمه.

١٢- خزانة جامع الحيدر خانة: كانت في هذا الجامع خزانة عظيمة وكتب نفيسة آلت كلها إلى مكتبة الأوقاف إلا بعض منها قد تسرب إلى خزائن أخرى! وكانت في هذا الجامع أول مكتبة عامة تنشأ في بغداد في القرن الرابع عشر الهجري باسم (دار الكتب العمومية) والتي أنشأت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٣٠١هـ، إذ كانت تضم (٥٢٠) كتابًا في بداية تأسيسها.

١٣- خزانة جامع الإحسائي (تكية الخالدية): يقع هذا الجامع في شارع المستنصر بجانب الرصافة (سمي بجامع الإحسائي نسبة إلى الشيخ الفقيه محمد بن أحمد الإحسائي الحنفي المتوفى سنة ١٠٨٣هـ، وفيه قبره، وسميت بتكية الخالدية لأن مولانا الشيخ خالد النقشبندي عمّره وجدّد بناءه) وتضم خزانة هذا الجامع نوادر المخطوطات ونوادر المطبوعات باللغات العربية والفارسية والتركية.

١٤- خزانة المرحوم منير القاضي المتوفى سنة (١٩٦٨م): وهو أحد أركان النهضة الأدبية والعلمية في العراق، وبعد وفاته أُوقفت مكتبته وداره على طلاب العلم (حسب وصيته) فتسلّمتها رئاسة

الأوقاف وجعلتها مكتبة عامة تحمل اسمه.

١٥- خزانة مسجد نائلة خاتون: التي تسمى أيضا بمدرسة المرادية، والتي منها تخرج الشاعر معروف الرصافي، كانت تضمّ خزانة عامرة بنفائس المخطوطات.

١٦- خزانة جامع القبلانية: يقع هذا الجامع في سوق الهرج بالقرب من المدرسة المستنصرية، يقال إن أول مَن بنى هذا الجامع هو والي بغداد قبلان مصطفى عام ١٠٨٧هـ، كانت لها خزانة كتب قيمة، لكنها تفرقت بالأيدي، إذ بلغ عدد المخطوطات التي وصلت إلى مكتبة الأوقاف ٤٢ مخطوطًا.

١٧- خزانة جامع الآصفية: وهو من ملحقات المدرسة المستنصرية، آلت إلى مكتبة الأوقاف.

١٨- خزانة جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان -رضي الله عنه-: بنى شرف الملك الخوارزمي سنة ٤٥٩هـ، قبة ومشهدًا على قبره، وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية. وكانت في هذا الجامع المبارك خزانة كتب عظيمة ذكرها العلماء، منهم: ابن الجوزي البغدادي -رحمه الله تعالى-، إلا أنه امتدت إليها أيدي العبث والخراب على مر العصور، وخصوصًا على يد غزاة التتار والفرس، وآل ما بقي منها إلى مكتبة الأوقاف.

- **نفائس المكتبة:**

تضم مكتبة الأوقاف العامة ببغداد نوادر الكتب المطبوعة والمخطوطة في شتى العلوم والفنون، فمنها ما النفيس والنادر والفريد:

أولًا: نفائسها ونوادرها المطبوعة: تضم مكتبة الأوقاف كتبا مطبوعة من أقطار شتى منها مطبوعات الهند وباريس وألمانيا وأمريكا وروسيا فضلًا عن طبعات حجرية، وأقدم ما يوجد في المكتبة من المطبوع هو كتاب (حديقة الأفراح لإزالة الأتراح) للسيد أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الشرواني اليماني المتوفى سنة ١٢٥٦هـ، وهذا الكتاب طبع سنة ١٢٢٩هـ، في مدينة كلكتا الهندية، و هو من موقوفات جامع الكهيا ببغداد.

ثانيًا: نفائسها ونوادرها المخطوطة: تضم مكتبة الأوقاف العامة الكثير من النوادر والفرائد والنفائس المخطوطة، وهذه قائمة صغيرة هي قطرة من بحر ما تحويه رفوف هذه المكتبة:

١- القرآن الكريم: نسخة نفيسة جدا (كتبها الخطاط المشهور سفيان الوهبي سنة ١٢١٥هـ).

٢- تأويل مختلف الحديث: للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ، فهذه المخطوطة أنفس مخطوطات مكتبة الأوقاف، وهي

أقدم نسخة للكتاب في خزائن الدنيا كلها (نسخت في مدينة واسط في شهر شعبان من سنة ٤٧٢هـ) ورقمها في المكتبة (٦٦٦٧).

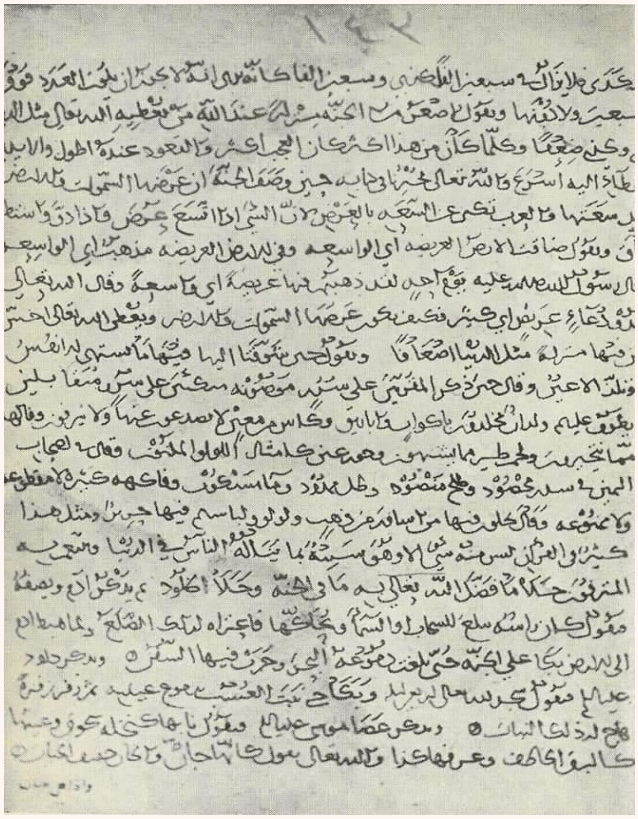

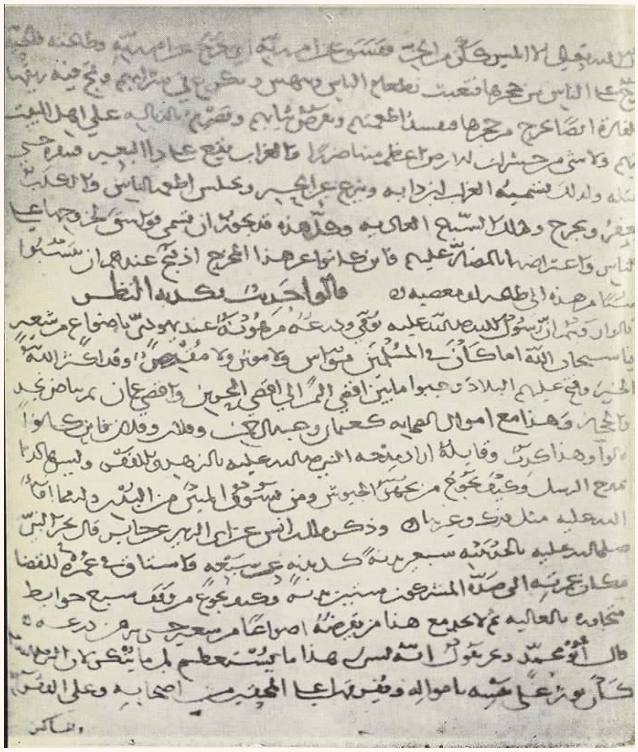

٣- سر الصناعة: لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢هـ، (نسخت هذه المخطوطة قبل الستمئة وهي من خزانة العلامة ابن هشام، وعليها خطه، وأيضا في الصفحة الثانية تمليك باسم: عبد الله بن عبد الطاهر سنة ٦٦٣هـ)، ورقمه في المكتبة (٦٠٢١).

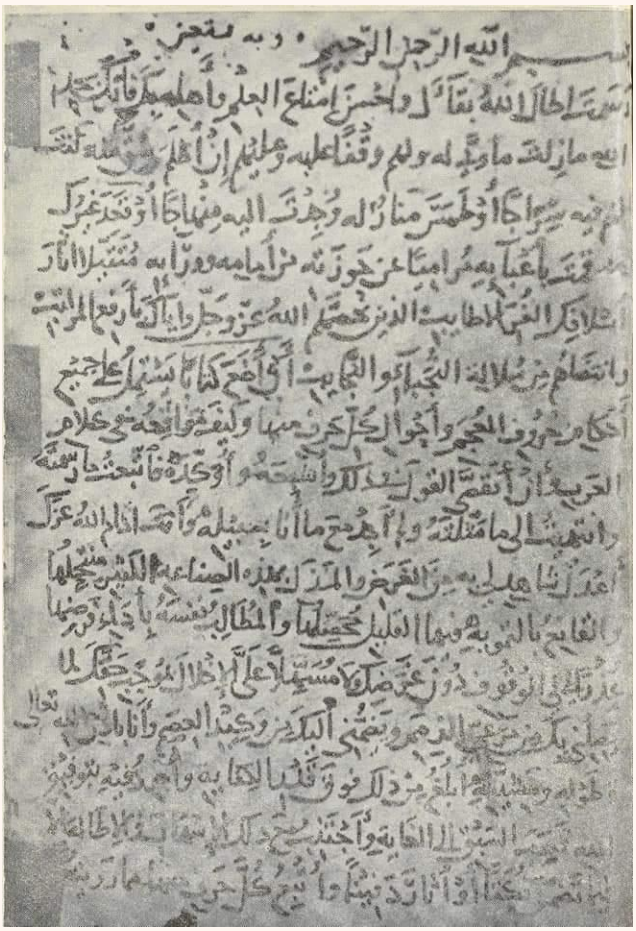

٤- مجموعة الشيخ صالح السعدي الموصلي: الذي ذُبح غدرًا أيام والي الموصل محمد أمين باشا سنة ١٢٤٤هـ، على يد الدولة آنذاك، (هذه المجموعة تضمنت لوحات خطية رائعة مزخرفة بماء الذهب وفيها مختارات شعر شعراء قدامى ومحدثين

ومعاصرين للمؤلف، وفي نهاية المجموعة دائرة قطرها ٣ سم كتب فيها سورة (النبأ) بخط دقيق جدا تكاد لا ترى بالعين المجردة). ورقمه في المكتبة (٥٧٣٤).

٥- ديوان الأدب: لإسحاق بن إبراهيم الفارابي الجوهري المتوفى سنة ٣٥٠هـ، (نسخة قديمة تعود إلى القرن السادس الهجري) ورقمها في المكتبة (١١٠٦).

٦- اليواقيت في المواقيت: لإبراهيم بن علي الأصحبي المعروف بـ(ابن البرذع) المتوفى سنة ٦٦٧هـ، (نسخت هذه النسخة سنة ٦٨٠هـ في مدينة تعز-اليمن) ورقمه في المكتبة (٦٢٧٦).

٧- تركيب الأفلاك: لأحمد بن محمد الفرغاني (نسخت سنة ٧٧٣هـ وفيها الكثير من الأشكال الهندسية) ورقمه في المكتبة (٥٤٩٧).

٨- كتاب في بيان سبب المد والجزر، لعبد القادر بن أحمد البصري المتوفى سنة ١١٠٨هـ، (المخطوط بخط المؤلف -رحمه الله تعالى-) ورقمه في المكتبة (٢٦١-١٢١٩٦).

٩- حاشية على المقامات الحريرية: لعلاء الدين أبي القاسم علي بن محمد السمناني، (المخطوط بخط المؤلف) رقمه في المكتبة (٢٩٩).

١٠- شرح كليات القانون للرئيس ابن سينا، لقطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي المتوفى سنة ٧٤٠هـ (نسخة نفيسة جدًا منقولة من نسخة المؤلف نسخت في تبريز سنة ٧٢٤هـ) ورقمه في المكتبة (٩٦٤).

١٢- المُحاضرات والمُحاورات، لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، (نسخت هذه النسخة سنة ٩٢٩هـ بخط محمد بن محمد بن أحمد السنهوري الشافعي الأزهري) رقمه في المكتبة (٢٩٧).

١٣- نهاية الغاية في بعض أسماء رجال القراءات أُلي الرواية: لعبد الرزاق الحنفي المقرئ الطرابلسي، المتوفى سنة ٨٦٠هـ، (المخطوط بخط المؤلف كتب سنة ٨٥٧هـ في القاهرة).

كتاب نهاية الغاية
في أسماء رجال القراءات أُولي
الرواية

١٤- المرصع: للمبارك بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ(نسخة نفيسة جدًا عليها توقيع أخي المؤلف عز الدين بن الأثير، نسخت هذه النسخة سنة ٦٠٥هـ وهذه النسخة مقروءة على المؤلف ومقابلة على نسخته) رقمه في المكتبة (٥٦٦٠).

١٥- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: للإمام الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ(نسخت هذه النسخة في العشر الأواسط في جمادى الآخرة سنة ٨٣٠هـ) رقمه في المكتبة (٦٦٧٠٦).

١٦- المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النبل: لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ(نسخة متقنة عليها سماعات كثيرة مهمة وهي مقابلة على نسخة المؤلف نسخت سنة ٦٩٧هـ بدمشق) رقمه في المكتبة (٩٦٣).

١٧- مفتاح تلخيص المفتاح: لمحمد بن المظفر الخلفاني الخطيبي المتوفى سنة ٧٤٥هـ(نسخة فريدة نسخة سنة ٧٤٣هـ) رقمه في المكتبة (١٦٧٦).

١٨- المنتقى من المعجم المختصر: لابن قاضي شبهة المتوفى سنة ٨٥٢هـ، (نسخة نفيسة جدا بخط المؤلف) رقمها في المكتبة (٢٨٤١) ضمن مجموع.

١٩- المقرب: لأبي الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي المتوفى سنة ٦٦٣هـ(مجلد نفيس جدًا عليه تقاريظ الكثير من العلماء، نسخ سنة ٧٧١هـ) رقمه في المكتبة (١٤٢٩).

٢٠- زهر الأكمام في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بالتمام، لأبي حفص عمر بن إبراهيم الأنصاري، (نسخة نسخت سنة ٥٠٥هـ) رقمها في المكتبة (٤٧١٤).

٢١- عيون الفنون: لمؤلف مجهول (وقع الفراغ من نسخه وقت العصر يوم الاثنين، السابع من صفر سنة ٥٤٠هـ، وكتبه: أبو المحاسن حامد بن محمد بن علي بن حامد اليزدي) رقمه في المكتبة (٣٨٩٣).

٢٢- الجزء الأول من كتاب التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري الحنبلي، المتوفى سنة ٦١٦هـ(مخطوط قديم نفيس، تم نسخه على يد أحمد بن يوسف التفليسي، ثامن عشر من صفر سنة ٦٥٠هـ) رقمه في المكتبة (٤٠٦٢).

المصدر: كتاب مكتبة الأوقاف العامة، الدكتور عبدالله الجبوري، ط: بغداد، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

الاضطرار إلى العِلم في زمَن الجوائح!

د. ياسين نزال
(كاتب وباحث، من الأردن)

مِن المعلوم أنّ الأمم لا تتسيَّد إلّا بالعلمِ الذي يعود بالنفع على الفرد والمجتمع، فلذلك أكّد شرعُنا الإسلامي على أهمية تعلّم العلم النافع، واتقاء شرّ العلم الضار، لأنّ العلم النافع هو الذي يقود العامل به إلى التقوى وفعل الخيرات وصلاح دنياه وآخرته. ولا شكّ مِن أنّ أشرف العلوم في حياة الأمم -أفرادًا ومجتمعاتٍ- العلمُ النبويّ الشّريف، فبه يتمكن المرء من تحقيق الغاية الأسمى من وجوده -قبل مماته- وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له على مراده -تعالى- لا على مراد أهل الأهواء أو ما يسمى بأصحاب الأجندات الخفية الذين يُظهرون لك -في النهار- الودّ والحبّ وفي الليل ينسجون شِراكهم والناس بين نائم وقائم وتال للقرآن!

... ولـمّا كان شأن العلم النبوي ذا أهمية كبرى في حياة العبد -ليعمل ويسدّد ويقارب- رغّب الشرع في طلبه، بل أوجبه فيما تقام به الفرائض كالوضوء والصلاة والصوم، وكذلك فيما يصلح التوحيد والعقائد بشكل عمليٍّ.

ولكنَّ هذا الزمان بمشاكله وإشكالاته أظهرَ لنا مدى زُهدِ النّاس في طلب العلم الشرعي (الأساسي) وفي تعلّم ما تدعو إليه الحاجة للنجاة.

وهو ملحظ نستطيع رؤيَته بالنظر إلى أحوال المسلمين اليوم، وكذا بإمعان النظر في طبيعة سؤالاتهم لأهل الفتيا والاختصاص؛ فمثلًا طالبُ العلم صار اليوم يُنعتُ بأوصافٍ دنيئة تُشعركَ أنّ مجتمعه قدْ وضعه في أدنى الدرجات(!) كأنّ به ارتكب خطأً فظيعًا بالتحاقه بسير الأنبياء والمرسلين وسلوكه جادة العلم والتعليم، مع أنّ الجميع غير جاهل أنّ "العلمَ" هو السبيل الأوحد لنهوض الأمم وأنّ "الأخلاق" هو وَقود بَقائها! وأمّا عن طبيعة السؤالات المتكررة وأعدادها القادمة من الناس إلى المفتين فحدِّث عنها ولا حرج! فأكثرها لا يحتاج إلى كبير عناء لمعرفتها وحفظها ولا سيما إذا ما تعلق الأمر بأوجب الواجبات كالصلاة الواسعة الانتشار والصوم والأعمال التي تتكرر ليل نهار.

بينما انظر إلى الفارق الكبير لَمّا ضربت العالمَ جائحةٌ صحيّة، فانظر كيف اضّطُر الجميع -كبارًا وصغارًا عوامًا وخواصًا- لإنقاذ النفس- إلى بدل الجهود على مدار الثواني والساعات والأيام والليالي لتوعية أنفسهم وتوعية غيرهم وذلك بتعلّم سبل الوقاية من هذا الوباء وإيجاد العلاج، وهو أمر محمود مطلوب لا مرية فيه.

فالذي أقصده أن الناس لما أُلجئوا -اضطرارًا- إلى تعلّم شيء مَا مِن أمور الدّنيا لم يتهاونوا في ذلك البتة، بل بلغ الشأن بمعاتبة من لا يهتمّ، بل ومعاقبته بعقوبات ملزمة شديدة. بينما إذا تعلق الأمر بفرائض الدين وتطبيق شعائره وتحقيق متطلبات الإيمان والتوحيد ونشر الأخلاق الفاضلة وحراسة المجتمع المسلم فلا تعثر على ذاك النّفَس الشديد الحريص ولا ذاك الاجتهاد، ولا تلك الهمّة لا في التّعلم ولا في التعليم ولا الحرص لإنقاذ النّفس من خسران أبديٍّ إلا من قِلّة قليلة جدًّا جدًّا لا تكاد تُرى!

فلماذا يا ترى؟

ألئن تعلّم الصّلاة وأحكامها مثلا غير مهِمّة؟ أمْ أنّ تعلّم العقيدة الصافية والتوحيد ومتطلباته وتحقيق معنى "لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله" على أرض الواقع استحال غيرَ ضروري في نظرِ الفرد والمجتمع على حدّ السواء؟!

أم أنّ...أم أنّ...! والأسئلة كثيرة...

ولستُ أقصد هنا مقارنة أهمية المسألتين مسألة "التعلم للوقاية من جوائح الدنيا والاستعداد لها"، ومسألة "التعلم للوقاية من أهوال الآخرة والاستعداد لها"، ولستُ أيضا أقصد بيان أثر عدم الالتزام بمتطلبات الأمرين، إنّما أردتُ -في هذه

العجالة- توضيحَ أمرٍ غاية في الأهمية وهو أنّ النّاس بعوامهم وخواصهم، بفقيرهم وغنيهم، بعالمهم وجاهلهم،... بدون استثناء قد أثبتوا لأنفسهم ولغيرهم -بما أظهروه وقتَ الجائحة- أنّ لهم القدرة العقلية والمادية والأخلاقية الجميلة على احترام العلم النبويّ واحترام أهله وحراسة ثوابته والاعتزاز به وهي شهادة على النفس أيضًا.

ومن جهة أخرى أظهروا كذلك القدرة الفائقة على إمكانية تعلّم أحكامه وتعليمها لغيرهم في فترة وجيزة، بل وعلى إمكانية مداومة التنبيه -وقت الغفلة- مِن الجميع وإلى الجميع لإنقاذ النفس وإنقاذ الغير مِنَ الخسران الأبدي الذي لا يحتمل فرصًا ثانية، ولا يقبل شفاعة نسَب ولا حسَب!

ولكنْ... وللأسف! في زمن التطور الماديّ المحض والانبهار بالتقدم العلمي، وفي زمن الصّراعات الفردية والجماعية على السّرابِ أُخّرَ تعظيم الدين وشعائره، فأُخّر الاهتمام بتعلّمه، فتأخرت بذلك الاستجابة للأوامر والنواهي والتحلي بالأخلاق الفاضلة، وتأخرت كذلك أشياء وأشياء بعضها من صلب الدّين، فآل الحال إلى ما نحن عليه اليوم... والأمر ليس يفتقر مزيدَ تفصيل ولا تمثيلٍ... ولا مفرّج إلا الله!

ويبقى السّؤال الجوهري بعد ما كشفتْ لنا الجوائح الصّحيّة عن قدرات الأفراد والمجتمعات الفائقة على تعلم الشرع ونشره وإمكانية الإلزام بما أوجبه الله ورسوله: **هل سنُراجع -في الوقت المناسب- أعذارَنا التي كنا -ولا زلنا- نتعلق بها لتسويغ الجهل وشدة التقصير في كلّ ما هو مرتبط بالنجاة في الآخرة؟!**

نرجو ذلك من الله فالخير لا ينعدم في هذه الأمة...

فاللّهُمَّ اهدنا إلى سواء السبيل!

شاهد على إحدى معارك الأستاذ العقاد

أ.د. سعد عبد العزيز مصلوح
(عالم موسوعي من مصر
أستاذ اللسانيات في عدد من الجامعات)

أحسبه كان في عام ١٩٦٢م إنْ صدقتْني الذاكرة.. وبداية القصة أن الأستاذ العقاد -رحمه الله- في إحدى ندواته التي اعتاد أن يعقدها يوم الجمعة -ولم أكن من روادها- تحدّث عن كتاب أصدرَه الدكتور محمد كامل حسين -وهو أستاذ شهير في طب العظام، وعضو في مجمع اللغة العربية- بعنوان: "حدة المعرفة"، وضَمَّنَ كتابَه هذا مذهبًا فلسفيًا نسبه إلى نفسه. وذكر الأستاذ العقاد أن هذا المذهب ليس خالصًا للدكتور محمد كامل حسين، وأنّ صاحبه الأصيل هو فيلسوف بريطاني اسمه: صمويل ألكسندر.

ويبدو أن بعض رواد الندوة آثر أنْ ينقل القضيّة إلى الرأي العام، فبعث للأستاذ بسؤال في الموضوع، وظهر رأي العقاد في الكتاب منشورًا في يوميات صحيفة الأخبار.

غضب الدكتور حسين مما كان، ونشرت له "الأخبار" ردًّا على الأستاذ العقاد قاسيَ اللهجة، أذكر منه قوله -والصياغة لي معتمدًا على ما تحتفظ به الذاكرة-: إنّ العقاد مثقّف كبير ولكن تقديره لثقافته مبالَغ فيه جدًّا، وأنه لا يُعرَف له اختصاص؛ فهو يكتب في كل شيء، ويفتي في كل شيء؛ ومن هنا كثيرًا ما يجد الخطأ إلى ما يكتبه سبيلًا.

بَيد أن أخطر ما جاء في الردّ هو أنّ الدكتور حسين قرّر جازمًا أنه لا يعرف فيلسوفًا اسمه صمويل ألكسندر، وأنه قلّب دائرة المعارف البريطانية في آخر طبعاتها فلم يعثر على فيلسوف بهذا الاسم، فمن أين جاء العقاد بهذا الاسم؟ وبالمذهب الذي ينسبه إليه؟!!

ومن المتوقع بداهة أن يكون للعقاد رد كاسح نشرته الصحيفة أيضًا، وفي ردّه ذَكَّر الدكتور حسين بأنّه لا حقَّ له في الحديث عن الاختصاص؛ إذْ إنه طبيب عظام أو "مجبّراتي" ويتحدّث في الفلسفة، وهذا خرق لقاعدة التزام الاختصاص.

غير أن أخطر ما جاء في رد العقاد هو قوله: إنّ ثمة مقالًا ضافيًا عن صمويل ألكسندر وفلسفته بدائرة المعارف البريطانية، خلافًا لما زعمه الدكتور، وقد جاء فيه عن مذهبه في وحدة المعرفة ما ترجمته -كذا وكذا- وأنه لا تفسير لذلك إلا أن الدكتور حسين لا يعرف كيف يكون البحث في دائرة المعارف، أو أنه يكذب على قرائه.

والحقُّ أنّ الردّ كان حاسمًا وصادمًا في بابه، بل إنه –في ما أظن– أوقعَ الدكتور حسين في حرَج حريج، وهو كما ذكرتُ أستاذ طبّ مَرموق، وزميل للعقاد بالعضوية في المجمع اللغوي، وصاحب عمل إبداعيّ يحتلّ مكانه في تاريخ الرواية العربية، هو: "قرية ظالمة". لقد بدا الأمر للقرّاء لغزًا يعتاص على طالب الحلّ، لكن كان مِن حظّي أنْ أعرف تأويل ما لم يستطع القرّاء عليه صبرًا، وإليكم خالصة ما شَهِدْتُ وشاهَدْتُ.

كنتُ –يوم ظهور ردّ العقّاد– في ضيافة صديقي الأستاذ شوقي علي هيكل -رحمه الله- وهو شاعر وزميل دراسة بدار العلوم، وكان واحدًا من حواريي الأستاذ العقاد وتلاميذه المقرَّبين، وتذاكرنا الأمر، فإذا شوقي يعرض عليّ أن نذهب في التوّ إلى منز ل الأستاذ، وكانا شبه جارَين في ضاحية مصر الجديدة. وقال لي شوقي –وهو من أعرف الناس بعادات العقاد– إنّ من عادة الأستاذ إذا كان مشتبكًا في معركة فكرية أن يحضر إلى الشقّة المقابلة لسكنه الخاصّ؛ تلك التي يلقى فيها تلاميذه وإن كان اليوم غير جمعة؛ ليستطلع ردود الأفعال ويبسط القول في التفاصيل، أما أنا فأخذتني المَهابة وحملتني على التردّد، على حين فعلَت اللهفةُ فعلها لرؤية هذا الرجل العظيم والجلوس إليه، وكانت لها النصرة فانطلقنا.

استقبلنا الأستاذ عامر العقاد وجلسنا نحتسي الشاي، وإن هي إلا دقائق حتى دخل علينا الأستاذ بسمْته المهيب قائلًا في لهجة منتشية: السلام عليكم؛ ما رأيكم دام فضلكم؟ لقد

هشّمتُ عظام طبيب العظام!!

في الجلسة التي ضمّتنا -نحن الثلاثة- في حضرة الأستاذ، تحدّث في ما كان بينه وبين الدكتور حسين، وفي أمور أخرى، أذكر منها: حديثه عن حرب اليمن؛ تلك التي تورّط فيها الجيش المصري وكانت في شباب شبوبها، إذ تنبأ فيها الأستاذ -شهد الله- بخسائر عسكرية واقتصادية فادحة، وذكر أن الرابح الأول منها هو إسرائيل، وقد حصل. وأيًّا ما كان فقد واتت الجرأة شوقي هيكل فسأل الأستاذ عن سرّ السقطة التي حاقت بالدكتور حسين، فكشف لنا الأستاذ عن السرّ؛ قال: إنّ من تقاليد دائرة المعارف البريطانية ألا تشمل بالترجمة مَن كان حيًّا، وأن صمويل ألكسندر مات بعد صدور الطبعة الأخيرة، ومن ثَمَّ ظهرت ترجمته في ملحق من ملاحق الدائرة، سيجري ضمُّه إلى الطبعة التي لم تصدر بعد. وكان الملحق في حوزة العقاد، ولم يطّلع عليه الدكتور محمد كامل حسين.

فانظر -أيها القارئ رحمني الله وإيّاك- كيف سقط الرجل الكبير في شَرَك العقّاد، وما جاوزه الصدقُ ولا جاوز العقّاد. نعم فقد كان كلاهما صادقًا، ولكن اختلفت العاقِبة.

وهكذا كان!!

السُّموم في حُلّة الفنّ.. ولا فنّ!

(عن أبي قيس وتلميذه)

حسين عدوان

(ناقد وشاعر وإعلامي، من الأردن)

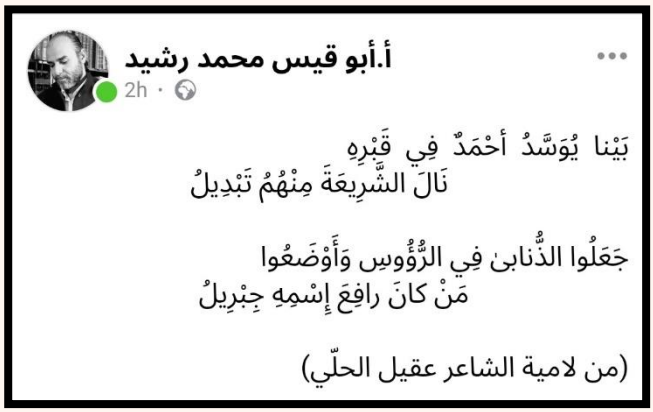

تفاجأتُ حقًّا حين ظهرَت لي في وقت واحد مجموعة من المنشورات التي تحملُ أبياتًا على البحر الكامل من قافية اللّام فيها حمولة لا تُحتمَل من المعاني الطائفية والقضايا البغيضة الّتي أتعبَنا بها رجال الدين والسّاسة.

ولم يأخذ مني الأمر كثيرًا حتى عرفتُ جذرَ المسألة فخبَت جذوة المفاجأة؛ إنه أبو قيس محمد رشيد (الطائي سابقًا) قد نشر أبياتًا "طائفية" لشاعر من "تلاميذه" فيها تناول للخلاف بين الصحابة ومظلوميةِ الزهراء، فاندفع عدد غير قليل من الشعراء و"أشباه الشعراء" و"غير الشعراء" ليردّوا لا على التلميذ وحده، بل على الأستاذ الذي وصف أبيات تلميذه بأنها من "**الطراز الأول**" في التعبير عن مذهبه.

أما أبو قيس فلم أتفاجأ لأنه فعل ذلك؛ ذلك لأنني توقفت عن الإيمان بعلميّته منذ زمن، وأدركت أنه ينطلق من الهوى والخُيلاء ولا يستطيع

توظيف معرفته الجيدة في قضايا الشعر والنقد ليؤسّس لأيّ شيء ذي وزن يتجاوز معه عتبة "وجبات التواصل الاجتماعي السريعة"؛ فكان جهده خلال عقود متمحورًا حول شروحات يضعها ويحذفها، ومقاطع متبعثرة في كل مكان لا يقوى على تبنّيها تمامًا، **لِعلمه بما تفتقده من تأسيس أكاديمي وبما تكتنز عليه من "عجلة" و"تزبُّب قبل الحصرمة" كما عبر أبو عليّ الفارسيّ.**

والأهم من ذلك كله أن الرجل لا يمتلك أي لياقة شعرية تجعل منه "أستاذًا" للشعراء؛ ذلك أن فكرة أستاذية الناقد على الشاعر خيالية، والمدارس التي نعرفها هي مدارس قام عليها شعراء نقاد لا نقاد فقط، **هذا إذا سلمنا أنه ناقد.**

وبعيدًا عن التوقيت البغيض لنشره تلك الأبيات التي تبعث الفُرقة في الأمة وتغذّي الصراعات، فقد استوقفتني الأبيات نفسها التي **يرى أن جزالتها تسوّغ نشرها وأنها لشاعر فحل مفلق** يقول للناس أن يردوا عليه إن استطاعوا! فلما قرأتُ الأبيات وجدتُ فيها من **ضعف البناء وترهل التركيب وسوء النظم** ما يخرج الكميت ودعبل الخزاعي وكبار شعراء الشيعة ليقولوا لتلميذهم: اسكت فقد أسأت، ولناقده: لا تعد إلى مثلها.

وقبل أن أعلق على تلك الأبيات، أقول:

إنني أنشر هذا المقال حتى لا تموت قضية أبي قيس **الفنّيّة؛** فالقضية "الطائفيّة" **لا تهمّني بأيّ شكل،** وهو إذ حذف أبيات تلميذه عن صفحته فقد حذفها بعد ضغط جمهوره عليه والتقريع الشديد الذي تعرّض له، لكنه لم يعتذر قطّ عن أي **هبوط فنيّ** في الأبيات؛ أي إنه يظنّ حقًّا أنها يتيمةُ دهرِها وسمطُ زمانِها، ولم يحذفها إلا ليخرج من زاوية ما فيها من طائفية بغيضة!

فلنعلّق على بعض "المصائب" في **ثلاثة أبيات** نشرها أبو قيس لتلميذه، **ولا تدل على ضعف الشاعر بقدر ما تدل على انحدار ذائقة الناقد وهوائيته:**

"بَينا" "يُوسّد" أحمدٌ في قبرِهِ

نال الشريعةَ منهمُ تبديلُ

فلننسَ أنّ الضمير في "منهم" يعود على أبي بكر وعمر، ونركز على الفعل "يوسّد". إنّ حسّان بن ثابت في مرثيّته العظيمة لجناب النبي صلى الله عليه وسلم، يقول:

لقد غيبوا حِلمًا وعِلمًا ورَحمةً

عشيّة علوه الثرى "لا يوسّدُ"

وصاحبنا يقول إنه "يوسّد"!

إن تعبير "لا يوسّد" هو التعبير العربي الصحيح عن الفجيعة بالمرثي وعِظم المصيبة به، وفي لفظ "التوسيد" من الراحة والهناءة ما لا يستقيم مع رثاء النبي عليه صلوات الله وسلامه، وبيت حسان يفصل المسألة ولا حاجة لمزيد شرح فيها.

طبعًا لا ننسى ضعف استخدام الظرف "بينا" هنا لما فيه من تباعد زمني بين حدث دفن النبي وحدث السقيفة، وقد كان أولى بالشاعر أن يستخدم حدثًا أقرب من الدفن كالتجهيز والتغسيل، أما أن يختار حدث الدفن نفسه فهذا لا يناسب ما ترمي إليه طائفته، وأي مطّلع على مسألة دفن النبي سيدرك ما أرمي إليه.

ولنتجاوز الضرورة "أحمدٌ" لأنها جائزة وحسنة، لكن انظروا في البيت الذي يليه:

جعلوا الذنابى في الرؤوس و"أوضعوا"

مَـن كان رافـعَ "إسـمه" جبـريـلُ

"إسمه"؟ لا أعرف عالمًا بالشعر نصَّ على غير ضعف هذه الضرورة الشعرية وقبحها، وأيّ ولَد صغير تعلّم همزات الوصل والقطع ستقطع هذه الضرورة حنجرته في "إسمه".

لنتجاوز ذلك ونركّز على الفعل "أوضعوا"؟ ما معناه؟ هل أوضع هي نفسها وضع؟ ما ضرورة الهمزة هنا وماذا تفيد؟

"أوضع" هنا خطأ لغوي فادح؛ فـ"وضع" هي ضد "رفع" وليس "أوضع"، ودونكم المعاجم.

هذا فضلًا عن المساس بمكانة الإمام علي الذي لا أعرف كيف استساغ الشاعر نسبة "الضعة" إليه -كرم الله وجهه-!

لا أتصور أن تلميذ أبي قيس **تعرّض في بيت واحد لأبي بكر وعليّ معًا!** فأبو بكر "ذنابى" وعلي "أوضعوا" من قدره، على حد تعبير الشاعر ذي الهمزة الزائدة!

في بيت آخر يقول تلميذ أبي قيس:

يبكي على خير النساء ومَن لها

نسـبٌ وفضلٌ ما دناه رسـولُ

الحشو واضح لأي متمرس في الشعر بين "نسب وفضل"، والكلمتان تكشفان عن معاناة في النظم تجعل الشاعر يكرر المتعاطفين في معانٍ متقاربة من دون وجود أي فائدة أو صورة أو معنى جديد.

والأهم في هذا البيت: "وما دناه رسول"! الشاعر لا يعاني، بل "يبيض" -مع احترامي-!

ما معنى "دناه" -هنا-؟ لماذا نُزع الخافض؟ نحن نقول "دنا الشيءَ"؟ ضرورة أيضًا؟ قتلتنا الضرورات يا رجل.

ولم نتحدث عن تنكير "رسول" بما فيها من العموم الذي يشمل حتى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فنسب فاطمة وفضلها لم يدن منه رسول بمن فيهم الرسول الأعظم! حتى الرسل الآخرون ينتمون إلى النسب نفسه وجلّهم من ذرية صالحة من إبراهيم؛ **فأي نسب هذا الذي حازته فاطمة وفقده أجدادها!** أشك في أن الشاعر يعرف معنى "النسب" في اللغة حتى يغامر في هذه الحماقة!

لا أريد أن أطيل أكثر من ذلك، لكن **أنا حزين حقًّا لأن كل هذه الطائفية والإساءات جاءت بحجة "العلو الفني"**، والله يعلم أن بين الأبيات والفن ما بيني وبين اللغة المالاوية.

كيف تُتقنُ قواعد الإملاء في الكتابة؟

محمد موسى كمارا

(باحث في اللغة العربية وآدابها، من غينيا)

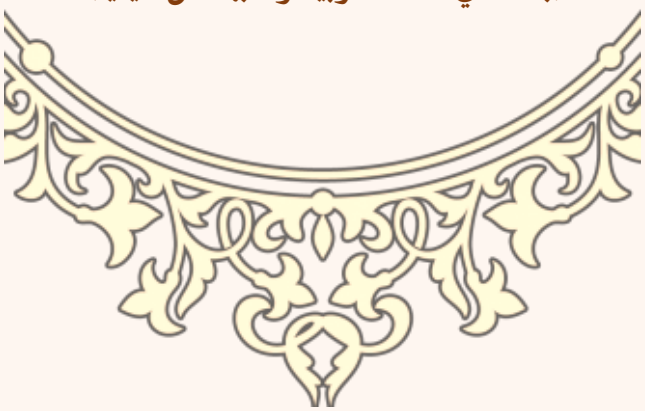

فنُّ الرّسم، أو (الإملاء) كما يُسمَّى في زماننا، من الفنون المقصَّرِ في درسها والتّهدّي إلى دقائقها، وهو فنٌّ عظيمٌ يزول به اللّبس والإبهام بين الكلمات المتشابهة، وتتبيّن الأصول التّصريفيّة لكثير من الكلمات والألفاظ، ويظهر شعور الكاتب مكتوبًا بإقامة علامات التّرقيم استفهامًا، وتعجُّبًا، وتقسيمًا، وغير ذلك من الأغراض التي تدلّ عليها هيئته وصوته لو كان يتكلّم أمام النّاس.

وقد تنازعتْ هذا الفنّ بليّتان عظيمتان، هُما:

١. خطأ كثيرٍ من المدرّسين في أسلوب تعليمه للنّاشئة.
٢. وتهاون أكثر النّاس في إقامة قواعده، والاهتمام بقوانينه.

فتسرّب الخلط إلى كتابات الخاصّة فضلًا عن العامّة، ولئن سألت الذين يمارسون (التّدقيق اللّغويّ) عن أعقد الصّعوبات التي يلقونها في تدقيقهم الكتبَ والرّسائل، لَيقولُنَّ: الأخطاء الإملائيّة؛ فهي التي تجلب إلينا الصّداع، وتشكّكنا أحيانًا في نيّة الكاتب في احترام القرّاء! وقد صدقوا؛ لأنّ بليّتين شديدتين اجتمعتا على هذا الفنّ كما ذكرت قبل قليلٍ.

الإملاء فنٌّ دقيقٌ مختلفٌ عن النّحو، والصّرف، وعن غيرهما من الفنون والعلوم من حيث انحصار مسائله، وإمكانيّة الإلمام به بدراسة كتابٍ أو كتابين دراسةً فاحصةً متقنة، وهو في ذلك قريبٌ من علم العروض؛ وأرى أنَّ كتاب (قواعد الإملاء) للعلّامة المحقّق عبد السّلام هارون، جمعَ مسائل الإملاء وأوعى، وضمّ -كما قال- إلى الاستيعاب والإيجاز قُرب المأخذ، ووضوح المنهج، فهو كافٍ لتسهيل متن هذا العلم، وتجنُّب مزالق الكتابة والرّسم.

ولكنَّ الإملاء فنٌّ دقيقٌ كما أسلفتُ، سريع الإفلات من القارئ، لا يكاد يستوعبه إلّا بصعوبةٍ وعسر؛ ولذلك يجب أن يكون المنهج في قراءة كتاب عبد السّلام هارون متّسمًا بالأناة والتّرتيب؛ فلا يقرأه سريعًا كعادته مع الكتب الأخرى، بل يقرأ منه بابًا كلّ يومٍ، ملتزمًا بالتّكرار والمعاودة؛ فيقرأ أحكام الهمزة وحالاتها في أوّل الكلمة، وفي وسطها، وفي آخرها، ثمّ يدرس الألف اللّيّنة ومواضعها طرفًا ووسطًا، ويدرس الوسائل التي يُعرف بها الواويّ منها واليائيّ، ثمّ ينتقل إلى حروف الزّيادة، ثمّ إلى حروف النّقص، ثمّ يدرس الفصل والوصل (وهما في الإملاء مختلفان عمّا هما عليه في علم المعاني)، ثمّ ينتقل إلى باب النّماذج والتّعليلات لرسم الهمزة والألف، ثمَّ يتوجّه إلى الخاتمة في محسّنات الكتابة، وتجميلها، وتيسيرها، ثمّ يدرس باب علامات التّرقيم، وهو باب نفيسٌ يخطئ فيه كثيرٌ من النّاس.

وكلّ هذه الأبواب مذكورة في الكتاب، ويجوز للقارئ أن يكسر (أي يقسّم) بابًا واحدًا على عدّة أيّام، بناءً على مستوى فهمه، ومدى إدراكه للمسائل؛ فالغاية هي الفهم، وليست الانتهاء من القراءة.

ولا ينفع العلم بلا عمل؛ فيجب عليك -بعد قراءة الكتاب على هذا النّحو من الأناة، والبطء، والتّكرار، والحرص على الفهم والاستيعاب- أن تطبّق ما قرأته في كلّ ما تكتب، فتنبذ عن نفسك التّهاون في إقامة قواعد الإملاء، في أيّ مجالٍ كتبتَ، وفي أيّ حالٍ أعملتَ القلم، حتّى في الرّسائل الخاصّة بينك وبين أصدقائك، وقد يصعب عليك الأمر في البداية، ولكنّه في النّهاية سهلٌ ميسورٌ، وسعيٌ مشكورٌ.

سأموتُ وفي نَفسي شيءٌ مِنْ قصيدة النثر

يبات علي فايد
(شاعر وكاتب وناقد، من السودان)

بقدر ما استهلك النقاد أحبارهم سعيًا وراء الجديد، أيًّا كانت أسباب السعي هذي، كأن يركبوا الموجة، خوف عدِّهم في زمرة المتزمتين السلفيين، أو كأن ينفقوا ما أنفقوا من جهد ووقت مجاملة، ومحاولة للنهوض بقصيدة النثر (القاعدة المقعدة) بقدر ما كان العجز هو المحصلة النهائية لهذا الجهد المبذول في غير محله.

قديما قال يسوع المسيح (عليه السلام) في إنجيل متى (الإصحاح ٥، الآية ١٣): "أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟".

والملح كان لحفظ الأطعمة، وما يزال في الكثير من المناطق يستخدم في حفظ اللحوم، كالتركين والفسيخ، وكانت مقولة المسيح عليه السلام، أن إذا فسد الملح، فليس ما يقوم مقامه ليحفظ الأطعمة.

وأنا أقول هذا للنقاد الذي أرهقوا أنفسهم، وكلفوها فوق طاقتها لإقناعنا بالشعر هذا: بالله عليكم، يا ملح الأرض لا تفسدوا في طبيعتكم.

برأيي أن أسباب خمود جمرة قصيدة النثر كثيرة، منها:

أسباب موسيقية:

- خلوها من الإيقاع البسيط المقبول لدى الأفئدة، والمعهود حفظًا، كما هي عليه كل الأشعار في كل العالم، سواء كانت هدهدات أطفال، كأن تقول:

"هو دنا يا هودنا

كان شبعتا يا جنا"

وغيرها من أناشيد الأطفال.

- خلوها من السجع غير المتكلف، كقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ".

- خلوها من القافية التي تسهل الحفظ بالتوقف عليها، ونقْرها على الذاكرة، حينًا بعد حين تحفيزًا.

- خلوها من اجتماع الكلام حُزَمًا حُزَمًا، يسهل حفظها معًا، وأعني به البيت الشعري، أو السطر الشعري المتوقع بصورة رتيبة.

أسباب منطقية:

ومعلوم خلو قصيدة النثر من المنطق، ومفاجأتها المتلقي بكل ما هو فج وغير منطقي، وهم يرون فيه نوعا من التنبيه للعقل، والحق أن خلو النص من المنطق مما يصعِّب حفظه، فأنت حين تقول مثلا:

ألقاه في اليمّ مكتوفًا وقالَ لهُ

إيّاك إيّاك أنْ ...

كلنا يخطر ببالنا ألا يبتل الملقى هذا بالماء، فكانت تمامة البيت: "تبتل بالماء".

وأنت حين تقول:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجري على ...

فإن المنطق يدعوك لتقول: "اليَبَسِ" تمام البيت.

ويمكن أن نقول هذا في القافية وضرورتها في تثبيت الحفظ.

وعلى الرغم من ادّعاء أصحاب قصيدة النثرة ضرورة المفاجأة للحفظ، فأنا أتحدى أيًّا من كَهَنَة قصيدة النثر أن يقرأ علينا نصًّا من النصوص لكبار رجالات قصيدة النثر غيبًا.

لن نجد رجلًا يحفظ النثر، بل لا يُستطاع، إلا أن تبذل المستحيل للحفظ حتى تدحض حجّتي.

أسباب تتعلق بالروح والتخطيط وبذل الجهد لإخراج عمل مصمم بصورة علمية:

- خلو قصيدة النثر من وحي الطبع البريء، كما يصفه عميد اللغة العربية د. طه حسين، وذلك أنّ التكلّف ظاهر في قصيدة النثر، وليس أدلّ على هذا من أنّ معظم كتّابها يصرّون على ضبطها، حرفًا حرفًا.

- خلوها من التخطيط لها، ووهمٌ ادّعاء السجيَّة عندهم، والانطلاق بدون قيود، في إيهام للمتلقي بأنها مبرّأة من كل صنعة، وهذا الوهم جعل أصحاب هذه القصيدة يمضون فيها دون تفكير منطقي، أو تخطيط مسبق لما يراد لها بلوغه؛ فالقصيدة هي التي تسوق الكاتب، وهي التي تتحكم فيه لا هو، وكاتِب قصيدة النثر (غالبًا) يقع على مفرداتها، وجملها، هكذا دون أن يكون لها وقوع مسبق بالقلب، ودون إشغال للعقل بالفكرة سلفًا، وهذا غير مقبول علميًّا، وصناعةً، وليس ثمّة من ينكر أن الشعر صناعة، وتخطيط، فأنت لا تستطيع أن تنجز سيارة بجمع الحديد والزجاج والمطاط، وغيرها من مكونات السيارة دون ترتيب، وتفكير، وربط الأسباب بعضها بالآخَر، كما لا تستطيع أن توجد نتيجة لفحص طبي، دون اتخاذ الأسباب المنطقية للوصول إلى النتيجة المرتجاة.

ختامًا، هناك من سيقول لي:

ومَن قال لك بخمود هذه القصيدة؟ إنها أكثر انتشارًا، وأعلى شأنًا في وقتنا الحاضر.

وأنا أقول له:

هكذا النثر دائمًا أكثر انتشارًا من الشعر، وإنّ كثرتها لَدلالة على عدَم شِعريّتها.

ألا ترى أنّ كلّ الناس تقول النثر؟! ولكن قَلّ مَن يقول الشعر المعروف.

سأموت وفي نفسي شيء من قصيدة النثر.

خُلُقُ : (الحَيَاءِ)
وَفَضِيْلَتُهُ لِـ (النِّسَاءِ)
وَعِبَرٌ مِنْ قِصَّةِ (كَلِيْمِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ)

بكر آل مهدي

(تربوي، وباحث في العلوم الإسلامية، من العراق)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ الأَمِيْنِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ .

وَبَعْدُ :

فَالحَيَاءُ هُوَ : (انْقِبَاضُ النَّفْسِ مِنْ شَيْءٍ ، وَتَرْكُهُ ؛ حَذَرًا عَنِ اللَّومِ فِيْهِ) (التَّعْرِيفَاتُ لِلجرْجَانِيِّ / ٩٤) ، يُقَالُ : (امْرَأَةٌ حَيِيَّةٌ) أَيْ : (ذَاتُ حَيَاءٍ) .

وَالحَيَاءُ خُلُقٌ عَظِيمٌ ، وَهُوَ ـ فِي المَرْأَةِ ـ مِنْ أَصْلِ (فِطْرَتِهَا السَّلِيْمَةِ) ، وَلَا تَتَخَلَّى امْرَأَةٌ عَنْ هَذَا (الخُلُقِ العَظِيْمِ) ؛ إِلَّا خَالَفَتْ (الفِطْرَةَ السَّلِيْمَةَ) ! .

وَ (الحَيَاءُ) لَيْسَ (عَيْبًا) ، وَلَا (نَقْصًا) ، بَلْ هُوَ (شَرَفٌ ، وَرِفْعَةٌ) ـ لِلرِّجَالِ ، وَلِلنِّسَاءِ .. وَلِلنِّسَاءِ آكَدُ ـ ، وَمَتَى مَا خَلَعَتِ المَرْأَةُ ـ عَنْهَا ـ سِتَارَ (الحَيَاءِ) ، وَاتَّصَفَتْ بِـ (الجُرْأَةِ ، وَالصَّلَافَةِ) سَقَطَتْ هَيْبَتُها ، وَقَلَّتْ قِيْمَتُهَا .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيْثُ كَثِيْرَةٌ فِي فَضْلِ (الحَيَاءِ) ؛ مِنْهَا :

مَا قَالَهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : (الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ـ أَوْ بِضْعٌ وَسِتّونَ شُعْبَةً ـ ، فَأَفْضَلُهَا قَولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ

الطَّرِيْقِ ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ) [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ، وَقَالَ ﷺ ـ عَنِ الحَيَاءِ ـ إِنَّهُ : (لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ) [رَوَاهُ البُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ] ، وَقَالَ ﷺ : (الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ ، ـ أَوْ قَالَ ـ : الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ) [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ، وقالَ ﷺ : (الحَيَاءُ وَالإِيْمَانُ قُرِنَا ـ جَمِيْعًا ـ ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا ؛ رُفِعَ الآخَرُ) [صَحِيْحُ الأَدَبِ المُفْرَدِ] ، وكَانَ ﷺ : (أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ ؛ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ) [رَوَاهُ البُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ] .

نَوعَا (الحَيَاءِ) :

١ ـ الحَيَاءُ المَحْمُوْدُ : هُوَ أَنْ يَسْتَحْيِيَ المَرْءُ مِمَّا يُسْتَحْيَا مِنْهُ ـ (شَرْعًا ، وَعُرْفًا) ـ ؛ كَالمَعَاصِي ، وَقَبَائِحِ الأُمُوْرِ .

٢ ـ الحَيَاءُ المَذْمُوْمُ : هُوَ أَنْ يَسْتَحْيِيَ المَرْءُ مِنْ قَوْلِ الحَقِّ ، وَفِعْلِ الحَقِّ ، وَكُلِّ مَا أَمَرَتْ بِهِ الشَّرِيْعَةُ الإِسْلَامِيَّةُ ، وَحَضَّتْ ـ عَلَيْهِ ـ وَحَثَّتْ ؛ فَهَذَا مِمَّا لَا يَنْبَغِي الحَيَاءُ مِنْهُ ، وَقَدْ قِيْلَ : (لَا حَيَاءَ فِي فَهْمِ الدِّيْنِ وَتَبْلِيْغِهِ) ، وَلِـهَذَا كَانَتْ أُمُّنَا السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ مُعْجَبَةً ـ جِدًّا ـ بِنِسَاءِ الأَنْصَارِ ، حَتَّى أَنَّهَا أَثْنَتْ عَلَيْهِنَّ ؛ فَقَالَتْ : (نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ ؛ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ) [رَوَاهُ البُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ] .

وَإِذَا مَرَرْنَا عَلَى إِحْدَى قَصَصِ نَبِيِّ اللهِ (مُوسَى) عليه السلام ـ حِيْنَ فَرَّ بِدِيْنِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ ﷻ قَاصِدًا دِيارَ (مَدْيَنَ) ؛ لِلْخَلَاصِ مِنْ سَطْوَةِ فِرْعَوْنَ وَقَهْرِهِ ـ ؛ إِنَّنَا لَنجَدُ ـ فِيْهَا ـ مِنَ (الفَوَائِدِ وَالعِبَرِ) مَا يُسْتَحَقُّ الوُقُوْفُ عَلَيْهَا .

وَهَذِهِ القِصَّةُ هِيَ مِنْ (خَمْسِ آيَاتٍ) مِنْ (سُورَةِ القَصَصِ) ، وَهِيَ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ : { وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } [سُورَةُ القَصَصِ ٢٣-٢٧].

الفَوَائِدُ ، وَالعِبَرُ :

١ ـ قَوْلُهُ : { وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ } ؛ أَيْ : إِنَّ هَاتَيْنِ المَرْأَتَيْنِ تُحَاوِلَانِ مَنْعَ أَغْنَامِهِمَا عَنْ وُرُودِ المَاءِ ؛ لِكَيْلَا يُزَاحِمْنَ الرِّجَالَ !! ؛ لِـمَا

لِلْمُزَاحَمَةِ ، وَالخُلْطَةِ مِنْ مَفَاسِدَ ، فَيَنْتَظِرْنَ حَتَّى يَنْتَهِيَ القَوْمُ مِنَ السُّقْيَا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَسْقِيْنَ أَغْنَامَهُمَا ـ وَهَذَا مِنَ (الحَيَاءِ) ـ ؛ فَرَقَّ قَلْبُ (مُوسَى) عليه السلام لَهُمَا ، وَرَحِمَ حَالَهُما ؛ فَقَالَ لَهُمَا : { مَا خَطْبُكُمَا } ؟ .

٢ ـ بَعْدَ أَنْ سَأَلَ (مُوسَى) عليه السلام المَرْأَتَيْنِ عَنْ سَبَبِ عَدَمِ وُرُودِهِمَا المَاءَ لِلْسُّقْيَا ؛ جَاءَ جَوابُهُما : { قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ } ، وَهَذَا جَوَابٌ (حَكِيْمٌ ، وَسَدِيْدٌ) ؛ يَنُمُّ عَنْ فِطْنَةٍ ، وَحُسْنِ اخْتِيَارٍ لِلأَلْفَاظِ ! ؛ فَقَدْ أَعْطَيَتَا عُذْرَيْنِ لِـ (مُوسَى) عليه السلام :

الأَوَّلُ : أَنَّهُما امْرَأَتَانِ ، وَبِالتَّالِي ؛ فَإِنَّ مُزَاحَمَتَهُمَا لِلرِّجَالِ ؛ يُعْتَبَرُ نَقْصًا فِي (الحَيَاءِ) ! ، وَمِمَّا (قَدْ) يُعَرِّضُهُنَّ لِلْسُّوءِ ! .

وَالثَّانِي : أَنَّ أَبَاهُمَا كَانَ رَجُلًا (طَاعِنًا فِي السِّنِّ) ، وَلَا يَسْتَطِيْعُ رَعْيَ الغَنَمِ ، وَهَذَا العُذْرُ يَدُلُّ عَلَى فِطْنَتِهِمَا ؛ حَتَّى يَعْرِفَ (مُوسَى) عليه السلام أَنَّهُ لَوْلَا اضْطِرَارُهُمَا ؛ لَمَا خَرَجَتَا مِنْ بَيْتِهِما ـ أَصْلًا ـ ! ، وَلَكِنَّهَا (الضَّرُوْرَةُ المُلْجِئَةُ لِذَلِكَ) ، وَمَعَ هَذَا (الاضْطِرارُ) ؛ فَإِنَّهُما تَحَمَّلَتَا (مَرَارَةَ الانْتِظَارِ ، وَعَدَمَ مُزَاحَمَةِ الرِّجَالِ) ! ـ مَخَافَةَ (الفِتْنَةِ) !! ـ ، { فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } ، وَلَمْ يَكُنْ لِـ (مُوسَى) عليه السلام طَعَامٌ سِوَى (البَقْلِ) ، و(نَبَاتِ الشَّجَرِ) ، حَتَّى أَلَمَّ بِهِ الجُهْدُ !! .

وَيَذْكُرُ أَهْلُ التَّفْسِيْرِ أَنَّ القَوْمَ ـ بَعْدَمَا سَقَوا مَوَاشِيَهِم ـ ؛ وَضَعُوا ـ عَلَى (عَيْنِ البِئْرِ) ـ صَخْرَةً عَظِيْمَةً ، لَا يَسْتَطِيْعُ تَحْرِيْكَهَا إِلَّا عَشَرَةٌ مِنْ الرِّجَالِ ، فَأَزَالَهَا (مُوسَى) عليه السلام ـ وَحْدَهُ ! ـ ؛ لِيَسْقِيَ غَنَمَ المَرْأَتَيْنِ ، وَهِذِهِ هِيَ (القُوَّةُ) ـ الَّتِي سَأُشِيْرُ إِلَيْهَا لَاحِقًا ـ .

٣ ـ قَوْلُهُ : { فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء } ؛ وَالـ { اسْتِحْيَاءُ } هُوَ : (شِدَّةُ الحَيَاءِ) .. قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيْرِ إِنَّهَا جَاءَتْ تَمْشِي مِشْيَةَ (الحَيِيَّةِ) ، مُغَطِّيَةً وَجْهَهَا ـ وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ المُسْلِمَةِ ! ـ .

{ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا } ، وَقَوْلُهَا : { إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا }هُوَ (احْتِرَازٌ جَمِيْلٌ) ـ فِي الكَلَامِ ـ ؛ مِنْ كَوْنِ أَبِيهَا هُوَ مَنْ دَعَاهُ ، وَلَمْ تَقُلْ : (تَعَالَ لِنَأْجُرَكَ) ! ، و(شَتَّانَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ) !! .

وَقِيْلَ : إِنَّ الأَبَ هُوَ (شُعَيْبٌ) عليه السلام ، وَقِيْلَ : لَا ؛ هُوَ لَيْسَ بِـ (شُعَيْبٍ) عليه السلام ؛ إِنَّمَا هُوَ (رَجُلٌ صَالِحٌ) ، مِنْ صُلَحَاءِ (أَهْلِ مَدْيَنَ) ـ مِنْ قَوْمِ (شُعَيْبٍ) عليه السلام ـ ، وَكَانَ (شُعَيْبٌ) عليه السلام قَدْ

تُوفِّيَ قَبْلَ ذَلِكَ الوَقْتِ .. وَالصَّوَابُ هُوَ القَوْلُ الثَّانِي ، وَهَذَا مَا قَالَ بِهِ (ابْنُ كَثِيرٍ) ، و(السِّعْدِيُّ) ، وَغَيْرُهُما .

وَذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ : أَنَّ المَرْأَةَ كَانَتْ تَمْشِي أَمَامَ (مُوسَى) عليه السلام ؛ لِتَدُلَّهُ عَلَى الطَّرِيْقِ ، وَكَانَتِ الرِّيْحُ تُكَفْكِفُ ثَوْبَهَا ؛ فَقَالَ لَهَا (مُوسَى) عليه السلام : (كُوْنِي خَلْفِي ، وَأَشِيْرِي ـ عَلَيَّ ـ بِجِهَةِ الطَّرِيْقِ بِرَمْيِ الحَصَا) ، وَهَذَا مِنْ حِرْصِ (مُوسَى) عليه السلام عَلَيْهَا ! ، وَهِذِهِ هِيَ (الأَمَانَةُ) ـ بِحَقٍّ ـ .

{ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } ، مِنْ أَنَّهُ فَرَّ مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ وَكَيْدِهِ ؛ طَمْأَنَهُ ـ هَذَا (الرَّجُلُ الصَّالِحُ) ـ بِأَنَّ هَذِهِ الدِّيَارَ لَيْسَ لِفِرْعَوْنَ عَلَيْهَا سُلْطَةٌ ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ ، وَمِنْ ثَمَّ أَكْرَمَهُ بِالطَّعَامِ ـ بَعْدَ أَنْ أَمَّنَهُ ـ .

٤ ـ قَوْلُهُ : { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } ، اقْتَرَحَتْ إِحْدَى بَنَاتِ هَذَا (الرَّجُلِ الصَّالِحِ) عَلَى أَبِيْهَا بِأَنْ يَسْتَعْمِلَ (مُوسَى) عليه السلام أَجِيْرًا عِنْدَهُمْ ؛ لِمَا رَأَتْ مِنْ (قُوَّتِهِ) ! ، و(أَمَانَتِهِ) ! .

٥ ـ قَوْلُهُ : { قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } ، وَفِي هَذَا جَوَازُ أَنْ يَعْرِضَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ لِلزَّوَاجِ مِمَّنْ يَرَاهُ كُفْؤًا لَهَا ، وَيَتَوَسَّمُ بِهِ خَيْرًا .

وَقَدْ أُعْجِبَ (الرَّجُلُ الصَّالِحُ) بِـ (قُوَّةِ ، وَأَمَانَةِ) النَّبِيِّ (مُوسَى) عليه السلام ؛ فَهَاتَانِ صِفَتَانِ مُتَلَازِمَتَانِ ، وَيَقِلُّ قَدْرُ الرَّجُلِ إِذَا فَقَدَ إِحْدَاهُمَا ! ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ هَوَ مُفْتَقِرٌ لِكِلْتَيْهِمَا ؟!! .

وَقَوْلُهُ: { إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ }، لَمْ يُجْبِرْهُ عَلَى الزَّوَاجِ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ، وَلَمْ يُشِرْ إِلَى إِحْدَاهُمَا ؛ وَإِنَّمَا جَعَلَ الاخْتِيَارَ لِـ (مُوسَى) عليه السلام ، وَهَذَا مِنْ (أَعَالِي مَنَازِلِ الكَرَمِ) ! .

وَكَانَ مَهْرُهَا هُوَ : أَنْ يَعْمَلَ أَجِيْرًا ـ عِنْدَ أَبِيْهَا ـ (ثَمَانِيَ حِجَجٍ) ـ أَيْ : سَنَوَاتٍ ـ ! ، وَإِذَا زَادَ (مُوسَى) عليه السلام ـ عَلَيْهِنَّ ـ (سَنَتَيْنِ) ؛ فَهَذَا فَضْلٌ مِنْ (مُوسَى) عليه السلام عَلَى (الرَّجُلِ الصَّالِحِ) ؛ فَقَبِلَ (مُوسَى) عليه السلام بِهَذَا الشَّرْطِ ، وَتَزَوَّجَ المَرْأَةَ ، وَبَقِيَ عِنْدَ أَبِيْهَا إِلَى نِهَايَةِ الأَجَلِ ، وَقِيْلَ إِنَّهُ أَتَمَّهَا إِلَى عَشْرِ سِنِيْنَ .. وَاللهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ .

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِيْنَ .

عَيْنُ المُحِبّ

رانيا إبراهيم
(كاتبة، من مصر)

إنّ المُحبّ الصادق لَيخشى أن يَرى الناسُ ما أحبَّ بمثل عينه!

أنْ تكون مميزًا لشخصٍ واحدٍ على الأقل، أنْ يُحبّك خِفية بكامل شعوره وصدق مشاعره، وأنْ تصير متدفّقًا في صدره، مرويًا على مهل في حرفه، فتصير على بعثرتك وفوضاك وشتاتك مطويًّا بعناية في صدره..

أنْ تُمحّص سرديّتك وتفاصيلك المملّة على مهل بتلقائية محبَّبة، وتُستعاد في خاطره كأنشودة أو لحنٍ خفيٍّ لا يملّه أبدًا، وأنْ يُعاد تركيبك خلسة لتغدوَ طيفًا مثاليًا، خاليًا من كلّ سوء، مُطعَّمًا بكلّ جَـمـيـل..

عَين المُحبّ تُجمّلك على علّاتك وترقّيك؛ كتزكيةٍ كاملة لك، وتصير بها أجمل مما كنت، حتى أنها لتثير دهشتك ما أن تعرفها؛ فأنت تعلم أنك لست جميلًا بقدر تلك الرواية! لكن ربّما هي مهمة المُحبّ الأسمى، لا أن يُبالغ في منزلتك، بل هي في أن يبوح بنُسختك الجميلة التي يراها بعين قلبه ولا تصدّقها أبدًا عنك، وأنْ يُحرّض كلَّ حُسن فيك لِيَظهر، فتُزهِر بقدرٍ لم تكن تظنّه أبدًا في نفسِك، وتنتهي أكثر حبًّا لها بعد أن دلّك أحدُهم على كلّ مُمكناتِك!

غالبًا لا يمنحك المُحبّ الصادق تشجيعًا أو تحفيزًا وهميًا بقدر ما يمنحك عينيه، لترى نفسك كما يراك، وتلتقي بنسخةٍ منك أكثر كمالًا.

هناك -دائمًا- جمالٌ فِينا، مخفيٌ عنّا في زاوية عمياء لا تُرى مِن أنفسِنا، ومَن يحبّك يُعيد تركيبك وسردك في روايةٍ عذبة أكثر جمالًا مِن روايتك، فتعتنقها حتّى يَخرُج الجمال المُختزِن فيك من ظُلْمته، وتراك بشكلٍ كامل!

لقد كنتَ جميلًا مِن قبْل، إنّما كان المُحبّ مُرشدُك لِمَا خفيَ عنك بنفسك.

ربما لا يُنقذنا الحبّ بشِعريّته، على قدر ما يمنحنا عينين خارجَنا تُبصر ما تجاهلناه فينا، أو ما كاد يذوي في زاويةٍ عمياء من روحنا!

أحيانًا تكون مُهمّة الحبّ -ببساطة- أنْ يجعلك تتخلى عن رواية ذاتك بصوتك، وتسمع أصواتًا أكثر رقّة، ليتم إنقاذ الجمال فيك من الذبول.

نظرة واحدة من مُحبّ لك، تغترف منك ما خفيَ عنك، فتُبصر نسختك الأطهر، فتحبّ ذاتك وتنقذها، وبهذه الكيفية تمامًا يُحيي الحبُّ أصحابَه!

قسم

عالَم الكُتب

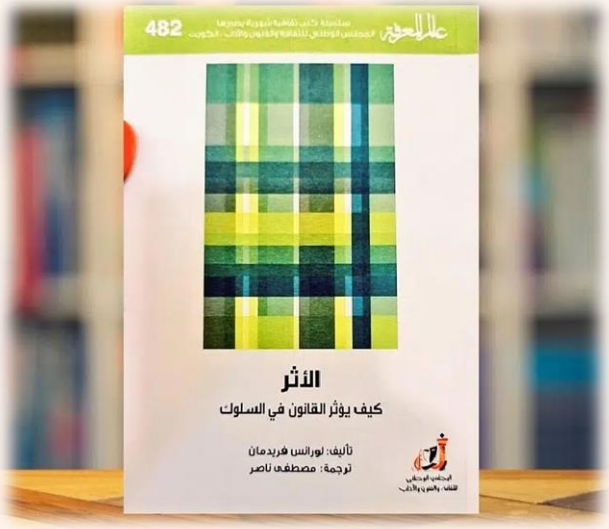

قراءة في كتاب "الأثر: كيف يؤثر القانون في السلوك" للورانس فريدمان

هل يغير القانون الواقع الاجتماعي؟
أو أن السياق الاجتماعي هو الذي يشكل القانون؟
ولماذا يلتزم بعض الناس والبعض الآخر يتمرد عليه؟

أحمد الطائي
(محامٍ وكاتب، من العراق)

أغلب دعاوى الحقوقيين اليوم في كل الوسائل المرئية واللقاءات لا تخرج عن المطالبة بتشريع قوانين لتجريم فعل معين والمعاقبة عليه بأشد العقوبات، وهذا التأصيل يفترض سلفًا أن القانون يعمل بطريقة سببية واضحة حيث (أ) يؤدي إلى (ب) بالتالي ما دامت الحالة موجودة، فالقانون سيعالجها ولو جزئيًا أليس كذلك؟

هذا ما ظل لورانس فريدمان يلاحقه في ٣٠٠ صفحة وأكثر ليجيب عليه، فكيف يؤثر القانون في المجتمع؟ ولماذا البعض يلتزم به والبعض الآخر يخرقه؟

وتلخيصًا لإجابة السؤال الذي طرحناه في الأعلى يبدو أن القانون لا يعمل بهذه الطريقة، فالقانون مهما امتد وارتفع فلا بد أن يتم تنزيله على سياق اجتماعي متراكم للمجتمع من مئات السنين سواء أكانت عقائد دينية أم أعرافًا

اجتماعية أم ممارسات اكتسبت صفة العرف وغيره؛ ولأن الساحة التي يعمل فيها القانون سيتزاحم معها كل ما ذكرناه فلا يمكن له ان يؤدي الغرض المرجو منه وخاصة إذا صدر خلافًا لأعراف الناس وأديانها.

كونك تطالب بقانون ما بعيدًا عن النقاش في صحته من بطلانه، فلا بد أن تدرك أنه إذا صدر خلافًا للسياق الاجتماعي فهو سيولد ميتًا فقط سيرضي النخب المفكرة ثم لا تجد له صدى على أرض الواقع بأي شكل أو أنه سيعمل ولكنه بطريقة سماها الكاتب (الخرطوم المثقوب) فأنت سيصل إليك الماء في نهايته ولكن ضعيفًا جدًا وكذا القانون سيجد الانسان نفسه يخترع ألف ألف تبرير حتى لا يلتزم به ما دام مخالفًا لأعرافه ودينه وتراكماته الاجتماعية.

وسنقتصر في هذه المراجعة على ما ذكره الكاتب من **ثلاثة عوامل** يرى أنها تفسر سبب التزام الانسان بالقانون من عدمه ولا غنى للقارئ أن يكتفي بهذه المراجعة بل لابد من العودة للكتاب لقرأته كاملًا وخصوصًا للقانونيين والمهتمين بهذا المجال.

العامل الأول: الثواب والعقاب.

من بداهة الأمر أن التزام الانسان بالقانون هو رغبة منه في أن يدرأ عنه خطر العقاب هذا في الجانب الجنائي أما في الجانب المدني فقد يلتزم رغبة في الثواب من حيث كون القانون يحقق له ميزة معينة عندما يلتزم بخط السير الذي يضعه القانون المدني عندما يريد أن يتملك منزلًا مثلًا أو يستأجر غرفة في فندق.

أما في الجانب الجنائي فلا بد للعقوبة أن تحقق الردع المنشود سواء العام (كل أفراد المجتمع) أم الخاص (الشخص المجرم نفسه) أما إذا أصبح الافلات بالجريمة أمرًا هينًا فهذا كفيل بأن يضع رسالة للمجتمع بأن القانون لا قيمة له وهنا يولد القانون ميتًا لا قيمة له فإن تحقق الجانب العقابي وتحقق الردع العام والخاص فهذا لا بد أنه سيخلق ثوابًا لباقي المجتمع حيث يأمن أحدهم على نفسه وأسرته ولا يتعرض له أحد بأذى وهو بدوره سيخلق ضغط إقران وهو العامل الثاني الذي سنتحدث عنه لاحقًا.

لكن قبل هذا هل للعقوبة دور فعلي في ردع الجرائم؟ لعل الجواب الواضح عند الأغلب هو نعم لكن الكاتب استفاض في نقاش المسألة واستعرض بعض أدلتها التاريخية كما استدل ببعض الدراسات العلمية حول أن العقوبة لم تكبح جماح المجرمين وبالأخص من يرتكب الجريمة بدافع الضجر، ذاك الذي يرغب في مناكفة القانون

ومحاربة رجال الشرطة بدون سبب فقط لأنه يشعر بالملل، وكذا الحال في الجرائم الخطرة وجد أن زيادة شدة العقوبة لم تخلق ذاك الفارق الكبير بتحقيق الردع المنشود فكما يرى أن "الاعتبارات الاخلاقية" لربما لها دور أكبر من العقوبة بكبح جماح المجرم وتحقيق الردع المنشود.

كما أن العقوبة تفقد قابليتها للردع إذا استخدمت بكثرة حيث وجد غريشام سايكز بدراسة عن السجون أن العقوبات التأديبية فقدت تأثيرها الفعال على السجناء لضبط سلوكهم، فكيف يمكنك ردع شخص مستعد للموت؟

والعامل الآخر الذي يحدد نجاح العقوبة هل هو الشدة في العقوبة ؟ أو اليقين أي إيمان الذي يرتكب الجريمة بأنه سوق يقبض عليه؟

لو كانت عقوبة الجريمة الاعدام لكن اليقين بأن الشرطة لن تقبض على الجاني ولو فعلت ما فعلت فهل يصبح لشدة العقوبة أهمية؟

تدعي بعض الدراسات أن اليقين أكثر أهمية من الشدة ولكن في هذا كلام لأنه لو قلنا أن السارق سيقبض عليه حتمًا (اليقين) لكن لا توجد للجريمة عقوبة (الشدة) فهل يصبح لليقين هنا أهمية؟

وكذا عامل الوقت قد يفقد العقوبة قابليتها للردع والمقصود بالوقت هو المدة الطويلة التي تستلزمها المحاكمة حتى يحكم على المجرم، فإن ارتكب جريمة اليوم ثم استمرت محاكمته لـ٢٠ سنة حتى صدر الحكم فهل يبقى لهذا الحكم ردع مثلما لو صدر بمدة أقل؟

وتبقى مسألة كون العقوبة رادعة أم لا تختلف باختلاف الثقافات والأشخاص فنحن لدينا:

١. ناس مستجيبون كليًا للقانون وهؤلاء لا معنى للردع عندهم فهم طائعين سلفًا للقانون.

٢. ناس متمردون كليا وغير قابلين للردع وهؤلاء أيضًا لا معنى للردع عندهم والعقوبة لن تغير من سلوكياتهم شيئًا مهما أصبحت شدتها.

٣. الناس الذين يفكرون بجريمة محددة وهؤلاء كما يرى الكاتب هم الوحيدين الذين ينجح الردع فيهم.

هذا الكلام بطوله يتحدث عن جريمة وعقوبة، والآن لماذا لا نجعل الجريمة صعبة الارتكاب حتى نقلل أعداد المجرمين؟

هذا ما سماه (كارل ليولاين) تأثير مخارج ورقة البرسيم، حيث وجدوا أن السائقين يخرجون من الطرق الرئيسة للطرق الفرعية بسرعة أعلى من

السرعة القانونية مما يسبب حوادث سير كثيرة، فأصبح تصميم مخارج الطرق الرئيسة على شكل ورقة البرسيم بحيث تجبر السائق أن يقلل السرعة عند المخرج، فهنا لم نعاقب على الفعل بل جعلنا المخالفة صعبة وحققنا الردع المطلوب دون اللجوء لإجراءات ومحاكمات طويلة.

هذا الإطار العام لمنظومة الثواب والعقاب والأمر يختلف من شخص لآخر ومن ثقافة لأخرى فربما الثواب الديني لثقافة ما يحض الافراد على الالتزام بالقانون أو العقاب الأخروي هو الذي يدفعهم مثلًا لعدم الالتزام به كما يحدث لطائفة الآميش.

العامل الثاني: ضغط الأقران.

لو أننا استيقظنا صباح الغد ووجدنا أن كل القوانين التي تعاقب على القتل والسرقة قد ألغيت فهل سيخرج المجتمع كله يضرب بعضهم بعضًا ويقتل بعضهم بعضًا؟

لربما الكاتب والقارئ (كما آمل) لم تخطر في ذهنه يومًا أن يرتكب جريمة، أو يقتل بريئا، أو يسرق مالًا وإن قلت قيمته، وإذا بالغنا في الطاعة لقلنا إنه لم يستدر بسيارته من مكان ممنوع ولم يسنح في خاطره أن يسطو على بنك وإن تخيل ذلك.

إذن لماذا هذه الاختلافات في طاعة القوانين والتمرد عليها؟

لعل أقرب ما يقابل هذا اللفظ (ضغط الاقران) في لغتنا هو المثل الذائع (حشر مع الناس عيد) وضغط الاقران هو تأثير المجموعة في سلوك الفرد فإن كنت في واقع اجتماعي يدفعك دفعًا لطاعة القوانين فأنت حتمًا ستشعر بالعار من مخالفة هذا القانون وهذا ما يراه لورانس فريدمان يفسر الفرق في الالتزام بالقانون بين اليابان وأمريكا، فالروح الفردانية الغالبة على الطابع الأمريكي جعلت القوانين تعمل بصعوبة في واقع يدفع لمخالفتها ولذلك تجد أن أكثر دولة لها عدد سجناء هي أمريكا أما اليابان وطابعها الاخلاقي الاجتماعي العام البعيد عن الفردانية (بحسب الكاتب) جعل من السهولة للفرد الياباني أن يلتزم بالقانون لأنهم سيخضع لضغط من أقرانه يوقظ عنده مشاعر العار والخجل.

رغم أن هذا العامل لا يفسر الالتزام بشكل كلي لأن لكل دولة بل وكل ثقافة وحتى كل فرد تتنازع عنده العديد من المؤثرات والأحوال التي قد يعجز ضغط الاقران عن تفسيرها ولكن هناك بعض الأبحاث العلمية التي وجدت أن لهذا الضغط نتائج إيجابية، ففي أحد الفنادق أرادوا إعادة تدوير

المناشف وملاءات السرير ثم إعادة استخدامها مرة أخرى فوضعوا للمجموعة التي يتم اختبارها عبارات على أبواب غرفهم تقول (إن من قبلكم والذين سكنوا في هذه الغرفة ساعدونا بإعادة التدوير واستخدموها أيضا) أو شيء قريب من هذا ولم يضعوا للمجموعة الضابطة أي لافتات في غرفهم.

كانت النتيجة أن المجموعة الأولى كانوا أكثر تعاونًا فيما يخص إعادة التدوير من المجموعة الثانية وبحسب الكاتب لأنهم شعروا بالانتماء إلى مجموعة أكبر وهم الذين سكنوا في الغرفة قبلهم لذلك استمروا على نفس النهج درأ لمشاعر العار التي قد تعتريهم جراء المخالفة.

ويمكن للقارئ أن يخضع نفسه لضغط الاقران فلو تخيلت نفسك في مجلس به مئة انسان وكلهم يقوم لشخص ما عند دخوله غالبًا سواء عرفت الشخص أو لم تعرفه فأنت ستنهض عند دخوله حتى لا تخضع لضغط الاقران ومشاعر العار ونظرات من حولك.

بل أن هذا العامل قد يفسر انتشار بعض الأمور بشكل مبالغ به (الترند) على مواقع التواصل حتى وإن كان لا معنى له فقط أن صاحبه يفعل الأمر حتى لا يشعر بالاغتراب عن الواقع أو أنه منفصل عنه، أو يفسر أسباب انحراف بعض الشباب لوقوعه في مجموعة أصدقاء تدفعه للمخدرات أو الخمور حتى لا يشعر بأنه جبان أو لا يزال طفلًا بين أصدقائه.

أما لماذا يخضع الشخص لضغط الاقران؟ لأنه ولد في جماعة ويعيش في جماعة وسيموت في جماعة فإن كانت هذه الجماعة تلتزم فأنت تلتزم وإن كانت تخالف فأنت تخالف وتماسك الجماعة أعلى قيمة من طاعة القانون.

العامل الثالث: الصوت الداخلي (الضمير).

هناك ما يدفع الانسان من داخله أن يطيع القانون أو يتمرد عليه، وهذا الدافع لا يعمل دون أسباب تثيره وتحركه للعمل، فإن كان الانسان يرى في القانون الشرعية فهو حتما سيطيعه، وتلك الشرعية لا تأتي من فراغ فلابد لكل النظام القانوني أن يتميز بهذه الشرعية إضافة إلى العدالة حتى يستطيع بناء عليها أن يفرض قوانينه على المجتمع، مثل الطفل الصغير لا يمكن له أن يطيع أوامر شخص غريب ولو أن نفس الأمر صدر من والده لإطاعة دون جَمجة وتفكير إذا ما أزحنا عامل الخوف لأنه يرى في الأمر شرعية أن يصدر من والده بخلاف لو صدر من الغريب والشرعية لابد أن ترافقها السلطة حتى تفرض ما تريد فرضه فنجد الكاتب يقسم السلطة إلى ثلاثة أصناف:

١. السلطة الكاريزمية مثل سلطة النبي أو القائد أو البطل.

٢. سلطة كبار السن كزعماء القبائل.

٣. السلطة الشرعية العقلانية وهي طاعة القوانين لأنها قوانين.

وهنا تبدأ الحرب الطاحنة فيما يراه كل مجتمع من شرعية الحكومة التي تسنمت السلطة وأصبحت بيدها السيادة فهل شرعيتها قرينة الديمقراطية؟ أم أنها مرتبطة بالحق الإلهي في الحكم؟ أم انها تأتي من الوراثة كسلطة الملوك؟

وهذا يخضع لنقاش طويل وتأصيل تاريخي أطول فلكل مجتمع تراكماته التي ينبثق منها شرعية النظام الحاكم وهنا لا تجد لدعاوى بعض المفكرين الذين يحاولون قولبة كل النماذج وصبها في قالب ديمقراطي وكل ما عدا هذا النموذج فهو حتما فاقد للشرعية، وهذا باطل رغم أن المؤلف دافع عنه فلا يمكن ردم كل ثقافة الأمم في ظهور سلطة حاكمة من بينهم وتصدير الديمقراطية كأنها السبيل الأوحد للحكم ولعل سائل يسأل ما هي الطريقة الأفضل إذن؟ الجواب -ببساطة-: لا يوجد، لأنه لكل أمة -كما ذكرنا- طريقة في اختيارها لمن يتزعم نظامها السياسي، ولو تم فرض نظام آخر بالقوة، إلا أن يكون إلهيًا فهنا أنت أنشأت نظامًا ميتًا لا قيمة لكل قوانينه، لأنها ستولد ميتة جراء التمرد على رأس السلطة.

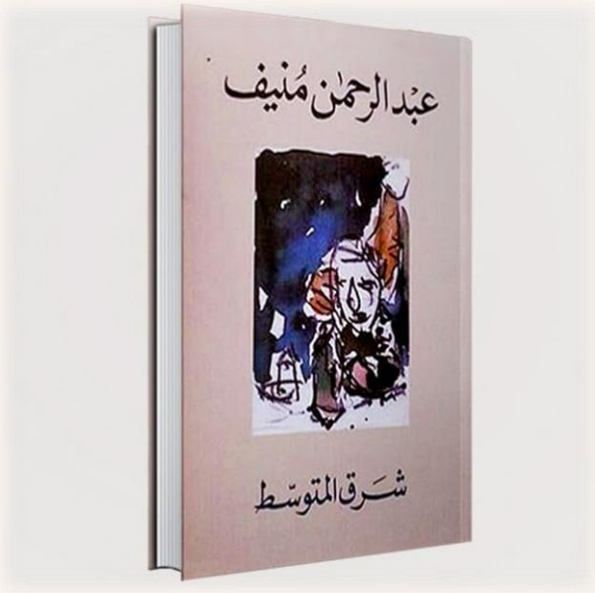

مراجعة
رواية شرق المتوسط

أسامة فاضل
(باحث في التاريخ، من العراق)

يُنسب لعبد الرحمن مُنيف في كتابته لهذه الرواية تأسيس ما يسمى بأدب السجون. فيما بعد تتابعت روايات عدة كلها تقريبًا لقصص واقعية سردت جزءًا مما يحدث في سجون شرق المتوسط عمومًا. هذا المكان الذي تَسلَّط عليه ثلة من القتلة الساديين المتعطشين للدماء، الذين اعتقدوا أنهم آلهة أكثر من كونهم مجرد مسؤولين يحوطهم الخوف من كل مكان ليدفعهم إلى ارتكاب أعمال حيوانية، منها: الإكثار من تشييد السجون، وابتكار أساليب تعذيب شيطانية، فقط لأنهم لا يتقبّلون الاختلاف.

السجن، بماذا يمكن أن نعرفه؟

السجن قطعة من الجحيم قُذفت من السماء أو انبثقت من الأرض..

السجن عالَم يفقد فيه الإنسان إنسانيته ويتحوّل إلى كائن آخر يعجز هو نفسه عن معرفة نفسه.

ولا عجب أننا لا نجد عقوبة كعقوبة السجن ضمن حدود وتعزيرات الشرع الإسلامي؛ فلا شيء أثقل على النفس من القيد.

ولا وسيلة للجبناء العاجزين عن تقبُّل المختلِف والرأي الآخَر إلّا بفرض القيود، وعلى رأسها السجن.

في شرق المتوسط يحكي مُنيف قصةَ رجب إسماعيل، سجين سياسيّ تضطره شدة التعذيب ومعاناة أمّه إلى الاستسلام في النهاية، ليخرج جسدًا بلا روح، ليجد أمه قد ماتت بحسرتها، وحبيبته تزوجت. هل بقي منه شيءٌ؟

استغربَ هو نفسه -وهو ينظر في المرآة ويردّد-: أحد هذين قد مات!

لم ينتهِ الأمر هنا، تستمر معاناته ومعاناة أخته التي يتناوب الكاتب في فصول الكتاب ليسرد القصة بالتتالي على لسانها ولسان رجب، لتنتهي بنهاية مؤلمة نترك للقرّاء اكتشافها.

لُغة مُنيف في هذه الرواية لغة حزينة، هكذا أحسستُ، لا أدري إنْ كان قد عاش أو عايش أحداثًا مشابهة، وإلا مِن أين له بهذا السرد وهذا الخيال؟!

شكرًا مُنيف لإبداعك هذا، ولتعريف العالَم بجزء بسيط من معاناة فئة لا تزال تعاني حتى اليوم. ولا ندري إن كان سيأتي يوم تختفي فيه السجون في "شرق المتوسط".

قسم

النصوص الأدبية

في حضرة الصمد

(قصة قصيرة)

لمياء أحمد فؤاد

(كاتبة، من مصر)

استيقظَ باكرًا كعادته، صنع قهوته وجلس على شرفة منزله يتأمل السماء والهواء يداعب شعره مع رائحة القهوة الدافئة التي تفوح في المكان!

ثم تذكر نفسه، الآن أصبح حُرًّا راضيًا، لقد حاول مرارًا وتكرارًا وفي كل مرة كان يخفق فيها، الآن، وهو يتذكر كل ما مضى، الآن عندما استبدل كلمة إخفاق بفشل، لطالما أخبره الطبيب في كل مرة أنه لم يفشل قط! بل هي محاولات، محاولاتٌ تخفق فيها أو تنجح، ولا بأس بالإخفاق، مرة.. مرتين.. عشرة، المهم أنك ما زلت تحاول، المحاولة في حد ذاتها نجاح!

الآن أصبح حُرًّا راضيًا، عندما نظر إلى الأشياء من زاوية أخرى، زاوية كان غافلًا عنها، ولم يكن ليرضى لولا وقوعه فريسة لذئب السخط!

السخط على كل شـيء... والقيد رغم كل شـيء!

على طفولته التي لم يعشها كما تمنى يومًا، وأحلامه المقيدة التي لم يجرؤ أن يحررها يومًا، وأهدافه التي ما زل يسعى إلها، وعلى أولى أيام شبابه الذي لولا رضاه وتحرره لضاع الكثير منها في غياهب الجب، ثم تذكر أنه وحده، وحده من وصل لما هو عليه الآن، لم يكن لديه أصدقاء، لم يكن لديه ما يعينه، لم يكن لديه سوى محاولاته التي يتشبث بها وكأنها آخر ما تبقى له في هذه الحياة، لم يكن لديه شيء قط فقط وحده مَن وصل.

أرخى يديه بعد انتهائه من تناول فنجان القهوة ثم تذكر أن هناك واحدٌ فقط من كان معه في كل مرة؛ وفي كل خفقة ورجفة، في كل ذلة ودمعة، في كل مقاومة وسقوط، في كل هزيمة ومحاولة، تنهد وقال: الله؛ الله لم يتركني قط، حتى في سخطي على حكمه لم يتركني، حتى في زلاتي وحماقاتي لم يتركني، الآن أدركتُ حقيقة الأشياء، الآن علمتُ أنه ما زال في هذه الحياة متسع لكل شيء نريده ما دُمنا نُحاول والله صاحبُنا، الآن كل شيء بدأ يأخذ نصابه الصحيح، الآن أنا حُر، حُرًا راضيًا وقد كنتُ من قبل مقيدٌ ساخط.

عسعس الليل

(قصيدة)

د. وليد الصرّاف

(شاعر وروائي وطبيب عراقي)

المديدُ بحرٌ هجَره الشعراءُ إلا قلّة نادرة منهم. لا أدري ما الذي ذكّرني به أو ذكّره بي فتملَّكني إيقاعه قبل أيّام، فكانت هذه القصيدة:

عسعسَ اللّيلُ الذي العسسُ

مِن رُؤى مَن نـامَـهُ حَـرَسـوا

أوصدوا بـاب الكِرَى دونـها

فبـدا مـوتًا لِـمَـن نَعَســـوا

فلـزمْـنـا السُّـهـدَ علّ رُؤًى

مِن صـخور السَّهد تَنبجِسُ

نرتجي شـمسًا نؤومَ الضُّـحى

ودُيـوكًا نـابَـــهـا الخــرَسُ

ورأيـنـا البـدرَ مُـمْـتَـقِـعًا

وجِـلًا والحــوتَ يَـفتـرِسُ

وسـمعنـا الـورق تَـنـدُبُـهُ

بَيْـد أنّ الناسَ ما نَبَســوا

الضّـبـابيّـون لا ابْتَسـموا ... للّـذي يـأتي ولا عـبَسـوا

وبـدَوا راضــيـنَ أنّـهـمُ ... حصدوا غير الّذي غرَسوا

غـادرتْهُم قافلاتُ الهوَى ... قصبًا يَـجْـري بهِ النَّفَـسُ

ثقبـتـه فهـو نـايٌ بَكَى ... روضـةً قـد آدهـا اليبَـسُ

وبـرتْ منــه لَهَـا قَلَــمًا ... فيهِ مـا قـد فـاتَ تَلتمِسُ

هــذهِ أطـلالهُـم وقفـتْ ... وهمُ فـرطَ الوَنى جَلَســوا

سـاءلـوها حدَّ أنْ غدَهم ... قـد غدَا بالأمسِ يِلْتبِسُ

يومُـهم زنـزانـةٌ كلحَـتْ ... منذُ أعـوامٍ بِـهـا حُبِسوا

تَمـرُق الأيّام خـارجـهـمْ ... لا ضُحًى يَدري ولا غلَسُ

كلّمـا وجـهٌ رنـا خصـمُهُ ... كان في المِـرآة ينعكــسُ

مِن شموسٍ في الصبا غربتْ ... أَيُـلامُ العُـمي لو قَبَسوا؟

يـا لِأَطـلالٍ برغـم البِـلى ... لمْ تـزَل والقوم قد دَرسوا

أن يُنادَى عليك وأنت ما زلتَ تحاول النوم: (لقد انتهَت صلاحيّةُ رأسِك).

أن تتّجهَ "رأسًا" مِن القيامة الّتي أنت فيها إلى الأخرى ..

أن تُحشَر وأنت لم تمُت بعد .. ولم تعِش أيضًا ..

مِن قيامةٍ إلَى أخْرى!

(قصيدة)

يحي الحمادي

(شاعر يماني)

الـرَّاكِـضُونَ عـلـى الـدُّرُوبِ جُـمُـوعُ
يَـتَـدَافَـعُـونَ.. وكُـلُّـهُـم مَـدفُـوعُ

يَـتَـسَـاءَلُونَ.. ولا مُـجِـيـبَ.. فَـكُـلُّهُم
يَـتَـسَـاءَلُـونَ.. وكُـلُّهُـم مَـفـجُـوعُ

والـصَّـمتُ يَـخـفِضُ رَأسَـهُ مُتَـعَجِّـبًا
مِـمَّـا يَـقُـولُ سُـكُوتُـهُ الـمَسمُوعُ

وحَـفِـيـفُ أجنِـحَـةٍ.. كَـأَنَّ هَـوَاءَهـا
مَـطَـرٌ.. وأَفـئِـدَةَ الأَنـامِ شُـمُوعُ

أُمَـمٌ عـلـى أُمَـمٍ تُـسَـاقُ.. وخَـلـفَها
صَـخَـبٌ بُـكَـائِيُّ الـصَّرِيـخِ، هَـلُـوعُ

والأَرضُ جَـاثِـيَـةً تَـدُورُ.. كَـأَنّهـا
جَـمَـلٌ عـلـيـه عَـشَاؤُهُ مَـوضُوعُ

والـلَّـيلُ يُـمـسِكُ بِـالـجِدَارِ، ويَـرتَـمي
نـحـو الـرَّصِـيـفِ.. كَـأَنّـه مَـصرُوعُ

وصُـــرَاخُ أَزمِـنَـةٍ تَـمُـوتُ.. وسـاعَـةٌ
سَـكَـتَـت.. وخَـوفٌ رَأسُـهُ مَـرفُـوعُ

والـمُـهـطِعُونَ الـمُـقـنِعُونَ رُؤُوسَـهُـم
فـي سَـكـرَةِ الـرَّمَـقِ الأَخِـيرِ هُـجُوعُ

والـيَـومُ لـيـس بِـجُـمـعَةٍ.. لكنّـهمْ
جُـمِـعُـوا.. فَـقَلَّـبَ كَـــفَّـهُ الأُسـبُوعُ!

*****

وأَنـا أُطِـلُّ عـلـى الـخَريطةِ شَـاحِبًا
كَـدَمِـي، وكُـلِّـي رَهـبَـةٌ وخُـشُوعُ

بـيـن الـجُـنُونِ وبـيـن رأسِـي شَـعرَةٌ
قُـطِـعَـت.. فَـكُـلُّ تَـوَاصُـلٍ مَقطُوعُ

لـولا انـطِفاءُ الـنَّاسِ.. كُـنتُ سَـأَلتُهُم:
أَهِـيَ الـشّـرِيعَةُ؟ أَم هُـو الـمَشرُوعُ؟!

أَتُـراهُ حـانَ الـوَقتُ كـي يَـتَشَابَهَ الـ
ـمَـخلُـوقُ بـين يَـدَيَّ والـمَـصنُوعُ؟!

نـابَت عـن الـعَـشرِ الأَصَـابِـعِ رعـدَةٌ
وعـن الـــكَـــلامِ تَـــنَـــهُّـدٌ ودُمُـــوعُ

يـا طَـائِـرِينَ عـلى الـغَـمـامةِ.. لا أَرَى
أَنِّـــي سَـــأَظـمَـأُ بَـعدَكُم وأَجُـوعُ

أَأَطِـيـرُ مِـن هـذي الـقِيامَةِ قـاصِدًا
تِـــلـــكَ الـــقِـيَـامَـةَ؟! إِنَّـهُ لَوُقُـوعُ

أَنـا لـن أُجِـيـبَ الـصَّـوتَ، إِلَّا خالِعًا
جَـسَـدِي.. وصَـوتِي مِـن فَمِي مَنـزوعُ

أَنـا لن أُجِـيبَ الـصَّوتَ قَـبلَ جَـنازةٍ
فُـصـحَـى.. عـلـيـهـا رَايَـةٌ، ودُرُوعُ

وأُرِيـدُ كَـالأَسـلافِ قَـبرًا وَاسِـعًا
فَـأَنـا تُـرابٌ، بِالـتُّـرابِ وَلُـوعُ

وأُرِيـدُ صَـمتًا كي أَنَـامَ، فـقـد مَـضَى
عُـمُـرِي، وبَـــابُ سَـكِينَتِي مَخلُوعُ

وأُرِيدُ "شـاهِـدَةً" تَـقُـولُ: هُـنـا غَـفَا
مِـــن أَلـفِ عـــامٍ "شـاعـرٌ مَطبُوعُ"

أَنـا لـن أُجِـيبَ الصَّوتَ، حتى يَنتَهي
هـذا الـصُّـدَاعُ، ويَـغـفُوَ الـمَصدُوعُ

أَأَقُـــولُ لِلمَـوتِ: انتَصَـرتَ؟ وفي دَمِي
جَمـرٌ بِـ(بُـرقَـةِ ثَـهْـمَـدٍ) مَـزرُوعُ؟

أإلى القَضَاءِ أُحِيلُ كُلَّ قَضِيَّةٍ؟!
إنَّ التَّعَلُّلَ بالقَضَاءِ خُنُوعُ

أَنا لستُ مِن يَومِ الحِسَابِ بِهاربٍ
فَأنا الحِسَابُ بِفَاقَتِي مَشفُوعُ

أَفَيُسأَلُ المَحرُومُ عن لا شَيئِهِ؟!
وعلى السُّؤَالِ يُحَاسَبُ المَمنُوعُ؟!

لكنَّ بي سَهَرًا.. أُريدُ قَضَاءَهُ
فَأَنا بِنَومِي -لا الخُلُودِ- قَنُوعُ

*****

ويُقالُ لِي: قَد نِمتَ أَلفًا كامِلًا
فاصعَد بِطِينِكَ أَيُّها الينبُوعُ

وعلى اسمِكَ اللّهمَّ أَحمِلُ مَوطِنِي..
وعَلَيَّ مِنهُ قداسَةٌ ولُمُوعُ

وعلى اسمِكَ اللّهمَّ أَبدَأُ هِجرةً
أُخرَى، ودَربًا ما إلَيهِ رُجُوعُ

فَأَرَى قَرَاصِنَةً تُدَاسُ رِمَالُهُم
ولهم عليها أرؤُسٌ وضُلُوعُ

(ولَهُم مَقَامِعُ مِن حَدِيدٍ).. بُورِكَت
أيدِي الغِلاظِ، وتُبِّرَ المَقمُوعُ

وأَرَى (سُرَاقَةَ) يَستَغِيثُ.. فَأكتَفِي
بِالقَولِ: إنّك مِثلَنا مَتبُوعُ

وأَرَى بَنِي (سَبَأَ) الذين تَفَرَّقُوا
بعد السَّقِيفةِ شَملُهُم مَجمُوعُ

وأَرَى جَهَنَّمَ تَستَجِيرُ بِربّها
مِن قادِمِينَ حِسَابُهُم مَدفُوعُ

ويَصِيحُ (عَبدُ الدَّارِ): أَين مَفَاتِحِي..
أَمِنَ الخِدَاعِ تَعَلَّمَ المَخدُوعُ؟!

وتَصِيحُ (آمِنَةٌ) و (مَريَمُ): خَلفَنا
وعلى الصَّلِيبِ: (مُحَمَّدٌ) و (يَسُوعُ)!

وأُفِيقُ مِن نَومِي القَصِيرِ، وما انتَهَى
لَيلِي الطَّوِيلُ، ولا انْتَهَى المَوضوعُ

*****

سَـوانِـح

(شِعر)

أ.د. عبد الحكيم الأنيس

(كبير باحثين أوّل بدائرة الشؤون الإسلامية، دبي)

اللهُ -جَلّ اللهُ- لا يُحْـصى

فينا مَدى الأيامِ إحسـانُهْ

والظنُّ بالمَولى وإنْ يُعصى

أنْ يغمرَ العاصين غفرانُهْ

***

يـا قلـبُ لا تحملْ على الآتي

هَمًّا ولا تَـجْـزعْ على فـائتْ

واصرفْ زمانَ العُمْرِ في أنسٍ

واضرعْ إلى المَولى وكُنْ قانتْ

***

كم مَرّ في التاريخِ مِنْ رمزِ

كم عاشَ أهلُ الوُجْدِ في عزِّ

والكـلُّ قـد مَرُّوا ولنْ يبقى

ذو المَلبـسِ البالي وذو الخَـزِّ

***

اللّـغـوُ في أيّـامِنا أمسى

يسـتهلكُ الأوقات والأُنسا

دعْ عنكَ هذا كلَّهُ وانظرْ

في النفسِ لا تَعدلْ بها نَفسا

***

يا رُبّ مَنْ ضاقتْ به الدُّنيا

وسَّـعَها عبـدٌ منَ الخلـقِ

فكيف مَنْ يرجوكَ يـا ربّي

يا مالكَ الدُّنيا على الحقِّ[1]

***

لن يُخرج العالَم ممّا فيهِ

مِنْ هـذه البلوى وذاك التيهِ

إلّا الإلهُ فمَنْ دعاهُ شفاهُ

فادْعوا لعالَمِنا عسى يشفيهِ

***

تـوكَّلنـا على الـرحـمـن إنّـا

وجَـدنا العونَ للمُتوكّلينا

هو الربُّ القديرُ وليس شيءٌ

بمُعجِزِهِ، فنادوا الحائرينا

***

يا مالكَ الملك يا مَنْ لا شريكَ لَهُ

في القلبِ يا ربِّ ممّا يشتكي وَلَهُ

مَن لم يكن مِنْ جميعِ العالمين لَهُ

عونٌ على ما يُعـانيهِ فأنـتَ لهُ[2]

***

الـحـمـدُ لله أنّا بِـربِّـنـا آمَـنّـا

فما وجدْنا شقاءً ولا الهُمومُ رمتْنا

***

(١) ليلة الجمعة ٢٥ من المحرَّم ١٤٤٣.

(٢) الأربعاء ١ من صفر ١٤٤٣.

لـنـا باللهِ آمـالُ بها قد طابت الحالُ

بغيـرِ اللهِ يا قومي حيـاةُ المَرءِ أوحـالُ

***

تأمّلْ في جمالِ الكونِ تبصرْ

جـمـالَ الله فيما قد بـراهُ

وتذهل في عجـائبهِ وتحـيا

سعيدَ القلب حقًّا في حِماهُ

***

إلامَ وأنـتَ تَسْـتأني؟

فـلا تدنـو ولا تُـدني

ألـمْ تسمعْ نداءَ اللهِ

في الدَّنيا: (أَلَمْ يأنِ)[1]

***

(١) الخميس ٢ من صفر ١٤٤٣.

رثاء الشيخ
محمد أحمد الراشد

(قصيدة)

عدنان آل ناصر
(شاعر عراقي)

في كل يـومٍ تُســـتـثـارُ مـواجـعُ
فتسـيـلُ كالغيـث العميم مدامعُ

وسَفينُ شِـعري عاجـزٌ متـحـيّـرٌ
ومَعيـن نَظْـميَ في نُضـوبٍ قـابـعُ

ما بـالُ هذا الكون أظلـمَ بَغْـتـةً
أوَ قـدْ نعَـتْ زيـنَ الرجـال مَرابعُ

أمُعَـلِّمَ الأجيـال فقـدُك ثُلـمَـةٌ
مَـنْ ذا ســواك بِكُلِّ فَنٍّ ضـالعُ

ماذا سأُحْصي من مناهِجِـك التي
ترنـو بنا صُـعُدًا ونـحـنُ نُطالـعُ

فإذا (انطلقْـنا) لا (عوائـقَ) بيننا
و(العين) أنت العين أنـت منـابعُ

هذي (الرقائق) قد رقتْ بنفوسنا
والقـلـب منـا للمهيـمـن خاشعُ

(وأبو هريـرة شاهدٌ لِدفـاعِكم)
إذ كنت عن صحب النبي تُدافعُ

يـا راشــدًا ولـكـل شـي مُتْـقِـنًا
وبـيـانُكمْ فـاقَ البـلاغـةَ فـارِعُ

قد جُزْتَ أفلاكَ السما مُترقّيًا ... فكرٌ وتخطيطٌ (وفقهٌ لاهبُ)
ولَكُمْ بِذاك (مَدارجٌ) ومَطالعُ ... يغلي يثورُ كما تثورِ مَدافعُ

سَطَّرتَ (آفاقَ الجَمالِ) وصُغْتَها ... مِن فقهك القسّام (قام حماسُها)
فبدائعٌ لك تنحني وصنائعُ ... (فسيوفهم) في الدائرات لوامعُ

أهدَيْتَ (صُناع الحياة) (مَسارَهم) ... هَبُّوا كما الطوفان يغرق مَن طغى
فإلى (موازين الجهادِ) تَدافعوا ... لـمَّا تداعَوا فتيةٌ وطلائعُ

(بِصُداح داعيةٍ) لِشرْعِ محمّدٍ ... بتلاوة (المِحراب قام محاربٌ)
فهو السبيل ودون ذاك شرائعُ ... خضَعَتْ له الدّنيا فَراءٍ وسامعُ

ومِن (العراقِ بَوارِقٌ) بَرَقَتْ لكمْ ... ماذا سأُحْصي مِن مناقب سيّدٍ
فَحَماسُنا المَعهود ثَمَّ وجامعُ ... اتّبعتْ خُطاه إلى الرشاد (مَراجعُ)

تاقَتْكَ بغدادُ الّتي عُلِّقْتَها ... أفنَيتَ نفسك سائحًا ومهاجرًا
وهفَتْ إليكَ مَعاهدٌ ومَجامعُ ... تضع البذور فَتَرْعَها وتُتَابِعُ

ومَدارسٌ وروابطٌ وصَوامِعُ ... فمِن الكويت رَوَيْتَ صَدْر خليجِنا
ومنائرٌ ومنابرٌ ومَطابِعُ ... حتى ارتوتْ منكم عُمانٌ وضالعُ

وإلى (الصِّراط المُستقيم) دَلَلْتَنا ... عشقتْك واحاتُ الجزائر ترتوي
فَسِوى جُهودك كلّ جهدٍ ضائعُ ... من فَيض فِكركَ، كلّ فِكركَ رائعُ

(فأصولُ إفتاءٍ وتطبيقٌ لها) ... في أندُنيسيا أو مراكش فقهكم
جزءٌ وثانٍ ثالثٌ ثُمْ رابعُ ... كان الدوا يشفي الشعوب وناجعُ

وإلى حمى اسْطنبول كم أثريتَها
ببضاعةٍ أكرم فشارٍ وبائعُ

ضمَّتْك ماليـزيا كأنْبَلِ فـارسٍ
والنـــاس فيما يعشـــقون طبـــائعُ

يا ربّ عبدك راشدٌ فارفقْ بهِ
وارفقْ بمَن للمسـلمين تـواضـعـوا

وارزقـــه رفـــقـــةَ أحمـــدٍ ورفـــاقِهِ
فلَقد أتـاك العبـدُ بَـرٌ وطـائـعُ

يـــا ربّ وارزقْـنـا شـفـاعـةَ أحمدٍ
فالمُصطفى المُختار ذُخْـرٌ وشـــافِعُ

******